الجمال في بلادي

*

يقول علماء الجماليات : « الجمال لا يتكرر » فمثله عندهم مثل الشباب لا يعود ، لن يعود ! ويقول الفلاسفة الاخرون : « بل التاريخ يعيد نفسه ... » كما تعود الانتخابات النيابية ... والمواسم الاخرى .

فمن يا ترى من هؤلاء وهؤلاء اقرب الى الحقيقة ، الى الواقع ، الى طبيعة الحياة في واقعها المادي ، لا كما يصورها الكتاب ؟

أما أنا ، وفي هذا اليوم بالذات ، فلا اؤمن بقول الاسطيطيقيين ، لانه سفسطة على كل حال . فالجمال يتكرر ولا يتكرر ، كما يتكرر ولا يتكرر أي شيء آخر ، ولو كان تلفيقا على الناس او تغريرا بالامم والاوطان .

ان قانون التحول هو القانون الطبيعي الذي يسود كل حي وكل جماد . جسدك اليوم ، وان بدا لك هو نفسه بالامس ، لا يمكن ان يكون كذلك علميا ، لان تحولا جديدا طرأ عليه ، تحولا غير مرأي ، خلال الفترة المنقضية من عمرك ، خلال اليوم الماضي .

ويصح هذا في الصخرة ، كما يصح في الشجرة ، في وجه الحسناء وفي قوقعة السرطان على حد سواء .

اما تكرار الاحداث الكبرى والصغرى ، من الزلازل حتى الانتخابات ، مرورا بنشوء الصداقات والعداوات بين الافراد والجماعات ، وسائر ما ابتليت به البشرية وتبتلى من المصائب والنوازل ، فمن الحقائق الثابتة ، وان بات الايمان بهذه الحقائق الاخيرة يشق على العقل الموزون !

والغريب هو ان ينسى الانسان امسه ، فيرى في احداث يومه شيئا جديدا ، وما هي بالجديد ! بل لعل هذا النسيان هو النعمة التي تسبغها الحياة على ابنائها ، فتذكي فيهم شعلة الحنين الى الكمال ، وتوق التراب الى مطارح الآلهة . فيجهدون ويجاهدون لبلوغ القمم وارتياد المجاهل ، وخلق العظائم ، ولو انهم ذكروا امسهم ، لو حفظوا ما اصابهم من الزمان واهل الزمان ، لظلوا عند الحضيض ، كالماشية السائمة ، همها العشب ولو تلطخ بالرجس ، وغايتها الشبع ولو تدنس بالذل والعار !

وما ادري لم اذكر اليوم امس القريب ، فأرى بعض الذين آمنت بعملهم الغزير ونفسهم الطهور وخلقهم العظيم ، يتكشفون على حقيقتهم ... اناسا من هؤلاء الذين لا يتعلمون الا ليتاجروا ، ولا يصلون الا ليستغلوا ، ولا يلبسون المسوح الا ليغشوا ويكذبوا ويبهتوا . ولكنني بت ادري نصف حقيقة ، من حقائق الحياة ، في بلادنا العريقة كالحياة ، هي ان الفرد فيها لا يسمو الى مستواها الجمالي الرفيع .

فما اجملك يا بلادي ، يتكرر فيك حتى القبح ، فتعيدينه جمالا ! وما اعظمك يا امتي ، تستشري فيك الادواء ، فتعيدينها بلسما للشفاء !

رشاد دارغوث

قضية الشعر في الغرب

بقلم محمود السمره

○

يدعو بعض الكتاب في الغرب اليوم (1) الى النزول بالشعر الى مستوى الجمهور وتبسيطه . هذه هي الدعوة في خطوطها العريضة ، وتلخيصها المبسط . ومن دعاتها روبنسون جيفرز ، وبيتر فيريك ، ودونالد ديفي ، وبونامي دوبري . . . (2) وقد يختلف هؤلاء في امور ثانوية ، ولكنهم متفقون في المفهوم العام . وهذا المفهوم في حقيقته نهر قديم انقطع عن الجريان ، ثم عاد محاولا شق طريقه ثانية . ونحن نريد هنا ان نعرض لاراء هؤلاء الكتاب واقفين عند ديفي وفيريك ، لا لانهما شاعران يمثلان هذه الدعوة خيرا من غيرهم ، بل لانهما كشفا عن محافظتهما الادبية ، وعبرا عن آرائهما ، بحرية وصراحة .

يصف روبنسون جيفرز الشعر الذي يدعو اليه بقوله : « يتراءى لي ان الشعر في المستقبل سينبذ الاتجاهات المسيطرة في الشعر المعاصر ، وسيضع الشاعر نصب عينيه ان (ريمبو) (3) كان شابا ذا عبقرية فائقة مثلا ، ولكن لا يحسن تقليده ، وان «اليباب» (4) تمثل نهاية عصر ادبي ، لا بداية عصر جديد ، على الرغم من انها من احسن القصائد التي نظمت في هذا القرن ، واكثرها اثرا في نفوس الادباء ومتذوقي الادب .

واذا تركنا هذه الامور جانبا ، وبحثنا في المشكلة المباشرة ، فانني اعتقد ان شاعرنا سيترك جانبا هذا الادعاء العلمي ، وسيهجر ضروب البلاغة ، وسيحطم هذا الغموض الذي يسيطر على الشعر الحديث . وسيكون شعره طبيعيا لا تكلف فيه يعبر عما يريد دون التواء وانحراف او لجوء الى زخرف لفظي . وسينظم شعره لان عنده شيئا جديدا يود ان يقوله للقراء ، ولهذا السبب فانه يقوله بوضوح وجلاء . وسيكون من اهدافه ان يعبر عن روح عصره ، ولكن ليس من الضروري ان يكون شعره مضطربا قلقا لان عصره كذلك » .

اما دونالد ديفي فناقد شاعر يقرن اسمه عادة باسماء كنجزلي اميس ، وجون وين ، وتوم جن ، وبونامي دوبري(5) وهؤلاء يشتركون في المفهوم العام للشعر ، وان اختلفوا في التفاصيل . وما جاء في مقال نشره حديثا (اميس) يطابق في المفهوم العام ما يدعو اليه ديفي . ونرى (دوبري) في مقال نشره حديثا يهنيء شاعرا لانه تجنب التواءات دون(6) ويؤكد في مقاله ان الشعراء الانجليز قد بداوا يستنشقون هواء طلقا ، هو هواء التحرر من كابوس القلق والخوف . ثم يتساءل : « ولم يتحتم علينا ان نشاطر الشاعر مخاوفه ؟ ولم علينا ان نتجسس على نفسيته لنفهم ما يريد ان يقول ؟ ان موقفنا يجب ان يكون كالمستمع الى الغناء يتأثر به مباشرة دون ارهاق . »

ويعبر ديفي في كتابه له (7) عن امله بان تمهد هذه الدراسة الطريق للشعراء الناشئين لينصرفوا الى نظم الشعر الذي يهتم بالتوصيل والتعبير عن نتائج التجارب المهمة في حياتهم . ويرى ان هذه هي الطريق لاغراء الناس في الاقبال على الشعر ، كما هاجم في كتابه ظلما كلينث بروكس (8) لان اراءه في الشعر تدفع بالشعراء الى متاهات ومجاهل لا يستطيع السير فيها الا قلة ، وبهذا يحرم الشعر من قرائه والمقبلين عليه . وواضح من هذا القول ان ديفي مهتم باقامة علاقة بين الشاعر والقاريء ، وهو اتجاه نجده عند كثيرين في هذه الايام . ولقد كان ماكنزي (9) يلقي بقول محفوظ مكرر عندما كتب قائلا : اذا استمر الشعر يسير في اتجاهاته الحالية ، فقد يموت قبل القصة الطويلة ، ذلك لان طريق الاتصال بينه وبين قرائه مقطوع .

ان هذا الشعر التعليمي الذي يتاجر بالتعبير السهل عن نتائج التجارب ، يناسب اذواق اولئك القراء الذين لا يستطيعون قراءة قصيدة مثل « اليباب » . واذا كان هذا الشعر هو المناسب لعصرنا ، فان معنى هذا ان صعوبة (اليوت) واضرابه من الشعراء انما نتجت عن مجرد الرغبة في الالتواء . اما واقع الامر فان (اليباب) سهلة لاقصى درجة استطاع بها ناظمها ان يجعلها سهلة ، ولو كانت اسهل مما هي عليه لكانت قصيدة اخرى ، دون ما هي عليه الان . ولا بد من توضيح امر السهولة هذه : ان الافكار العميقة بطبيعتها صعبة على القاريء العادي ، والكلمة موحية ناقلة المعنى تثير حولها ظلالا اذا كان لها رنين في بيئتها ، وباهتة غائمة عاجزة عن بث الظلال والاثارة اذا كانت غريبة عن البيئة التي استعملت فيها . على هذا الاساس نفهم السهولة والصعوبة ، لا على الاساس الذي يدعون اليه .

ويشير ديفي في كتابه الى « ان بريطانيا عندما تحولت الى دولة صناعية ، أدى هذا التحول الى تغير كلي في حياة المواطنين الاجتماعية والثقافية ، تلك الحياة التي كان كل ما فيها يدل على الاستقرار . » ونستطيع ان نرى آثار هذا التغير في الفرق بين شعر (كاوبر) في اخر مجموعة له ، وبين قصائد (ورد سورث) السياسية : فالقصائد الاولى تعبر عن ايمان الشاعر المطلق بما ورث من قيم ادبية وخلقية ، بينما القصائد الثانية تدل على الحيرة والقلق . ولا شك ان الايمان المطلق بقيم ادبية وخلقية ، امر غير ممكن في عصرنا ، بل على العكس من هذا ، فاننا نرى ان الكتاب والقراء على السواء يحسون في اعماقهم بنوع من القلق المتزايد يجعلهم قريبي الشبه بالمصابين بالهستيريا . ولا اظن ان من الضروري الافاضة في هذه النقطة ، وتكفي الاشارة الى عبارة وردت في خطاب (وليم فوكنر) الذي القاه عند تسلمه جائزة نوبل للاداب ، وذلك قبل اربع

(1) Donoghue, Denis : Poetry and the New Conservatism — The London Magazine, April 1956.

(2) Robinson Jeffers, Peter Viereck, Donald Davie, Bonamy Dobrée.

(3) Rimbaud

(4) Eliot, T.S., The Wasteland.

(5) Kingsley Amis, John, Wain, Thom Gunn.

(6) Donne.

(7) Purity of Diction in English Verse.

(8) Cleanth Brooks.

(9) Sir Compton Makenzie.

سنوات ، فقد قال : « لم تعد هناك مشاكل في عصرنا تسمى مشاكل الروح ، بل سوءال واحد يقلقنا هو : متى ستطيح بنا قنبلة ؟ ويتراءى لي انه ما دامت حياتنا الاجتماعية مضطربة قلقة يسودها اليأس والخوف ، فان تعبير الشاعر عن النتائج التي تدل على اليقين ، امر غير طبيعي ومخالف للواقع .

وبيتر فيريك استاذ للتاريخ في كلية امريكية ، وقد نشر ثلاثة دواوين من الشعر وكتبا وابحاثا في التاريخ وعلم النفس والسياسة وعلم الاجتماع (١٠) ، وفيريك لا يدعو الى شعر تعليمي بمفهوم ديفي وجماعته ــ كما يدعي ــ حتى انه ليثور اذا نسبت هذه الكلمة لما يدعو اليه . وهو يرى ان في الشعر اتجاهين الان اما مغال في الارتفاع عن مستوى الجمهور ، واما مسف في النزول اليه ، ولذلك فهو يدعو الى نوع ثالث من الشعر ، وهي دعوة نجدها عند التدقيق فيها شبيهة بدعوة ديفي .

والفكرة الرئيسية عنده هي ان الشعر المبهم كالشعر الرمزي او السريالي ، كان مناسبا لظرفه الذي نشأ فيه ، وذلك لبعث الحيوية والنشاط في حياة العصر الهادئة الراكدة . اما الهدوء والركود فقد زالا من حياتنا ، ولهذا اصبح هذا النوع من الشعر لا مبرر لنظمه الان : « في هذا العصر المضطرب القلق حيث لم يبق لنا شيء من تراثنا الفني والسياسي يمكن طرحه ، ارى ان الثقافة المعاصرة لايحفظها سوى التمسك بالقديم ، وطرح هذه الاتجاهات الحديثة المبهمة جانبا . وحياتنا الان يملأها الخوف والفزع وواقعنا نفسه كابوس ثقيل ، ولهذا فان عصرنا محتاج الى شعر سهل واضح كالماء الرقراق ، باعث للامل ، مبدد للمخاوف الجاثمة على صدورنا . »

فاذا قارنا بين قول فيريك « شعرا سهلا واضحا كالماء الرقراق » وبين قول ديفي « شعرا سهلا مباشرا » وقول جيفرز « شعرا طبيعيا مباشرا » ، نجد انهم متفقون في مفهوم الشعر ، وهو مفهوم صرح به قبلهم الشاعر (دريدن) عندما قال « ان الشعر الذي نريده شعر سهل مكتوب بلغة واضحة » .

ويقول فيريك : ان المعركة القائمة الان بين « الغموض » و « الوضوح » أدت الى اتجاهين مغاليين كلاهما قاض على الشعر : فالاتجاه الاول يدعو باسم الثقافة والفكر الى نوع من الشعر لا يمكن ان تتذوقه الا صفوة من الناس المثقفين ، وهو بالنسبة للجمهور احاج ، وبهذا يقضي هذا الاتجاه على الشعر لقلة المقبلين على قراءته . والاتجاه الثاني باسم التوصيل والافهام ينزل بالشعر الى مستوى لا يرضى عنه محب للشعر ، اذ يحطم كل القيم والاسس بحيث يستحيل الشعر الى كلام منظوم . ان الاتجاه الاول يصيب ربة الشعر بالعقم ، اما الاتجاه الثاني فيحيلها الى امرأة داعرة لا ترفض احدا . أليس من الممكن اذن ان نوجد اتجاها وسطا ؟ .

ثم يجيب عن هذا قائلا : ان اتجاها جديدا قد بدأ يظهر ، وهو وسط بين الاتجاهين . ولكن فيريك عندما

(10) له «Terror and Decorum» مجموعة من الشعر الغنائي والفلسفي وكتاب «Dream and Responsibility» في العلاقة بين الشعر والمجتمع واليه نشير

(11) Theodore Roethke.

بدأ يصف هذا الاتجاه ، نجده يرى ان هذا النوع من الشعر يجب ان يجمع بين راي (رويذك) (١١) بان يكون الشعر « سهلا انسانيا » وبين رأي (ويلبر) (١٢) بان يكون « واضحا موصلا للمعنى » . واظن ان هذا المفهوم ليس بعيدا عن المفهوم الذي دعا اليه غيره ممن ذكرنا .

ومن حسن الحظ ان فيريك يستمر في قوله فيقول : « عندما ادعو الى العودة الى السهولة في الشعر ، فانني أعني السهولة المبرزة للصراع النفسي في حالة الابداع . » ان الشعر يجب ان يعبر عن الصراع النفسي والمعاناة والجهد ولهذا فانه لا يمكن ان يكون سهلا بالمفهوم الذي يدعون اليه . فهو صعب لانه يصور صراعا كاملا بين الشاعر والمؤثرات التي اثارته للابداع ، ثم بينه وبين اوزان الشعر وكلماتهالتي يصب فيها هذا الصراع . ولقد كان (وارن) (١٣) على حق عندما قال : « ان الشاعر شبيه بخبير في المصارعة اليابانية ينتصر على خصمه بشل مقاومته . وبعبارة أخرى فان القصيدة حركة تنتهي بسكون ، ولكنها اذا كانت حركة لا تجد مقاومة في طريقها فانها تكون حركة غير ذات فائدة وجدوى ، اذ لا بد ان تصور القصيدة هذا الصراع وهذه المقاومة لتكون قصيدة جيدة . » وتبعا لهذا فان القصيدة الرديئة لا تصور شيئا من هذا الصراع ، بل تهتم بالنتائج .

وقد اختار فيريك قصيدة لروبرت فروست للتطبيق على نظريته ، فلننظر فيها . يقول فروست (١٤) :

امواج البحر خضراء رطبة ،
ولكن هناك حيث تتكسر وتموت ،
تنشا امواج اكبر ،
بنية اللون جافة .
انها البحر استحال الى يابسة ،
وعليها تقوم مدينة الصيادين ،
انها تبتلع في رمالها
الرجال الذين عجز البحر عن اغراقهم .
لقد ترك الرجال سفينتهم طعاما للامواج ،
وقد يتركون لها اكواخهم ،
ولكنهم دائما يملكون الفكر والارادة
لبناء سفينة وكوخ جديدين .

ويعلق فيريك عليها قائلا : « ان القصيدة قائمة على تشبيه التلال بامواج المحيط المدمرة . والمقطوعتان الاوليان تصوران ضعف الانسان امام قوى الطبيعة الهائلة ، اما الثالثة فتصور لنا ان ارادة الانسان لا تلين وان فكره لا يقهر ، فهو دائما يفكر بابداع اشياء جديدة ، وهكذا تنتهي القصيدة نهاية سعيدة مليئة بالتفاؤل ، لم يشارك فيها الشاعر اضطراب وقلق عصره ، بل انتصر عليهما . »

ان هذه هي القصيدة الوحيدة التي اختارها فيريك وعلق عليها لانها تمثل في رأيه ما يريده في الاتجاه الجديد. وواضح انها تسجل نتائج تجربة لا الصراع الذي نما ودفع الشاعر الى الابداع . والعمود الرئيسي الذي ترتكز عليه

(12) Richard Wilbur.

(13) Robert penn Warren.

(14) Sand Dunes, by Robert Frost.

(15) Donoghue, D. : Poetry and the New Conservatism.

(16) Jarrell, Randall : Poetry and the Age - The Other Frost.

بقلم جون هرمن راندل

الحركة الرومانطيكية تقف في وجه عصر العقل

ترجمة الدكتور جورج طعمة

○
○ ○

الاساس الاجتماعي للتعقد والتبدل الفكري والحاجة الى تنظيمه

من الجائز ان نجد(1) في القرن الثامن عشر مجموعة من المعتقدات والمثل العليا محددة تحديدا لا بأس به، ومنسجمة، ومصنفة تصنيفا منظما، وحائزة لرضى الاكثرية الساحقة من المفكرين على اختلاف طبقاتهم. وتاريخ الفكر في ذلك العصر هو، بالدرجةالاولى، تاريخ انتشار طريقة العلم النيوتوني واهدافه الى كل ميدان من ميادين الاهتمام البشري. صحيح ان ثقافة ذلك العصر، شأن اية فترة اخرى من فترات تاريخ الغرب المتبدل باستمرار، كانت لا تـزال مثقلـة بالماضي المستديم، وحبلى بالمستقبل، حتى انه لم يكن من المستغرب ان يجد المغرمون بالتتبع بذور جميع ما بلغناه فيما بعد من نمو منتشر بين صفوف الاشجار المشذبة المرتبـة في رياض عصر النور، وحتى ان العقلاء اشاروا بحق الى ان المدينة السماوية التي كان يعبدها فلاسفة القرن الثامن عشر بل وحتى العقل الذي مجدوه، كانا يشدانهم الى التقاليد الكلاسيكية للعصور الماضية اكثر مما يربطانهم بنزعات الحاضر اللاعقلية المتعددة الجوانب، واكثر ممـا يصلانهم بالمظهر الارضي الذي نرنو اليه بوقار. الا اننا رغم ذلك نستطيع ان نميز لتفكير عصر النور ونزوعه صيغة مميزة تزداد وضوحا بمقدار ما يتراجع الى الوراء ما كنـا نحسبه تراثا خالدا، صيغة مميزة كان يعوقنا عن رؤيتها انصرافنا الى ما ينبغي لنا عمله من اجل مواجهة مشاكلنـا الخاصة.

لكن من العسير ان نجد في التساؤل المستمر والتحري اللذين يطبعان بطابعهما جهود البشر الفكرية منـذ هاتيك الايام، اية صورة واضحة كهذه. ذلك لان البشر في اعقاب ثورات الطبقة المتوسطة لم يخفقوا في الوصول الى اتفـاق حول القضايا الاساسية فحسب، بل من العسير علينا ان نلمح لديهم أي اتجاه نحو التطور ولو كان بسيطا حتى في الميادين الخاصة. فالقرن الماضي يشبه من عدة وجوه تلك الاجيال الانتقالية التي حولت عالم القرون الوسطى وعقلها الى عالم عصر النور وعقله. وذلك بالرغم من اننا طبعا، لاقتناعنا اليوم بان المشاكل التي نواجهها هي اخطر المشاكل التي واجهها الجنس البشري على الاطلاق، نرى الفترة التي خلقت لنا هذه المشاكل ثورية اكثر مما كانت عليه فعلا. ففي هذه السنة (١٩٤٠) يتنبأ الاذكياء بانه عمـا قريب سيختفي من اوربا كل ما يشبه من بعيد الحضارة والثقافة اللتين عرفناهما منذ قرنين. وحتى الاشخاص الابعد نظرا والاوسع افقا قد اذاعوا في السنوات الاخيرة

(1) هذا البحث فصل من الجزء الثاني المعد للطبع من كتاب « تكوين العقل الحديث » تأليف جون هرمن راندل ترجمة الدكتور جورج طعمة. وقد صدر الجزء الاول منه اخيرا طبع دار المعارف بمصر ونشر دار الثقافة ببيروت.

القصيدة هو تشبيه تلال الرمل بامواج البحر، ولكن كيف تشبه التلال في التدمير، امواج البحر المدمرة بطبيعتها ؟! والمقطوعة الثالثة بالذات هي ما نخشاه في هذا الشعر الداعي الى الردة والمهتم بالنتائج (١٥) ومن الواضح ان (فروست) قد كتب هذه القصيدة ليصور لنا نتيجة وصل اليها بعـد تجربة سابقة وهي: « ان العقل الانساني شيء عظيم » او « ان العقل الانساني لا يقهر. » لقد توصل فروست الى هذه النتيجـة، ثم بدأ يفكـر في التشابيه والمجـازات والاستعارات التي يمكن ان يصور بها هذه النتيجة بطريقة مقنعة، فكانت قصيدة خالية من اي صراع وتوتر. ان هذه القصيدة لا تصور لنا فروست الحقيقي، او كما قال راندال جارل (١٦) عنها « ان ناظمها هو فروست الزائف الذي من الخير لنا ان ننساه. »

وخلاصة الامر ان اصحاب هـذه الدعوة يرون ان الشاعر يجب الا يشاركنا مخاوف حاضرنا من قنبلة ذريـة وهيدروجينية وحرب قادمة مبيدة، بل عليـه ان ينشر الامل والبهجة، كما يصرون على الوضوح والبساطة. ولكن الواقع الذي لا ينكر هو ان الشعراء اناس مثلنا معرضون لنفس الشكوك والمخاوف والقلق الذي يرهقنا. وما دمنا نؤمن بان الفن تعبير صادق، فاننا نرى ان هذه الدعوة مخالفة لواقع هذا الانسان الذي يبدع في كل يوم جديدا في كل الميادين.

الكويت — محمود السمره

الاعتقاد بان عصر التحرر او الحرية The Age of Liberalism وعصر الرأسمالية هما على وشك الزوال . اذا كنا نفهم من عصر التحرر انجيل الثورة الفرنسية وعلماء الاقتصاد السياسي الكلاسيكي ، ونعني « بالراسمالية » التنظيمات الاقتصادية في القرن التاسع عشر الاخير التي دخلت في نظريتنا الاقتصادية ، فان هذا الحكم يبدو صحيحا، ويصدق حتى على بلادنا . ولكن بالرغم من المناهج المتحمسة التي اعددناها لمواجهة الازمة الحاضرة ، فليس بامكاننا ان نعرف بالتأكيد الشكل او الاشكال التي سيتخذها تنظيم المجتمع الصناعي في آخر الامر . ومن الاصعب علينا ان نتنبأ بطبيعة التركيب الفكري الجديد ، ان صح لنا ان نتوقع الوصول من جديد ، فيما عدا ايام الازمات القصيرة ، الى أية جملة من المعارف والعقائد الموحدة كتلك التي نجد مثلها في كل من القرنين الثالث عشر والثامن عشر .

لهذا يتعذر جدا ان نميز في السنوات المائة الاخيرة بين الهام من الاتجاهات والعابر من التيارات التي جاءت كرد فعل او ثورة او تسوية . ان مضي عشر سنوات اخرى في توضيح الاتجاهات التي يقدر لها ان تقبل في المستقبل قد يؤدي الى تكوين رأي جديد تماما حول ما كان هاما في القرن التاسع عشر . لكن يمكننا على الاقل ان نطمع في تحليل تلك الحركات الفكرية والعملية التي خلقن لنا مشاكلنا الفكرية الحاضرة ، وفي فحص المشاكل الاساسية التي واجهها القرن التاسع عشر وعالجها ، فادت بالناس الى صياغة الافكار التي خلفوها لنا . ان الصورة التي نملكها عن هذا التيه من الاتجاهات المتصارعة والتيارات المتعارضة التي كانت قائمة في القرن التاسع عشر هذه الصورة قلما تطمع في تحقيق تلك الوحدة التي نلاحظ مثلها في العهد الحاضر ونعرف نتائجها. ولكن رغم ذلك نرى مجرى الحوادث يتجه بسرعة نحو الوحدة في صياغة المشاكل التي نشأت اخيرا والادوات الفكرية التي آلت الينا . ان الحلول التي ينبغي لنا اختيارها وواجبات الولاء المفروضة علينا قد ابرزت لنا جانبا كبيرا من تفكير القرن التاسع عشر ومن قيمه . فحيث كنا نجد تدخلا كبيرا من جانب الميل الخاص والهوى الشخصي كلما اريد تعيين الهام من بين المسائل ، نجد هذه المسائل قد نمت واصبحت ملحة الحاحا ادى الى تركيز الاهتمام في تلك الافكار ذات الاهمية المستديمة، والى تمييزها عن الافكار الزائلة .

وراء تعدد اتجاهات القرن التاسع عشر وتنوعها تكمن السرعة المتزايدة باستمرار التي كانت تطبع قوى التبدل الاجتماعي الاقتصادية . فالطبقة المتوسطة المظفرة ذاتها قد انقسمت الى عدة اقسام كما ان الكتلة الكبيرة المؤلفة من العمال الصناعيين قد انقسمت الى شيع لا حصر لها . وبدلا من الطبقات البسيطة القديمة التي كان ينمو في احضانها السكان الحضريون ، صار لدينا ، طوال عدة اجيال ، مجتمع منقسم الى عدد من الجماعات الخاصة ، لكل منها اهتماماتها ومثلها العليا الخاصة بها ، وكل منها على نقيض مع الجماعات الاخرى حول قضايا هامة . وجاءت القومية ايضا لتتقاطع مع كل هذه الخطوط الاقتصادية وتولد انقسامات جديدة بين الناس ولتخلق تكتلات جديدة .

ان انقسام المجتمع الغربي بهذه الصورة الى العديد من الجماعات القليلة الانسجام قد بعث رد فعله الذي جاء قويا في اوربا . فمن الواضح ان نظام الدويلات ذات السيادة غير المسؤولة في حدودها الموروثة عن نظام اقتصادي ابسط ، تتناقض تناقضا كليا مع مقتضيات التكنولوجيا الحديثة وما تنطوي عليه من متطلبات وآمال . ومن الواضح كذلك ان تدفق التجارة والقوة الاقتصادية تدفقا من دون عائق ، وهو العامل الوحيد الذي كان يحافظ على ذلك النظام ، كان قد زال ولم يكن سبيل الى عودته . ولا شك اننا في الاحداث الضخمة التي تجري في ايامنا نشاهد المحاولات البسيطة الاولى التي تهدف الى تنظيم المجتمع الصناعي على اساس من المجموعات الاقليمية الكبيرة التي تخضع الى نوع من التوجيه والاشراف الموحد الذي لم يبق مقبولا الى الان الا على اعتباره اقتصادا خاصا بالحرب . ان النضال القائم في الوقت الحاضر ، والاعمال الوحشية الجارية ، تعيد الى اذهاننا بشكل قوي صورة عصر الحروب الدينية الذي تكونت فيه الدولة القومية ذات السيادة وتشكلت فيه المظاهر الرئيسية للنظام الرأسمالي الحديث في اول اشكاله . وما هذا سوى اعراض لثورة لا تقل عنفا عن الثورات التي حدثت في ذلك العصر . انها نذير بموت نظام هرم ، والآلام التي ترافق ميلاد نظام جديد .

عندما واجه الاوربيون ضغط المشكلة الخطيرة — مشكلة تجنيد الجهود المشتركة لاعادة بناء المجتمع الصناعي ، فانهم لجأوا الى مجموعة متنوعة من العقائد الاجتماعية الموحدة العظيمة التي اختفت هي والشعور بالحاجة اليها ، منذ القرون الوسطى . ففي تلك البلاد التي لا تزال تدعى ، تلطفا في التعبير ، حرة Liberal او راسمالية نجد ان التعقيد والتناقض في افكار الجماعات ومصالحها ، وهو ما يدعوه نقادها بالبلبلة والفوضى والتشويش ـ قد اظهرت بوضوح حاجة المجتمع الصناعي الماسة الى مزيد من التنظيم والتكامل . وحتى في امريكا ، التي بقيت حتى الآن بفضل مواردها المحلية الغنية وبفضل انعزالها النسبي بنجوة من اي ضغط كثير الالحاح لادخال مزيد من الكفاءة الاجتماعية على نظامها الصناعي ، حتى في امريكا يجب ان يكون واضحا ان الاختيار الذي يتحتم اتخاذه ليس ما اذا كان ينبغي لنا ان ننظم حياتنا الاقتصادية ومطامحنا ام لا ، بل ما هو نوع المراقبة الاجتماعية ولون العقائد الموحدة (الجامعة) التي ينبغي ان نلجأ اليها ، لكيما نحيا مع التقنولوجيا الحديثة ومع اولئك الذين وقفوا من مطاليبها موقفا فيه نصيب اكبر من الجدية والاهتمام . ويبدو ان مجال الاختيار على الاقل هو بالنسبة الينا اوسع مما كان مهيأ لاوروبا .

وكذلك العلم والفلسفة لم يظلا ، بتأثير من حركة القرن التاسع عشر ذاتها ، في نجوة من الانقسام الى بضعة اتجاهات ومثل عليا متباينة . فالعلوم المختلفة التي كانت تحتضنها فلسفة واحدة أعني « الفلسفة الطبيعية » قد تفرقت واتجهت نحو اهداف بينها اختلاف مذكور . وبدلا من بعض المبادىء والاتجاهات المشتركة المقبولة في الفلسفة من قبل جميع الناس ، انقلبت المحاولة التي كانت تهدف الى تكوين نظرة عامة عن العالم والى التمييز تمييزا واضحا بين الاشياء المفيدة للحياة الصالحة والاشياء الضارة بها ، انقلبت هذه المحاولة شيئا فشيئا فاصبحت مهمة جماعة من الناس بل مهمة فردية . فانت واجد بين الاجيال التي سبقتنا فلسفات متباينة متنازعة بدلا من فلسفة واسعة

الانتشار معبرة عن نظر ومطامح عصر بكامله او جماعة بكاملها على الاقل . فالى جانب جميع الافكار والمطامح التي ولدت في العالم منذ ايام نيوتن ولوك بقيت جميع الافكار والمطامح القديمة ، وقد ادى هذا الى محاولات متعددة للوصول الى نوع من التوفيق بين العديد من الاتجاهات المتباينة التي يتألف منها محتوى العقل الحديث .

مقابل السعي المتواصل المتلهف للوصول الى تنظيم اقتصادي وسياسي ، ارتفعت الاصوات منادية بنوع من التركيب الفكري الجديد الذي يستطيع ان يؤلف ما بين الآراء المتباينةالمتحزبةلدى جماعاتنا المتنافسةواختصاصيينا الضيقي الافق ، ويوحدها تحت راية مجموعة من القيم والمثل العليا الاجتماعية المشتركة العامة . ومن سوء الحظ ان العقائد الاجتماعية الموحدة التي كانت ظهرت في اوربا استجابة لهذه الحاجة الماسة لا تقدم دليلاكافياعلى انالمركب لفكري الجديد الذي قد يكون له حظ من القبول والتأثير ، هو مركب يمكن ان يرضي عقلا الف الروح الحرة الطلقة التي طبعت الماضي القريب . فهذه العقائد تتصف بانها سلبية ومتزمتة ، مانعة لا جامعة ، موجه بعضها توجيها مريرا ضد بعض . ثم انها تتخلص عن جزء كبير مما يؤثره الناس ويحبونه ، لكن الاهم من كل هذا انها لا تقدر حق القدر قيمة البحث العلمي الذي يعد العصب الحقيقي لمذهب التصنيع Industrialism الذي ولدت لخدمته ، حتى يبدو بعيدا عن التصديق ان تتمكن من الاستمرار في شكلها الحالي رغم مقدرتنا على فهمها باعتبارها محاولات يائسة في ايام الازمة الحادة . انها اشبه بتلك الفلسفات اللاهوتية Theologies المتعصبة المتشددة في عهد الاصلاح Reformation التي الفت بين الناس ضد مؤسسات عالم القرون الوسطى الآخذ في الانهيار ، وذلك لانه ترجع الى الماضي الذي يودعه الناس لا الى ثقافة المجتمع الصناعي الجديدة التي تهيء لها التربة الملائمة على غير علم منها . وكتلك الفلسفات اللاهوتية ايضا ، سوف تتسع فلسفاتنا الدنيوية وسيعاد تفسيرها ويزداد غناها كلما قلت حدة الضغط . ان الانجذاب الى مثل هذه المذاهب الاجتماعية المتزمتة المتعصبة في الوقت الحاضر ، ليس الا دليلا آخر على الضغط الفظيع الذي يدفع الناس الى التضحية بجميع قيمهم الاخرى التي تعبوا كثيرا في بلوغها فيسبيل الحاجة الى التنظيم الاجتماعي .

ومع ذلك يبدو من غير المحتمل ان يكون في وسع امريكا نفسها تجنب عقيدة اجتماعية اكثر وحدة مما كان ضروريا في الايام الاكثر رخاء التي رافقت التوسعالاقتصادي المطلق العنان . ان البحث المتواصل الحديث في التقاليد الامريكية وفي المثل العليا الامريكية التاريخية ، الذي يتوج جهود عشرات السنين من البحث في النقد الذاتي الاجتماعي يبعث على الامل بان العقيدة الفكرية الموحدة التي سنصوغها ستكون اقدر على الحياة مع جوهر قيم ماضينا ، على الاقل ، مما يبدو ممكنا بالنسبة الى البلاد الاخرى . فبفضل ما يتوافر لدينا من اوضاع ملائمة هناك احتمال يجدر بنا النضال لتحقيقه ، وهو ان نتمكن ، بفضل الجهود الامريكية الرامية الى تنظيم صناعي ، من بناء عقيدة موحدة Synthesis تكون شاملة لا مانعة ، خالصة من التعصب الاعمى والقومية المتطرفة ، تركز ايمانها بالطرائق النقدية في العلم والمعرفة لا بالشعارات الفارغة وبكره الجماعات الاخرى . وقد وضع المفكرون الامريكيون فعلا الخطوط الكبرى لمثل هذه العقيدة الانسانية المستنيرة . لم يحن الوقت بعد لنعرف ما اذا كان مقدرا لصيغهم الانتشار الكافي ام لا ، وما هي التدابير التي من شأنها ان تجعل تلك التربية السياسية ناجعة لكن لما كان تحليلنا للفكر في السنوات المائة الاخيرة يقضي باصطفاء ما كان مهما بين الافكار فان الاهتمام بمشكلة تحقيق مثل هذا الهدف هو الذي اتخذ معيارا للافكار .

اما الحكم العام الذي يمكن اصداره على هذه الفترة دون خشية اعتراض فهو ان كل ميدان من ميادين المعرفة والبحث كان يمر في نمو وتوسع سريعين . والمفهوم الوحيد الذي وافق عليه المفكرون من كل الالوان والبيئات هو ان العالم ، مهما يكن من باقي صفاته ، ليس شيئا ثابتا ولا ناجزا بل هو نفسه ، في كليته وفي كل جزء من اجزائه ، في تبدل ونمو . ان هذا الحس العميق باهمية الزمن ، باهمية التبدل التاريخي ، الذي يشمل كل شيء ، من النجوم والذرات الى المجتمع والعقائد والمثل العليا البشرية ، هو الجو الفكري المشترك في الازمنة الحديثة . اما الى اين يتجه نمو عالمنا الفلكي البشري ، وهل يصح دعوة هذا النمو تقدما فمسالتان يختلف فيهما الناس جميعا . الا ان قليلا منهم من يرتاب في وجود الصفة الاساسية أي صيغة التبدل مع الزمن . لذلك اذا جاز لنا النظر الى عالم القرن الثامن عشر باعتباره في اساسه نظام طبيعة ازلية ، حق لنا وصف الكون الذي عاش فيه الناس منذ ذلك العهد بانه عالم نام Growing World للزمن فيه وللتبدلات الزمانية اهمية بالغة .

ان التحول الحديث في الاتجاه الفكري حديثا الذي جعل جيلنا نحن يتميز عن القرن التاسع عشر لم يكن سوى التأكيد على حقيقة النمو والتطور تأكيدا اقوى من ذي قبل . ان الحقائق الخالدة التي نجت حتى الجيل الماضي ، من هجمات المؤرخين واصحاب مذهب التطور قد انتهى بها الامر ان الت الى اثر من آثار تاريخ بعض العصور او من

تراث بعض الثقافات التاريخية . واما الذي تحول تحولا عميقا فهو فكرتنا عن طبيعة النمو والتطور ذاتها . فالعناية الالهية التي كان يؤمن بها اصحاب مذهب التطور في القرن التاسع عشر ، والتي كانت تضمن تقدما سهلا تلقائيا خلل التطورات الجارية وتجعل من هذا التطور حرية تزداد اتساعا من سابقة لاخرى ، هذه العناية الالهية قد مضت لتلحق بالمدينة السماوية التي كان القرن الثامن عشر يؤمن بها . اما نحن فنعلم الان ان النمو ليس سهلا ولا تلقائيا ، بل هو يقتضي عرقا وكدحا ودما ودموعا ، وصراعا ونضالا وعملا شاقا ، ويحتاج فضلا عن ذلك كله الى اشد انواع الجهود البشرية ثباتا ودواما . كما نعلم ايضا ان تنظيم شرائط الحرية اكثر مشقة . اننا لا ننظر الى اي نوع من انواع التقدم التي لا نزال في الوقت الحاضر نطمح اليها ، كما ننظر الى هبة من هبات السماء او التطور ، بل نعدها مسؤولية ملقاة على عاتق ذكاء الانسان وتخطيطه . وثقتنا في حسن عواقب اعمالنا اضعف كثيرا من ثقة آبائنا . ولكننا اشد اقتناعا منهم بان كل ما يتم يجب ان نتمه بانفسنا . ان عالمنا البشري ينمو باسرع من نموه في اي وقت مضى ، ولكن هذه الحقيقة بالذات هي التي تتحدانا الى توجيه هذا النمو وقيادته وتنظيمه ، هذا المفهوم الجديد للتبدل الزماني ينسجم انسجاما حسنا مع حاجتنا الاجتماعية الاساسية الى تنظيم المجتمع حول ادوات التقنولوجيا . لقد ظل العالم النامي عدة اجيال يبدي تحررا مفرحا ، واملا في الجديد من الاعمال والجديد من الحريات اما اليوم فقد غدا في اساسه مشكلة من المشاكل السياسية هي مشكلة جعل الناس يعملون مجتمعين باساليب جديدة.

وقد حدث خلال الفترة كلها نوع من التقدم لا سبيل الى الشك فيه او نكرانه . اذ كانت المعارف العلمية تتراكم بسرعة متزايدة . ففي كل سنة كنا نتعلم كيف نصنع اشياء جديدة لم نكن نصنعها من قبل مستعينين على الاخص بالقوى والمواد الطبيعية التي يضعها عالمنا بمنتهى الوفرة والسخاء تحت تصرف حذقنا ومهارتنا . ولكن علمنا ذاته قد تحول ، شأن كل شيء آخر في ثقافتنا ، من نمو حر الى مشكلة تنظيم اجتماعي . كان العلم في القرن التاسع عشر بحثا عن الحقيقة يتسع بلا توقف اما الآن فقد اصبح ، سواء في نظرياتنا ام في تطبيقنا ، اداة بشرية بالدرجة الاولى يجب اتقانها واستخدامها لتحقيق الاغراض البشرية. وقد غدت ادارة هذه الاغراض هي المشكلة الاساسية في هذه الايام .

رد الفعل في وجه عصر العقل

ان الخطوات الاولى التي تم بها التحول من عالم القرن الثامن عشر الى العالم الذي يحيا الناس فيه في الوقت الحاضر تمتاز بظهور رد فعل عنيف ضد الطرق والمثل العليا العلمية لعصر العقل . ففي ختام القرن الثامن عشر ظهرت في اوربا عدة اتجاهات كان بعضها يمثل رد الفعل ضد مفاهيم العالم النيوتوني والبعض الآخر يمثل بعثا لقوى كانت لا تزال موجودة بشكل خفي في الحضارة الغربية منذ عصر النهضة Renaissance هذه الاتجاهات المجتمعة بشكل ضعيف تحت اسم المذهب الرومانطيكي Romanticism كانت تؤكد الجانب العاطفي لا الجانب العقلي من الطبيعة البشرية، كما كانت تهتم بنمو الافراد والجماعات نموا غنيا متعدد الالوان نموا موحدا آليا . والاهم من كل ذلك انها كانت تعنى بخلق الاشياء ونموها لا بتنظيمها تنظيما آليا . وامتاز النصف الاول من القرن التالي (التاسع عشر) بمفاهيم متصارعة ، وهي نضال المجتمع القديم ضد الافكار الثورية ، وآراء الطبقة المتوسطة ازاء القوى النامية لحضارة صناعية، والحركة الرومانطيكية في وجه نمو المعارف العلمية المطرد. هذه التيارات المتعارضة ادت بالتدريج الى امتزاج مثل القرن الثامن عشر مع الاتجاهات الجديدة ، والى تكوين جو فكري ملائم لتقبل فكرة التطور العظيمة التي تميز بها القرن التاسع عشر . وقد اتسعت فكرة النمو والتطور هذه ، تؤازرها التبدلات الاقتصادية والاجتماعية السريعة ويدعمها ميدان العلم التجريبي الواسع ، حتى شملت ولونت جميع نواحي النشاط البشري ، هذا بينما تقدم البحث العلمي في الوقت ذاته تقدما مكنه من الادعاء بانه قد وضع الخطوة العامة لتفسير ميدان الخبرة البشرية كله تفسيرا طبيعيا كاملا . وقد ادى كل ذلك الى حدوث تبدلات والى اعادة نظر في الافكار والمثل العليا الفلسفية والدينية والاجتماعية ، على تعددها وتعارض بعضها مع بعض ، وربما تجاوزت هذه التبدلات من حيث اهميتها واتساع مداها ما كان ضروريا لتحويل عالم القديس توما Saint Thomas ودانتي Dante الى كون نيوتن Newton ولوك Locke والى هذه التبدلات يجب ان نصرف الآن عنايتنا .

لم يكن بد من ان يدفع عصر العقل الناس الى رد فعل. فالمقارنة ما بين التركيب الذي عرفه القرن الثامن عشر وذلك الذي عرفه القرن الثالث عشر تظهر لنا في الوقت الحاضر ، ان التراث العلمي للقرن التاسع عشر كان رغم عظمته واتساعه وبعد مداه ، اداة أقل ملاءمة للتعبير عن ميول الطبيعة البشرية واهتماماتها المتعددة . لان الرجل المتوسط كان يرى وجهة نظر دانتي أقرب الى خبرته وأدنى الى فهمه — ذلك ان العلم ونزعة الفكر العلمية شيئان نادران وعسيران ، يقتضي اكتسابهما كثيرا من الجهد والعمل وربما يعسر على عدد كبير من الناس ادراكهما — وبالاضافة الى ذلك فان التأكيد على العقل والذكاء وحدهما يعجز عن الاخذ بجانب كبير مما هو خالد وثمين في الخبرة البشرية . لذلك لم يكن عبثا ان عصر النور لم يضف شيئا مذكورا يضاهي اعظم الآثار في الفن والشعر . اذ كانت قصور فرساي وحدائقها واعياد Watteau الخلابة المبهرجة ، ومقطوعات Pope الشعرية المزدوجة (الروبيت) وملهاة موليير البراقة، ونكتة فولتير Wit of Voltaire — كانت هذه هي الثمار الطبيعية لعالم نيوتن . وهي رغم عظمتها لا نراها تنطوي الا على جانب يسير من الخبرات التي امكن التعبير عنها في ارقى آثار الفن . لقد ساءت سمعة عصر العقل في الوقت الحاضر رغم دعاواه الكثيرة العادلة . ساءت لا لان معتقداته لم تكن صحيحة ، ولا لانها لم تكن معقولة ، بل لان المثل الاعلى للحياة الذي كان يقدمه للناس كان واهيا سطحيا هزيلا . فمن الجائز ان يكون الانسان حيوانا عاقلا ، غير ان جانبه الحيواني اعمق جذورا من جانبه العقلي ولذلك فانه لا يستطيع العيش على الحقيقة وحدها . وكان اكثر الناس في القرن التاسع عشر اما عقليين اقل مما ينبغي او عقليين اكثر مما ينبغي ، فلم يتقبلوا نزعة عصر النور العقلية . ورأيناهم اما راجعين القهقرى الى القول مثلا ،

بمذهب غيبي مؤسس على الايمان ، او متقدمين الى مذهب طبيعي Naturalism قادر على رؤية عظمة التقاليد الدينية وقيمها من دون ان يهوي الى هوة التفاسير الحرفية الساذجة naïve a litteral-mindedness اما في وقتنا الحاضر فيبدو ان عبوس مذهب التوحيد Unitarianism لا يستهوي الا افرادا قلائل من بين كل من اتباع السنن والمنطلقين منها .

ولا شيء يوضح الروح الجديدة أفضل من الاسلوب الذي استقبل به غوته Gœthe واصدقاؤه من Strasburg في ١٧٧٠ كتاب هولباخ Holbach نظام الطبيعة System of Nature الذي يعبر اكمل التعبير عن عصر التنوير Age of Enlightenment انه المذهب الرومانطيكي يقف وجها الى وجه امام العلم النيوتوني ويجده غير وارد اكثر مما يجده مغلوطا.

نحن لا نملك الدافع ولا الميل الى الاستنارة والرقي باسلوب فلسفي ، ففي الموضوعات الدينية خيل الينا اننا قد استنرنا استنارة كافية لذلك لم نبال كثيرا بالمشادة التي وقعت بين الفلاسفة الفرنسيين ورجال الدين. ولم تكن الكتب المحظورة ، التي كان يرمى بها في النيران فتحدث من جراء ذلك ضجة كبيرة ، لم تكن لتؤثر فينا شيئا . اذكر على سبيل المثال كتاب Système de la Nature الذي تصفحناه بدافع الفضول لا غير ، وهو مثال يغني عن سائر الامثلة . فلم نفهم كيف يصح ان يكون مثل هذا الكتاب خطرا . اذ بدا لنا مظلما جدا ، كئيبا جدا ، شبيها بالموت ، الى حد ان بقاءه كان يزعجنا، وكنا نرتجف منه كما لو كنا ازاء شبح مخيف. ويخيل للكاتب انه يقدم الكتاب تقديما حسنا عندما يصرح في مقدمته بانه ، شأن الرجل الشيخ العاجز ، يود قبل مغادرة الحياة ان يعلن الحقيقة لمعاصريه وللاجيال التي ستخلفه

فسخرنا منه ، لظننا اننا قد لاحظنا الرجال المسنين لا يستطيعون تذوق او تقدير اي شيء جميل او صالح في العالم « ان للكنائس القديمة نوافذ ، فلكي نعرف طعم الكرز والتوت البري ينبغي ان نسأل عنه الاطفال والعصافير » . تلك كانت مبادئنا وكذلك كنا نتندر ، وهكذا بدا لنا ذلك الكتاب ، الذي يمثل عصارة الشيخوخة ، غير مستساغ بل سخيفا . « كل شيء موجود بحكم الضرورة لذلك ليس هناك اله » . هذا ما ردده الكتاب . فسألنا نحن : « الا يمكن ان يوجد اله بحكم الضرورة ايضا ؟ » وكنا نعترف ، في الوقت ذاته بانه ليس في وسعنا النجاة من ضرورات الليل ، والنهار ، والفصول ، وتأثير المناخ ، والظروف الطبيعية والحيوانية ، بيد اننا كنا نشعر في دخيلة نفوسنا بشيء كان يبدو حرية كاملة للارادة وبشيء كذلك يجهد لمعادلة هذه الحرية في الاهمية.

لم نستطع التخلي عن املنا في ان نزداد حظا من النظر الى الامور بمنظار العقل ، وفي ان نزداد استقلالا عن الاشياء الخارجية بل عن نفوسنا . ان لفظة الحرية ذات وقع جميل جدا فلا غناء لنا عنها ولو كانت تشير الى خطأ .

لم يقرأ احد منا الكتاب كله ، لاننا الفينا انفسنا قد خدعنا عما كنا نتوقعه منه عندما فتحناه . كان يعلن عن نظام الطبيعة ، فكان املنا ان نتعلم حقا شيئا عن الطبيعة ـ صنمنا . فالفيزياء والكيمياء واوصاف الارض والسماء ، والتاريخ الطبيعي وعلم التشريح وكثير غيرها كانت منذ سنين وحتى هذا اليوم تنمو بنا نمو العالم المزخرف العظيم وكنا نتمنى لو اننا قد سمعنا المعلومات العامة والتفصيلية عن الشموس والنجوم والسيارات والاقمار ، والجبال والوديان ، والانهار والبحار ، وعن كل ما يحيا ويتحرك فيها . لم نشك في انه لا بد ان تحدث ، خلال ذلك ، أشياء كثيرة تبدو مؤذية في عين الانسان العادي ، وخطرة في نظر رجل الدين وممنوعة في راي الدولة ، وكنا نتمنى لو ان الكتاب الصغير خرج مشرفا من هذه المحنة الصعبة .

لكن كم كان شعورنا بالخيبة والفراغ عظيما وسط هذا الجو السوداوي في هذا الليل من الكفر الذي رأينا الارض فيه تتلاشى مع كل صورها ، والسماء تغيب مع كل نجومها . اذ ذهب الكتاب الى ان هناك مادة تتحرك منذ الازل ، وبهذه الحركة ذات اليمين وذات الشمال وفي كل الجهات ، وبلا أي شيء آخر تخلق مظاهر الوجود التي لا تعد ولا تحصى . وقد كان يمكن ان نغض الطرف حتى عن هذا كله لو ان المؤلف قد بنى لنا من مادته العالم الذي يوجد امام اعيننا . لكن يبدو انه لم يكن يعرف عن الطبيعة اكثر مما كنا نعرف ، لانه ، بعد ان اقام بعض الافكار العامة ، نراه يتركها مرة واحدة ، من اجل تحويل ذلك الذي يبدو اسمى من الطبيعة ، او طبيعة اسمى داخل الطبيعة ، الى مادة والى طبيعة ثقيلة ، تتحرك حقا ولكن بلا اتجاه ولا شكل ـ وبذلك خيل اليه انه ربح ربحا عظيما .

وبعد اذا كان هذا الكتاب قد أساء الينا بعض الاساءة فكان سبب نفورنا الشديد من كل فلسفة ولا سيما الميتافيزيك وعلة بقائنا على ذلك النفور ، فاننا من الجهة الاخرى ، قد القينا بانفسنا في احضان المعرفة الحية والخبرة والعمل وقرض الشعر واضعين في ذلك المزيد من الحياة والعاطفة .

من العبث الجدل في ما اذا كانت الحركة الرومانطيكية « خطوة الى الامام » ام خطوة « الى الوراء » . لكن من الواضح انها كانت متوقعة ، ومن الواضح كذلك انها غطت على بعض الاشياء العظيمة الاهمية كما ادخلت الى العالم تأكيدا جديدا ولازما على جوانب من شخصية الانسان الغنية بالالوان كانت قبل ذلك مهملة في الميدان النظري على الاقل . وقد يصدق على المثل الاعلى للحياة في القرن الثامن عشر الذي اقصي عنه كل ما لم يكن عقليا او مفيدا ما قاله روسو عن الديمقراطية من انها لا تصلح الا لمجتمع مؤلف من آلهة ، ولكن الناس ليسوا آلهة ولا هم يرغبون في ان يكونوا كذلك . اذا علمنا الآن ان العالم قد سلك سبيله غير ابه اطهرت نيرانه المقدسة الحياة الصالحة ام أتلفتها ، وان جهود البشر للوصول الى اشياء افضل قلما كانت تستنير بنور المعرفة الصحيحة ، اذا علمنا الان ذلك وجب ان نعزو القسم الاكبر من هذه المعرفة الى الحركة الرومانطيكية . واذا استطعنا نحن المعاصرين ان ندعي الى حد ما ان اشواقنا تقوم على اساس اقوى من الاساس الذي كانت تقوم عليه اشواق توما ودانتي ، واننا قد لطفنا من حدة العلوم بالحكمة الحسنة اكثر مما فعل عصر التنوير ، فان ذلك ايضا ينبغي ان يعزى الى ذلك الاتحاد الموفق عموما ، الذي نجحنا في اقامته بين العقل والمذهب الرومانطيكي . ومهما يكن الامر فان القرنين التاسع عشر والعشرين ينعمان من الثورة الرومانطيكية بتراث ضخم يبدو انه لن يمحى ابدا من الخبرة البشرية .

الجامعة الامريكية ببيروت **جورج طعمة**

نعش السكارى

○

اغنية بعد منتصف الليل

•

لخليل حاوي

•

الجامعة الامريكية ببيروت

○

ولماذا أنتِ ما زلتِ تغنّينَ العذارى
وصباباتِ العذارى ،
وصفاء الظلّ والينبوعِ في « صِنّينَ »،
والامَّ التي ترحمُ ، والاهلَ الغيارى ؟
أنتِ يا موطوءة النهدين يا نعشَ السكارى!
وتغنّينَ ، كأنّ الظلَّ في عينيكِ
ما ماتَ ، ولا الينبوعَ غارا ،
وكأنّ العاصفَ العاتي
سيرثي لبغيٍّ بعدَ حينٍ تتوارى
بعدَ أنْ تمتصّها الحاناتُ
ترميها الى الشارعِ تفلاً وغبارا ،
وتغنينَ العذارى
وصباباتِ العذارى
أنتِ يا موطوءة النهدين يا نعشَ السكارى!

* * *

أتغنّينَ لنا الحبَّ ونجواه ولينَه
وصفاء الأمسِ في أرضِ السكينَه
أتغنّينَ ؟
وهلْ أبقى لنا ليلُ المدينه
أضلعاً تشتاقُ ما كانَ وتشتفُّ حنينَه!
نحن ما جئنا لنحيي الأمسَ
او نبكي جنونَه ،
وتغنينَ لنا الحبَّ ونجواه ولينَه
للسكارى في المواخيرِ اللعينه .

آهِ ما يجدي ضحايا السّأمِ الملعونِ ،
ما يجدي نداماكِ الحيارى
آهِ ما يجدي جلاميدَ الصحارى
نغمٌ نديانُ يحكي عن صباباتِ العذارى
آهِ ما يجديكِ أنتِ ،
أنتِ يا نعشَ السكارى !!

الخلق قبل العلم

لا اذكر أين قرات للعالم الرياضي الاكبر اينشتين، على أثر نجاح العلم في تحطيم الذرة ، ما مؤداه: انه ينبغي لنا ان ندون هذه الاسرار الخطيرة ، ونضعها في صندوق حديدي، تحرم فتحه، قبل ان يتحقق في العالم التفاهم الشامل . وقد ذكرتني هذه النبذة آنذاك بما قيل عن ماركوني ــ ابي اللاسلكي ــ من انه اهتدى الى صنع جهاز يولد اشعاعا يخطف الحياة حالما يصوب الى صاحبها ، لكنه ، قبل ان توفي ، حطم هــذا الجهاز الجهنمي ، واتلف رقيم اسراره . ولا شبهة في ان الذي دعا اينشتين الى الحكم بالسجن على اسرار الذرة ، وحمل ماركوني على الحكم بالاعدام على اشعة الموت ، هو يقينهما بان العالم لم يبلغ بعد خلقيا سن الرشد ، ولذلك لا ينبغي ان يجاز له حمل سلاح فتاك من هذا النوع . والذي يشهداليوم هذا السباق بين دول العلم الكبرى في اختراع الاسلحة الجديدة، وهذه المباراة في تحسين آلات الدمار، يشارك العالمين الكبيرين ــ ولاشك ــ في شعورهما الانساني السامي .

يعاني العالم اليوم أزمات خانقة في ميادين الحياة على اختلافها ــ في الاقتصاد ، والاجتماع ؛ والاخلاق ــ ومرد هذه الازمات ، فيما يبدو للمعنيين بشؤون التربية. اولا : الى التفاوت المشؤوم بين المدى الذي بلغه الانسان من التقدم في العلم المجرد من جهة ، والمستوى الذي استقر عنده الخلق العملي من جهة اخرى ، وثانيا : الى المباينة فــي التسامي الخلقي ما بين الفرد والجماعة . ذلك ان الانسان قد نما نموا محسوسا بمعارفه ، وتوســـع بمخترعاتـــه وكشوفه ، فنجح في قهر المسافات وتحدي الامراض وتأمين الرفاهية نجاحا باهرا ، لكنه لم يسر سيرا متوازيا في ميدان التسامي الخلقي ، ولا تقدم تقدما متكافئا في مضمـــار الخدمة الانسانية . وغير خاف ان العلم وحده ليس ضمانة للخير ، ولا هو كفيل ببناء مجتمع افضل ، لانه وسيلة لا غير ؛ وهو بوصفه هذا ، خليق بان يتخذ سبيلا للخير وللشر على السواء . فالتقدم العلمي وحده لا يحتم التفاؤل ، بل يزيد في المحاذير . وفي مقتضيات التحفظ . يشهد على صحة ذلك . تكاثر الاختراعـات في ازمـــان الحروب ، والمبادرة الى استخدامها في التدمير ؛ قبل تحويلها الــى المنافع العامة . وعهدنا بالسيطرة على القوة الذرية ليس ببعيد . وانما كان ذلك كذلك لان الانضباط الخلقي فــي العالم لم يساير التقدم الفكري ، ولان الوعي الوجداني لــم يرق الى مستوى التحصيل العلمي . والخلق هو العامـل الموجه في حياة الانسان ، وهو بالتالي المحلـل والمحـرم والدافع والزاجر .

لذلك كان في اتساع دائرة العلم زيادة في احتمالات الشر ، وفي امكانات الخير ، وكان القول الفصل في تدمير العالم او تعميره ، للخلق وحده . فما لم نرتفع خلقيا الــى مستوى معارفنا ، سيظل العالم تحت رحمة العلم . لقـد اصبح العالم اليوم في علمه جبارا ، كشمشون في قوتـه لكنه لا يزال قزما في وعيه الوجداني . والخطر كل الخطر في ان تجيئه الكارثة الكبرى من ناحية تفوقه ، كما جاءت شمشون ، فتكون وبالا على العدوين . ولن يزول هــذا الكابوس الجاثم على صدر العالم ، حتى يكون له مــن الانضباط الخلقي مقص كمقص دليلة . والحق اننا اليـوم الى رجال طيبين احوج منا الى علماء ونوابغ .

وهذا ــ على خطورته ــ ليس كل ما في الامر ، ولا اخطر ما فيه ؛ بل ما هو ادهى وأمر اننا كمجموع أحط منا كافراد . ذلك اننا قد اجزنا ، كمجموع ، الكثير من الرذائل التي نبذناها كافراد ؛ واعرضنا ، كمجموع ، عن كثير مــن الفضائل التي تحققت عندنا كافراد . فقد نبذنا الـكذب في عالم الفرد ، وقبلناه في المجتمع باسم اللياقة والمجاملة ، وحقرنا الخداع والتدجيل فردا لفرد ؛ وقبلناهما فــي المصالح باسم الاعلان والدعاية ، وحرمنا السرقة في العدوان المباشر ، وبررناها في الاسواق باسم المساومة والسمسرة . وعلى هذا النحو اعتبرنا ــ من الجهـة الثانية ــ الصـدق صلفا وخشونة ، والاستقامة سذاجة وحماقة ، والتحرج والتأثم جهلا وغباوة . فالازمة الاجتماعية ، كما يراها المربي، انما هي ناشئة عن هذا التفاوت بين التوسع العلمـي ، والتقدم الخلقي ؛ وعن هذه المباينة بين الضمير الـفردي والوجداني الجماعي؟ فهل من سبيل الى تلافي هذه المزالق ؟

لا ازعم ان الامر سهل ، ولا ان اصلاح العالم ، امـر ميسور التحقيق . لكن الذي لا يدرك كله لا ينبغي ان يترك جله . فلعلنا ان نحن أصبنا في اختيار نقطة الانطلاق ، وفي تعيين وجهة السير ، سلكنا في السراط المستقيم . ونقطة الانطلاق ــ على ما يبدو لارباب التربية ــ هي التعليـم الابتدائي ، ووجهـة السير هي التدريب عـلى الفضائـل العملية ، وذلك بان نهتم بالتوجيه الخلقي اهتمامنا بالتوجيه العلمي ، وان نعنى بالتطبيق الخلقي عنايتنا بالتطبيق العلمي. كم اتمنى لو كان عندنا مقاييس عملية نقيس بهـا اخـلاق الطلاب كما نقيس بالامتحانات معارفهم فنعمد الى تطبيقها عمليا كما نطبق مقاييس العلم في المختبرات ، ونحكم بهـا على الطالب فينجح او يرسب ذلـك لان زيادة المعرفـة للمنحرف خلقيا تجعل منه خطرا اشد على راحة المجتمع .

وقد يبدو ذلك لاول وهلة عسيرا او مستحيلا ، لكنـه لا يلبث ان يهون بعد التأمل ويسهـل ، وتنكشف سبلـه وتتضح معالمه . من ذلك ــ على سبيل المثال ــ التدريب الرياضي ، فهو يعزز الروح الرياضية ؛ ويقوي في النفس الشعور باحترام المنافس ولو كان خصما . ومن ذلك ايضا الاعمال التعاونية نظير اقامة الحفـلات التمثيليـة ، وانشاء التعاونيات الاجتماعية للترفيه عن المستضعفين . ومنهـا انشاء الجمعيات الادبية والعلمية التي تدرب الناشئين على بحث مشاكلهم بالطرق البرلمانية ، وعلى طلب الحلول الممكنة بالتفاهم والاتفاق . ومنها التدريب على الحكم الذاتي في الصفوف ، وفي ساعات الاستعداد ، واوقات الامتحان . فان ذلك كله يعزز الثقة بالنفس ، ويقوي الوعي الوجداني. هذا ، وكثير مما يجري مجراه ، يهذب الخلق الجماعـي ، ويقرب التفاهم بين الافراد ، ويأول بالتالي الى وجـود صعيد مشترك لبحث المشاكل الناشئة .

هذه خاطرة عامة عابرة . اما تفاصيلها وملابساتها العملية فمن شأن ارباب الاختصاص . بسطناها ونحـن املون ان يوليها المربون الاهتمام الذي تستحقه ، ويعالجوها من الناحية العملية بما لديهم من علم وخبرة .

الجامعة الاميركية بيروت **كمـال اليـازجي**

الباحث عن السعادة

بقلم مير بصري

O

أخذ المطر يهطل مدرارا ، فهرب البط السابح في البحيرة يبحث عن ملجأ تحت الجسور . وسار فادي بخطا سريعة مستظلا مع الفتاة السائرة الى جانبه مظلة واحدة حاولا ان يتقيا بها شآبيب الماء ، في حين اسرعت الجماهير المنطلقة من المهرجان الذي فضه المطر الفاجيء تتسابق وتتزاحم وتتدافع بالمناكب كالزوارق التي شردتها العاصفة.

ووصل فادي وصاحبته الى زاوية يظللها سقف معقود فوقفا يلهثان . وخفض الشاب مظلته لتتساقط منها قطرات الماء ثم تنفس الصعداء وقال : « اي حظ سعيد اوحى الي ان اصطحب مظلتي في هذا الصباح الشامس ؟ »

وقالت الفتاة : « وانا اي حظ سعيد قد الهمني ان اجلس الى جانبك في المهرجان ؟ » ثم نظرت الى صاحبها واضافت : « يبدو لي انك غريب في جنيف ، فمن أي البلاد انت ؟ »

— انني قادم من بلد بعيد ، من وراء البحر . وانت ؟

— انا سويسرية لحما ودما ، من بعض القرى الرابضة على سفوح الالب ، وقد جئت الى هذه المدينة لاشاهد اعيادها الصيفية تضفي انوارها على البحيرة الخالدة وتجتذب الناس من البلدان القاصية والدانية ... ان مهرجان هذه السنة ، ويا للاسف ، قد عكر صفوه المطر ، ويقيني اننا سنحرم في الليل مشاهدة الالعاب النارية البديعة .

— اياك والتشاؤم ، يا عزيزتي ، فانت تعلمين تقلب الجو ، ولعل الغيوم ، تنقشع بعد وقت قصير ، فتستانف الالعاب وتخرج المواكب في وهج الانوار الساطعة ...

وهنا تنبه فادي انه لم يعرف حتى الان اسم صاحبته الجميلة ، فقال : « اليس من الغريب اننا نتبادل الحديث منذ ساعة او اكثر دون ان نتعارف ؟ »

قالت : « انا انطونيا ، وانت ؟ »

— انا فادي .

— ان اسمك لا يرن غريبا في مسمعي ، وان تكن قادما من وراء البحار كما قلت منذ هنيهة ...

واخذ سيل المطر يخف شيئا فشيئا ، فرفع فادي مظلته وعاودا السير جنبا الى جنب . وواصلت الفتاة كلامها المنقطع: « انك سعيد بالسفر ورؤية الاقطار النائية والتعرف بالناس من مختلف الاجناس والاقوام . يا لشد ما اعشق الاسفار ، لكن يجب ان اعترف انني لم اتخط الحدود السويسرية في حياتي .. »

— ان السفر ، لو علمت ، متعب في معظم الاحيان . تركت بلدي منذ شهرين لارى العالم ، وكثيرا ما تمنيت ، في زحام الفنادق والمطاعم والمقاهي ، لو كنت جالسا بهدوء في داري محاطا بالاشياء الصغيرة اللطيفة التي الفتها وتعودتها .

— لعل لك زوجة جميلة تحن اليها واطفالا صغارا تفكر فيهم .

— لا زلت عزبا ، وليس لي زوج ولا اولاد .

— ما الذي تفتقده اذن في سياحتك ؟ انك ، ولا ريب ، ثري عظيم لتستطيع ان تجوب الامصار متنزها كل هذا الوقت ، ولك في بلدك قصر منيف ومكتب انيق وسيارة فخمة وكتبة وخدم ... هل انت رجل اعمال ؟

فقهقه الشاب ضاحكا وقال : « رجل اعمال ؟ هل تدل ملامحي على رجل اعمال متغضن الوجه ، ضخم الجثة ، منتفخ الاوداج ، يامر وينهي في جيش عرموم من الاعوان والمستخدمين ؟ »

ولم تتمالك انطونيا ان ضحكت هي ايضا ، وهي تحدق في هذا الفتى الوسيم المتأنق الذي بدا لطول قامته ادق بنية واصلب عودا . وقالت : « ولكنك ، على الاقل ، ابن رجل اعمال من اصحاب الملايين ، وهو لا يبخل عليك بالنقود التي يسعى لكسبها اناء الليل واطراف النهار . »

— بل انا موظف صغير ، ولا مورد لي غير راتبي الضئيل الذي ادخرت منه القليل شهرا بعد شهر لانعم بهذه الرحلة .

— هل تريدني ان اصدق ذلك ؟ يا لك من خداع عظيم !

وكذلك توطدت اواصر الصداقة بين هذا السائح الغريب والفتاة القروية اللعوب . وكأن الطبيعة قد رأت ان تكفر عن ذنبها في تعكير جو اليوم الاول من المهرجان ، فتتابعت الايام صافية دافئة جميلة . وارسلت الشمس اشعتها تداعب مياه البحيرة المتلالئة ، حيث يصب نهر الرون وتحيي اعراس الماء والكهرباء ، فعجت المدينة بوفود الغادين والرائحين ، وتراءت في الافق البعيد قمم الجبال يكسوها الثلج الابدي كغلالة موشاة من الحرير . وتدفقت فوارة المياه القائمة في اقصى الرصيف ترسم في السماء قوس قزح متناسق الالوان وترسل رذاذها على رؤوس المتنزهين والمتنزهات في الزوارق البخارية . وسطعت الاضواء في الليالي تنير الشوارع والارصفة المكتظة بواجهات المخازن ومغاني الانس واللهو ، بينما رقدت الحدائق السندسية والارباض الحالمة في ظل هدوء لطيف .

اصاب فادي وصاحبته قسطهما من المرح الشامل واللهو البريء . وشعر المسافر بعد ايام ان ميزانيته تؤذن بالخلل ، بل التصدع والانهيار ، فقرر ان يعجل اوبته ، وما له في الامر خيار . لقد كان شابا ملتهب العاطفة ، مرهف الشعور ، فهل كان ما يحس به من شجى في ارتقاب الفراق القريب دليلا على الحب ؟ اتراه قد علق بحب هذه الفتاة المجهولة التي التقى بها عفوا في مهرجان الصيف جالسة على مقعد في جواره ، ثم توثقت معرفته بها بفضل المطر المنهمر حين لم يجد محيدا عن عرض مظلته لوقايتها من البلل ؟ ان فؤاده لم يكن يستطيع ان يرد جوابا على هذا السؤال ، لكنه قد رآها خلال الايام القصيرة التي صحبها فتاة جادة طيبة تختلف عن الفواني المتبذلات الكثيرات اللواتي يتعرف بهن السواح والمسافرون ، فيسعده اذا رضيت به زوجا ان يصل حياته بحياتها وان ياخذها الى

بلده واهله .

وقال لها في ذلك المساء : « لقد كان لقاؤنا حلما رائعا ، ولكنه ، ويا للاسف ، مقبل على الزوال . »

— هل انت تزمع السفر قريبا ؟

— بل انني اسافر غدا على وجه التاكيد ، وساحتفظ لك ابدا باطيب الذكريات .

وغرقت عيناها في بحر من التأملات . ثم رفعت رأسها وقالت : « ليتني استطيع ان ارى بلادك الساحرة ! »

قال « ان ذلك هين يسير المنال ، ولا يتطلب الا ان تقرري السفر . »

— ولكن كيف تريدني ان اقرر ؟ او تظن ذلك ميسورا لفتاة لا تملك نفقات الذهاب والاياب ؟

وجمع فادي شتات شجاعته وقال : « اذا عرض احد عليك الزواج في بلد قاص ، فهل تقبلين ؟ »

— لا يمنعني الاغتراب من القبول اذا مس الحب اوتار قلبي .

— واين الموسيقار السعيد الذي يستطيع الايقاع على هذا المزهر الجميل ؟

— لست من الغنج والخيلاء على ما تظن ، فليجرب الموسيقار حظه .

— انطونيا ، يجب ان اصارحك بحقيقة يبدو لي انك لا تحاولين تصديقها . انني لست غنيا ، وقد قلت ذلك اول ساعة لقائنا . انا حقا موظف صغير في بعض دوائر الدولة ، وراتبي يكفي لمعيشتي .

— ولكن لك حساب دسم في المصرف .

— ليس لي ذلك الحساب . وقد انفقت ما اقتصدته في السنوات الماضية في هذه الرحلة .

— هل تريدني ان اصدق انك لا تملك دارا رائعة الاثاث في الضاحية ؟

— ان الدور المعروضة للايجار كثيرة في البلدة والضواحي .

— ولكنك تملك سيارة . ما نوع سيارتك وطرازها ؟

— ليس لي سيارة ، والباصات في بلدنا تصل الى اقصى الاماكن .

— انك تنتظر ميراثا ، والا ما انفقت دراهمك هادئا مطمئنا .

— السعي خير من الميراث .

— يا فادي العزيز ، يجب ان اصارحك انا ايضا . لست فتاة طائشة ولا طامعة ، ولكنني اعتقد ان المال ضروري للسعادة . لا اقصد بطبيعة الحال الثروة الباذخة ، ولكن المراة التي تهاجر الى بلد بعيد يحق لها ان تطمح الى مركز اجتماعي حسن وقليل من المال تستطيع ان تنفقه بلا تفكير ولا حساب ...

ولاحظت على سيمائه الوجوم ، فقالت : « الحب شيء جميل ، بيد انه لا يضمن وحده السعادة .. السعادة، مطمح كل كائن حي ... »

فقال : « اذن شكرا ووداعا ، سامضي في طريقي باحثا عن الحب .. »

ومدت يدها تصافحه ، وقالت « وداعا ، وانا سأظل باحثة عن السعادة . »

بغداد — **مير بصري**

الصيحة الواحدة

٥

عددنا اعوامنا
في الطفولة
في غمرتنا الهائنة
كان منانا لفتة ساجدة
نكب على ركباتنا
بصوت واحد نسبح
نركض وراء العنكبوت
وراء الغادرة
تنسج من أقدامها الدقاق
كل درب على درب
ودربنا
يتعالى وراء الراعية
من أغصان القصب الفارغة
نعمل المزمار
مزمارنا
من ورقة خضراء
من شفاهنا الرقاق
كل صوت على صوت
وصوتنا
يتهادى وراء الساقية
عددنا أعوامنا
في الشباب
في غمرتنا الساخطة
كان منانا ثورة عارمة
نرفع رؤوسنا الى الاعالي
نحطم بخبطة واحدة
وجوه آبائنا الجامدة
نبني عليها آمالنا العراض
والهزة العاصفة
نخلع جذور الدوحات
عزنا كل منانا
عز بلادنا
نعمل لها بيارق من أعصابنا
مرت الاعوام
سخرتها يد غاشمة
تطفىء شعلة النيران
في صدور شبابنا
عشنا بعدها في ظلام
في آلام ضارية
عددنا الاعوام القادمة
نبحش القبور
من عظام شبابنا
يؤج ضياء
نجمع العظام بالمجارف
نكوم منها التلال
ننظر الى عام الى عام
يطلق الصيحة الواحدة

ثريا ملحس

سراب

٥

أوميض برق أم بريق شهابِ ... ما شع من قبس على الاهدابِ
في عينك الوسنى يلوح لهائم ... فجر يموج بساطع خلاب
أجد الربيع بمقلتيك معربدا ... يزهو بأفواف له وثياب
والدوح مياس الغصون كقينة ... تختال من صلف ومن اعجاب
وقرأت أحلامي العذاب قصائدا ... ولمست في عينيك زهو شبابي
تتفتح الاحلام عن أكمامها ... في مقلتيك شذية الاطياب
وأرى بجفنك للرغائب والمنى ... يما يمور بمائج صخاب
يطفو اذا عصفت به مجنونة ... حمى الهوى وعواصف الاوصاب
ويسيل سلسالا كما قطر الندى ... من مقلة الازهار غب رباب

* * *

في ذمة الحدق المراض لواعجي ... ومرير أشجاني وفرط عذابي
منيتني فغفوت في ظل المنى ... نشوان من حلم وخمر شباب
وخدعتني ببهارج ومطلتني ... عند التقاضي نائلي وثوابي
فكأنني الظمآن ضل سبيله ... في مهمه عن رفقة وصحاب
قطع الفيافي باحثا ومنقبا ... عن رشفة من سلسل منساب
ظمأ يقطع صدره من غلة ... ويحز فيه بمدية القصاب
والشمس تصهر جسمه وتذيقه ... صاب العذاب ولاعج الاوصاب
ووساوس القلب الممض تلاطمت ... رعناء في الاضلاع شبه عباب
فرأى على بعد بريقا خاله ... ماء فأسرع غير ما هياب
ومضى يمني نفسه لما رأى ... ومض السراب بمستسيغ شراب
حتى أتى ذاك الشعاع فراعه ... أن أبصرت عيناه لمع سراب
فهوى يئن على الثرى كذبيحة ... من خيبة عرضت وفرط عذاب

دمشق ... عدنان مردم بك

قصة من وحي فلسطين

البيت الكبير

بقلم معاوية محمد الدرهلي
استاذ الادب العربي بجامعة درهام بانجلترا

✳

جلس عبد الكريم امام نافذة بيته الصغير في « السلط » ينظر الى الساحة امام البيت ويرقب ابنه سعيد يلعب مع اترابه حول حمار « العم كامل بياع اللبن » فدخلت زوجته غاضبة وقالت « ادع ابنك يدخل البيت فقد طال لعبه واتسخت ثيابه وآن اوان الغداء » فقال عبد الكريم « دعيه يلعب يا ام سعيد فلن يطول بقاء الحمار في الساحة وسيعود الولد من تلقاء نفسه حين يأتي العم كامل ويأخذ حماره » . وخرجت ام سعيد لتكمل اعداد الطعام وهي غير راضية ، واستمر عبد الكريم ينظر الى الاولاد يلعبون ويسمع ضحكاتهم وصيحاتهم والسرور باد على وجهه . ثم مـا لبثت مسحة السرور ان زالت وحل محلها الحزن فقد تذكر عبد الكريم يوما مضى من ايام طفولته في يافا ، ما زالت ذكراه عالقة في ذهنه واضحة اشد الوضوح .

كان اذاك في مثل سن ابنه سعيد يعيش مع اولاد اعمامه في بيت كبير هو بيت جدهم الحاج ابراهيم خلفه للاسرة بعد وفاته . وكان البيت في وسط المدينة ومع هذا فقد كانت له حديقة واسعة غناء فيها اشجار الفواكـه المختلفة وفيها كذلك قطعة كبيرة من الارض تزرع بقولا ، وما اكثر ما اقتطف من فواكه هذه وبقول تلك . وكان يخترق الحديقة ممر طويل مبلط تحيط به مرجانية ازهـار الصقصلي والقرنفل وغيرها وهو يذكر هذه الازهار لانه كان يرى اعمامه يقتطفون منهـا وهم خارجون من البيـت فيضعونها في عروات جاكيتاتهم فحاول ان يقلدهم ذات يوم فلم ينله الا التوبيخ من احدى زوجات اعمامه . كـان هذا الممر يصل بين الباب الخارجي وهو مدخل البيت من الشارع وبين اجزاء البيت المتناثرة كالقطع المربعة يصل بين كل واحد منها ممر مسقوف فشكلت هذه القطع بيتـا لكل اسرة من اسر اعمامه ، ولم يكن يجمعها الا مطبخ مشترك تشرف عليه الجدة زبيدة ، والحديقة التي يقسم منتوجها على جميع الاسر بالتساوي .

كان الحاج ابراهيم رحمه الله رجلا مشهورا فـي المدينة كريما سخيا ولكنه كان قاسيا على ابنائه له وجهة يطلب من الجميع ان يتجهوها . وكان من بين مبادئه ان الاسرة جزء لا يتجزأ ولذلك فانه لما زوج ابناءه طلب منهم السكنى في البيت الكبير فان لم يتسع لهم البيت اقتطع قطعة من ارض الحديقة وبنى فيها غرفة اخرى افردهـا للعروسين الجديدين . ورضي الاولاد بهذا لانه وفر عليهم مؤونة الانفاق على بيت منفصل بل لانهم لم يروا في هذا الطابع من الحياة شيئا غريبا . قنعوا كلهم بهذا ما عدا اصغر ابنائه « خليل » ، والد عبد الكريم فقد اصر حين تزوج على ان يسكن بعيدا عن الاسرة لانه لا يريد ان تكون زوجته خادمة « لسلفاتها » تساعد في الطبخ المشترك وفي الغسيل وتنظيف البيت . قال ان زوجته « بنت ناس » ولا يسمح لها بهذه المعيشة الجماعية التي تشبه عيشة الحيوانات في الياخور ، ثم لانه يريد ان يحيا حياة مستقلة مع زوجته . لقد كان قاسيا على ابيه اذ قال ما قال ولا عجب ان غضب عليه والده وقال ان تعليمه في المدارس الاجنبية ضاع سدى اذ حوله عن طرق المعيشة المأثورة . وقرر الحاج ابراهيم الا يرى ابنه خليل ابدا ونوى ان يحرمه من الارث لولا انه توفي فجأة فلم يحقق ما نوى .

وشاءت الظروف بعد ذلك ان تأتي ام عبد الكريم لتسكن هي واولادها في بيت حميها ولكن حماها كان قـد انتقل الى رحمة الله فلم يسعد برؤية الاسرة يلتئم شملها كما اراد ولكنه بوفاته لم يسمع بالماساة التي حصلت لام عبد الكريم وابنائها فمات غاضبا عن ابنه ولو انه عاش لرضي عنه واستغفر له .

في ذلك اليوم دخل ذكي احد الاولاد الاعمام واخـذ يصيح باعلى صوته « فتحي ، حسن ، علي ، عبد الكريـم ، تعالوا بسرعة لقد وجدت شيئا ستفرحون به .. تعالوا » . واسرع يركض في ممر الحديقة وهو يردد هذه الجملة باحثا عن اولاد اعمامه الاخرين . ولم يكن ثمة داع لان يبحث عنهم فما ان سمعوا صوته حتى اخذوا هم كذلك يركضون من جميع اركان البيت ليسمعوا من ذكي خبر ما وجد . فقد كان ذكي دائما يأتي بالجديد المفرح فيجعلون من ذلـك ملهاة لهم ومدعاة الى اللعب والعبث الى ان تأتي اخواتهم او آباؤهم فيحملونهم عنوة على دخول البيت ليغتسلوا ويناموا بعد ان ينتصف الليل او يكاد .

وعلت اصوات الاولاد وهم يركضون نحو ذكي . وعلت اصوات امهاتهم كذلك بالدعاء عليهم او التوبيخ والتأنيب هذه تلاحق ابنها تحاول الامساك به لانه قلب « الطبلية » وهو يركض فانكسر ما عليها من صحون ، وتلك تصيح باعلى صوتها « لتشوف لما بيجي ابوك . ليطعميك علقة مـا تنساهاش » واخرى تدعو على ابنها « الله يعذبك مثل مـا عذبتني » . ولكن كان بين الامهات من يفهمن عبث الطفولة ونشاط الاطفال فلا يغضبن ولا يلعن مثل ام عبد الكريـم الهادئة الوادعة التي وصفتها النساء في البيت على حسدهن وايثارهن بانها جوهرة من الجواهر وبنت ناس « قالت ام عبد الكريم لابنها وهو ينهض بسرعة » على مهلك يا ابني . ما فيش داعي للعجلة . ذكي مش راح يطير . ثم اضافت « الله يرضى عليك يا ابني » ... تكلمت ام عبد الكريـم بهدوء ووقار وبان في صوتها الحب المبلول بندى الحزن . فتوقف عبد الكريم عن الركض لحظة ثم اسرع نحو امه فقبلها على خديها وبعد ذلك اطلق ساقيه للريح في اتجاه ذكي .

وتجمع الاولاد حول ابن عمهم واخذوا يسألونه بلهفة واحدا بعد الاخر « ماذا وجدت يا ذكي ؟ » فسار بهم على ذلك الممر الطويل نحو الباب يتلهف هو ايضا الى الركض كما يتلهف اولاد اعمامه ولكنه وجد لذة في ان يمتحن صبرهم ويزيد في تشويقهم فاخذ يسير الهوينا وهـم يرددون سؤالهم عما وجد وهو صامت يبتسم شاعرا بنشوة القوة والفخر ... واخير وصلوا الى الباب الخارجي ففتحـه وقال « انظروا » فنظروا واذا حمار هزيل مربوط فـي

شجرة « الدندش » امام البيت . وعلت وجوههم الدهشة اول الامر ثم ما لبثوا ان اخذوا يقفزون ويتصايحون . هذا يريد ان يكون الاول في ركب الحمار وذلك يريد ان يركب ويطارد الاخرين وذلك يقترح ان يفكروا في لعبة بحيث يشترك الجميع فيها في آن واحد . ولكن زكي هدأهم وقال «اسمعوا . لقد فكرت في الحل . سنركب الحمار بالدورية يركب كل منا الحمار من اول الشارع الى اخره ونرى من يسبق الكل في السباق ، فساله احدهم « ولكن كيف نتسابق وليس لدينا الا حمار واحد ؟ » قال زكي بشيء من الزهو « لقد فكرت في ذلك ايضا . المسألة بسيطة . عندما يبدا الحمار بالركض ناخذ نحن نعد الى ان يصل الحمار الى اخر الشارع فحسب العدد الذي يقطع فيه احدنا المسافة وهكذا الى ان ياتي دور الاخير . ومن كان عدده اقل الجميل يكون الفائز بالسباق . »

وراقتهم هذه الفكرة ولكنهم اخذوا يتقاتلون من يبدأ السباق فحل زكي المشكلة ايضا وقال « المسألة مسألة دورية . ناخذها بالعمر » ثم رتبهم مبتدءا بنفسه ومنتهيا بعبد الكريم .

وقبل عبد الكريم بهذا الحكم لان امه علمته الا يجادل او يقاتل ولكن حسنا اصر على انه اكبر من علي واصر علي على انه اكبر من فتحي ولكنهم لم يجرؤوا على محاجة زكي في حقه في بدء السباق . وكاد اولاد الاعمام ان يتضاربوا لاثبات احقيتهم في الركوب ولكن زكي هددهم بمنعهم من الركوب بتاتا اذا لم يقبلوا بحكمه فاضطروا الى الرضوخ والقبول على مضض وركب زكي الحمار واخذ يحثه على الركض والاولاد ما زالوا حانقين غاضبين غير انهم سرعان ما تناسوا ذلك واخذهم حماس السبق فنسوا منازعاتهم واخذ البعض يعد والاخر يصيح بالحمار ان يبطىء وزكي يضحك ويغني « حا يا حماري حا سبقوك الحمير » . ونسي الاولاد العد ونظام اللعب واخذوا كلهم يرددون « حا يا حماري حا سبقوك الحمير حا يا حماري حا سبقوك الحمير » . ثم اخذوا يجرون وراء الحمار ولم يبالوا بالسباق فقد كان همهم الوحيد ركوب الحمار واللعب والمرح وعمل أي شيء يجلب اليهم البهجة والسرور . ولم يخطر ببال احدهم ان يسأل كيف وجد زكي الحمار واين وجده ولماذا لم بات صاحبه ليسأل عنه . وأنى لهم ان يعلموا ما حصل او أن يفهموا ما حصل حتى وان علموا .

كان ذلك اليوم يوم خميس نسيه التاريخ ولكن عبد الكريم لم ينسه . كانت المدينة قد اضربت ذلك اليوم كما اضربت في كثير من الايام وسار الرجال في مظاهرة سمع الاولاد انها مظاهرة سياسية ولكنهم لم يفهموا معنى ذلك وانما فهموا ما راوا ـ راوا ابواب الحوانيت تقفل وشبابيك البيوت تغلق اغلاقا محكما وسمعوا اباءهم يشددون على امهاتهم الا يسمحن للاولاد بالخروج من البيت لئلا يصابوا باذى من الاضطرابات . ولم يفهم الاولاد معنى الاضطرابات سوى انها صوت اطلاق النار وقدوم رجال البوليس او الجنود يسألون ويفتشون عن خليل والد عبد الكريم . وكان الجواب دائما « لا نعرف اين مقر خليل . فتشوا البيت ان اردتم ولكنكم لن تجدوه هنا » . حدث هذا مرات عديدة اثناء الاشهر الستة التي لم ير فيها عبد الكريم اباه فكان البوليس يفتش احيانا ولا يفتش احيانا اخرى . وكان عبد الكريم يسمع اسم ابيه من حين الى حين ويسمع شيئا عن فراره الى بيروت وعن الجبال وعن الثوار ولكنه لم يدر ما العلاقة بين الثوار والجبال وابيه والفرار الى بيروت . ولم يبال بجهله وكاد ينسى اباه ولكنه كان يرى امه تبكي احيانا لا كما تبكي النساء الاخريات بل بصمت وهدوء فما ان يقترب منها ويسألها عن سبب بكائها حتى تحاول اخفاء دموعها وتقول « لا شيء يا ابني . انت لن تفهم . اذهب والعب مع ابناء اعمامك . الله يرضى عليك . » فيذهب ويلعب مع ابناء اعمامه كما لعب ذلك اليوم : وكان يتالم كلما راى امه تبكي فانه لم يعتد ان يرى دموعها . ثم انه لا يذكر انها بكت مرة واحدة قبل ستة اشهر اي قبل تركهم نابلس وقدومهم ليافا للسكنى في البيت الكبير . ولعلها تبكي لان والده لم يكن معهم ولكن البيت مملوء بالرجال والكل يعطف عليهم ويغمرونهم بمحبتهم مما يجلب اليه هو حسد اولاد اعمامه الاخرين وهو لا يفهم لماذا يخص بهذه العناية . اما اليوم فقد اولي هو وابناء عمومه جميعا عناية خاصة وابقوا في البيت خوفا من ان يصابوا باذى . ولكنهم ضاقوا بهذا السجن البيتي وارادوا حرية اللعب في الشارع . فما ان صليت المغرب وانتهت المظاهرة وعادت الحياة الليلية تدب في المدينة حتى خرج زكي حالا من البيت واراد عبد الكريم الذهاب معه فلم يمنعه الا اصرار امه على تناول العشاء في وقت مبكر . ولكن زكي قد عاد ووجد هذا الحمار التائه الهائم على وجهه وها هم يلعبون في الفضاء مرة اخرى والحمد لله .

وجاء دور حسن ليركب الحمار . وما ان ينتهي دوره حتى يجيء دور عبد الكريم وقد ارتقب تلك اللحظة بفارغ الصبر . وركب حسن الحمار واخذ يجري به بسرعة واخذ عبد الكريم يحث الحمار على الاسراع مدركا ان ما يدفعه الى ذلك انانيته وليس حبه لابن عمه في ان يكسب السباق . بعد قليل سيركب الحمار ويجري به اسرع من الخيل .. وبينما هو كذلك اذ راى الخادمة مقبلة نحوه فاوجس خيفه ... لن يحرمه احد من ركب الحمار . وجاءت الخادمة من اقصى الشارع فلما وصلت همست في اذنه تعال داخل البيت . امك تريدك ان تأتي حالا فقد رجع ابوك وهو يريد ان يراك « ولم يبال عبد الكريم بما سمع . لماذا اختار والده هذه اللحظة ليعود فيها ؟ ان والده يستطيع ان ينتظر ولكن هو سيخسر دوره ان ذهب الان . فاصر على البقاء وعادت الخادمة من حيث اتت ولكنه سرعان ما راى احد اعمامه مقبلا نحوه بسرعة فاخذه الخوف ثم تملكه العناد ولكن عمه حمله بين ذراعيه فاخذ يصارع ويصيح « اتركني لحالي » . اريد ان اركب الحمار . لقد جاء دوري . ارجوك دعني انزل . اقسم لك سادخل البيت بعد ان انتهي عن دوري . ولم يقل عمه شيئا بل استمر في حمله عنوة الى داخل البيت وعبد الكريم يصرخ ويسب .

واجتمع الوالد وابنه بعد ذلك الغياب الطويل ولكن عبد الكريم لا يذكر ما كان شعوره في تلك اللحظة فان اجتماعهما لم يدم طويلا . اذ سرعان ما لبث الجميع ان سمعوا طرقا عنيفا على الباب وعقب ذلك صوت اقدام ثقيلة تجري نحو مجلس الاسرة من الحديقة فوقف الجميع مضطربين خائفين الا « خليل » فانه اخذ يد ابنه في يده

غـزل نـاجي

بقلم مصطفى عبد اللطيف السحرتي

○

الغزليون في الدنيا طابع من نوع خـاص . طابـــع عاطفي وجداني تزخر قلوبهم بالعاطفة . وتفيض بالوداعة . ويسحرون بالجمال .

طابع متوفز الاعصاب . مرهف الحساسية . سريع التاثر ينفرد بالحنان كانما الحنان بئر صافية عميقة تروي جوانحهم طوال اعمارهم .

ومن هذا الطابع كان ابراهيم ناجي . كانت عروقه . كما يقول لا تمتلىء دما . بل حنانا . وحنينا .

فان ملئت عروق من دماء فانا قد ملأناها حنينا

كان الحنان يعيش بقلبه . ويلازمه ملازمة ظله حتى نراه يجسم الحنين انسانا يعيش في جوارحه يقتات مـن دمه . ويهمس في باطنه .

لم يرض غير شبيبتي ودمي زادا يعيش به ويفنيني
كم ليلة ليلاء لازمني لا يرتضي خـــلا له دوني
القي له همســـا يخاطبني وارى له ظلا يماشيني

✶ ✶ ✶

وانفعال الحنو او الحنان يندفع بصاحبه دائما الـــى الحب . مع توافر اعتبارات نفسية واجتماعية . اندفاعا لا تثنيه ارادة . ولا تعصمه منه قريحة وقادة . اندفاعا اشبه ما يكون تماما باندفاع الفراشة الى النور الحبيب وان نالت منه حتفها .

وليس اوصف لاثر الحب على الغزليين . في اندفاعهم اليه . من قول ناجي في « ديوانه » الطائر الجريح .

كنت في برج من النور على قمة شاهقة تغزو السحابا
وانا منك فراش ذائب في لجين من رقيق الضوء ذابا
فرح بالنور والنار معـــا طار للقمـــة محموما فآبـا
آب من رحلتـــه محترقـا وهو لا يالوك حبـا وعتابـا

الراس الكبير الكبير الذي ملىء علما ومعرفة وزكانة . لم يستطع الا احناءه ، امـام جبروت الحب . كمـا أحنى رؤوسهم له علماء وساسة وادباء وعباقرة . ولا يزالـون يحنون .

حتى حار العلماء والادباء في معرفة كنه هـذا الجبار العنيد . أهرمون هو يسري في الغدد الصم . أكهرباء هو ينساب في الجهاز العصبي ام هو نفحة من نفحات الله . كما يقول المتصوفة . ام داء لا شفاء له كما يقول الادباء .

لم يصل احد الى الكلمة النهائية في هذا اللغـــز العجيب .

ولم يصل ناجي مثلهم الى حل . فاضطر ان يركع في محرابه ويخشع في حضرته :

احبك فوق ما عشقت قلوب ولا ادري الذي ما بعد حبي
واعلـم ان كلي فيك فان وعيني فيك ذائبة وقلبـي
واعلم ان عندك من ينادي خفيـا هاتفا وانـا الملبـي
واعلم ان حبي ليس يشفى وبعدي ليس يجديني وقربي
ولما لم اجد للحب حـلا هتفت به كما يرضيك سربي
وخذني حيث هنـد لا تبالي لايـــة غاية ولاي درب

✶ ✶ ✶

واذا كان الحب ميلا اضطراريا مطلقا لدى المرهفين . اذا كان شعورا اقوى من النفس في كثير من الاحيان . فان له حافزا عضويا لدى الجنسين . وحافزا نفسيا لـدى المتعبين . وحافزا انسانيا لدى الانسانيين . وحافزا فنيا لدى الفنانين .

وقد كان الحب لدى ناجي . من الحوافز النفسيـة والانسانية والفنية على سواء كان من الحوافز التي اضفت على روحه الامن والطمانينة والسلام . لروحه الغريبة عـن دنياه . ونفسه القلقة .

لم يكن حبا ماديا خليعا كحب امرىء القيس او عمر بن ابي ربيعة ، لم يكن حبا ساديا منحرفا كحب ابي نواس .

وضغط عليها بشدة . فقد ادرك ما وقع . وظهر الجنود امامه في الحال وامسكوا به لاخذه الى المعتقل ولكـــن « خليل » توقف قليلا ورفع ابنه اليه وقبله في جبينه وقال « تذكر يا بني ولا تنس » ثم سار مبتعدا عن الاسرة يحيط به الجنود من جانبيه وكانت تلك آخر مرة يرى فيها عبد الـكريم اباه .

في تلك الليلة علت اصوات النساء بالبكـاء وسالت الدموع من عيني امه دون توقف واخذ هو يبكي ايضـا لحزن في نفسه لا لحزن الاسرة وسألته امه ان يكف عــن البكاء فقال والعبرات تخنقه « ولكني لم اركب الحمار يـا امي كما فعل ابناء عمي » فاخذته واحتضنته وقبلتـــه وطيبت خاطره ورفعت صوتها بالدعاء « يا رب . ابـق احزانه بسيطة من هذا النوع ولا تره احزان الحياة يا رب» .

تذكر عبد الكريم ذاك اليوم البعيد وفكر في ابيه الذي لم يره منذ ذلك الوقت ورنت في اذنه كلمات امه وهي تدعو لــه . ثم عاد من عالم الذكرى الى عالم الحقيقة ونظر الى ابنه مرة اخرى يلعب والبشر يطفح من وجهه فعاد الى عبـد الكريم شيء من سابق سروره وقال في نفسه « نعم دعـه يمرح ويسرح ويتمتع بطفولته البريئة قبل ان تفاجأه الحياة باحزانها وآلامها ... » .

انجلترا ـ جامعة درهام **معاوية محمد الدرهلي**

لم يكن حبا مازوكيا ذليلا تتحطم عليه الكبرياء والشرف . بل كان حبا روحيا فيه جذل المتصوفة . حبا فنيا . يقصد الى غنى التعبير الشعري . حبا انسانيا . اسال على قلبه عطفا الى عطف ورقة الى رقة . وانسانية فوق انسانية .

ذلك الحب الذي علمني ان احب الناس والدنيا جميعا
ذلك الحب الذي صور من مجدب القفر لعيني ربيعا
انه بصرني كيف الورى هدموا من قدسه الحصن المنيعا
وجلا لي الكون في اعماقه اعينا تبكي دماء لا دموعا

* * *

كان الجمال بابا يلج منه الى جوهر الروح . وذكاء الذهن ولهذا نراه يزاوج بين الجمال والذكاء . وينشد في الجمال الصفاء . وهذه ظاهرة واضحة في دواوينه الثلاثة . ففي ديوانه ليالي القاهرة ، يقول :

زرتني والربيع في موكب الزهر له روعة وفيه رواء
ولك الوجه اومض الحسن فيه والتقى السحر عنده والذكاء

وفي ديوانه « الطائر الجريح » يقول :

لا انت تدرين وما من احد بواصف حسنك مهما اجتهد
او بالغ سر الذكاء الذي يكاد في لحظك ان يتقد
او مدرك عمق المعاني التي في لمحة عابرة تحتشد
او فاهم فن الصناع الذي ابدع الاثنين : الحجا والجسد

* * *

وابلغ شاهد على هذا التوجه الروحي . ما نلمسه في كثير من قصائده بديوانه الاول « وراء الغمام » . فها هوذا يلهج بالعيون . ولا ينظر لجمالها بقدر ما ينظر لصفائها . وينادي الروح لتغمره بظلالها وانه ليقول في ابداع

قربي عينيك مني قربي ظلليني واغمريني بصفاها
واريني هداة البحر اذا بسط البحر جلالا وتناها
واريني لمحة السحر التي ضل في اعماقها الفكروتاها
المح اللؤلؤ في اغوارها وارى الطيبة تطفو في سناها

ثم يواكب هذا بقوله في آخر القصيد :

قربي روحك مني قربي ظلليني واغمريني برضاها
وتعالي حدثيني حدثي انت مرآة شجوني وصداها

أي سحر واية جاذبية واية روحية في مثل هذا الغزل . بل اي حدث عظيم في دنيا الادب . لا عهد للعربية به من قبل . واي غزل جديد انطوى على حيوية وحرارة . وطلاقة بيانية . واي فن بالغ ذروة النضج . واية ابتداعية سليمة تمخض عنها شعر رائد جهير من رواد ابولو .

* * *

لقد انتظر الغزلون حبائبهم في قلق ، وتلدد ، ولاقى المحبون حبائبهم في فرحة وايناس . وودعوهن في حسرة ولوعة . ثلاثة مشاهد تتعاقب على الغزلي تعاقب الفجر والضوء والظلام عبروا عنها . ولكن احدا . الا النوادر ابدع في التعبير عنها كما ابدع ناجي في حيوية وموسقة وابداع تصوير .

اجل وقف الغزلون ينتظرون في شوق لاهب . وصبر نافد . حبائبهم . ولكن القليل منهم . بل النادر من استطاع ان يحلل عواطفه وانفعالاته المتراوحة بين الامل واليأس . والخشوع والكبرياء . والايضاء . والانطفاء . كما عبر ناجي وهو ينتظر تحت العاصفة . وفي البرد والظلام . في قصيدته « الانتظار » التي جاء فيها قوله :

ارى الآباد تغمرني كبحر سحيق الغور مجهول القرار
ويأتمر الظلام علي حتى كأني هابط اعماق غار
وتصطخب العواصف ساخرات وتطعنني باطراف الحراب
وتشفق بعد ما تقسو فتمضي لتقرع كل نافذة وباب
فصحت بها الى ان جف حلقي فحين سكت كلمني ابائي
واشعرني العذاب بعمق جرحي واعمق منه جرح الكبرياء

* * *

والتقى الغزلون في فرحة وبهجة . وعبروا عن اللقاء تعابير مختلفة . ولكن القليل من عبر عن هذه الفرحة مثلما عبر ناجي في مثل قوله :

مرت الساعة كالحلم السعيد ومشت نشوتها مشي الرحيق
ذهب العمر وذا عمر جديد عشته من فمك الحلو الرقيق
مرت الساعة والليل دنـا والهوى الصامت يغدو ويروح
وتلاشت واختفت اجسادنا واعتنقنا في الدجى روحا بروح

* * *

وودع المودعون حبائبهم . وداعا باكيا ومؤثرا واحسب ان احدا منهم لم يعبر عن نفسه كما عبر ناجي وقد رأى دمعة تسيل من عينها على خدها فقال :

وما راع قلبي منك الا فراشة من الدمع حامت فوق عرش من الود
مجنحة صيغت من النور والندى ترف على روض وتهفو الى ورد
بها مثل ما بي يا حبيبي وسيدي من الشجن القتال والظمأ المردي
لقد اقفر المحراب من صلواته فليس به من شاعر ساهر بعدي
وقفنا وقد حان النوى اي موقف نحاول فيه الصبر ، والصبر لا يجدي

* * *

يا له من تصوير حي رفاف في موقف الوداع . تصوير الدمعة بالفراشة صيغت من النور والندى . تنثال على الخد كما ترفرف الفراشة على الورد . وأي تحليل بارع . تحليل لشتى الانفعالات المتصارعة في موقف الانتظار . واية معان جديدة عند « اللقاء » معاني الصفاء في العيون . والطيبة في المقل ومعانقة الروح للروح . واية ايقاعات مساوقة لمتنوع الانفعالات .

واذا اكتفينا بهذه الدرر الثلاث . وتركنا مثيلات لها في دواوينه الثلاثة لكانت شواهد كافية ناطقة بالمعية شعره ونضج فنه . وشفافية روحه . وروحانية غزله ، وعفويته .

ولكانت كفيلة هي واخوات لها لا تقل عنها جاذبية وفتنة . من وضع اسمه في القمة بين شعراء الغزل الخالدين .

القاهرة **مصطفى عبد اللطيف السحرتي**

كان مضغة

*

لعبد المجيد لطفي

•

بغداد

*

مضغة بيضاء كالشحم !
نحيلا كالهلال ...
لزجا كالدود ...
براقا كبطن الافعوان
حملته في وعاء من دم
من دم كثف في كيس عتيق !
ودنت خائفة تهتف بي :
أو تدري أو تدري ان سري !..
كل سري في هواك ..
صار لحما !..
كل آمالي الكبار ...
كل ايماني وكفري وصباباتي وطهري ..
صار نصلا دنسا ينخس عمري !
وتأملت الوعاء ..
والدم الاسود واللحم الطري ...

ورأيت الخوف والاحزان والبؤس المرير
ونسيج الهم : يبدو كخيوط من حرير
فوق وجه خائف خمشه ظفر ضرير !...
تلك كانت :
تلك كانت امه عند الصباح !
قلت : ماذا ؟
ألهذا قد سهرنا وتعبنا ؟
ومن الاحلام أبرادا نسجنا !..
ألهذا « اللحم » عشنا وشقينا ...
ألهذا الدود في المستنقع !
ألهذا اليأس بين الاضلع ؟..
فلماذا ؟..
كل هذا ؟...
أنكاية ، أم حكاية ، أم زرايه
بغرام ملؤه عطر الاقاح !
قالت اسمع :
أنت نذل وابن نذل
أنت دود أزرق من الف نسل
تزرع الاثم وتزهو خسة بابن سفاح !
فتراجعت حزينا ملء أعماقي جراح ..
ثم أنشأت أقول :
يا لئيمه ، بعض عقل يا لئيمه ..
يا حطاما من جهالات قديمه
لست أدري ما السفاح !
« ولدي » : من بهجة الحب ومن لحمي
وروحي !
ومن اللذة والخوف ومن حسني وقبحي.
قد صنعناه بلطف وموده ...
برضانا وخلقناه معا ...
من جذور مستمده !..
من بعيد ... منذ آلاف السنين !..
فأريني يا ضليله ، يا ابنة الخوف الهجين !
ما الذي يعني السفاح !
ورفعت الطفل ... طفلي !..
مضغة « اللحم » المسجاة الغريقه
بالدم الاسود ، بالرهبة من لؤم الخليقه
وترنحت ونعش في يدي !
نعش حب في وعاء ...
في وعاء من دم !..

قصة سورية

خفاش يفتح عينيه

بقلم سعيد حورانية

✳

عندما وصلا اليه كان يحدق بكل وجهه المحتقن المخنوق في الارض ، بامعان خياطة اضاعت ابرة ، ولم يشعر بهما البتة ... وامتدت يده تحل رباط عنقه ، والثانية تبعد عن الضوء الباهت الذي يرشه مصباح في اخر الممر ، الارجل الاربع التي انتصبت في وجهه .

وصاح جريس مشفقا بصوت فيه دهشة وبؤس .

– قوم يا سما .. ما في شي !!.

اما مفيد فقد اصلح وضع جاكيتته بصمت ثم سحب من جيبه عودا من الكبريت واشعله في الوقت الذي اشعل فيه جريس عودا اخر . وانحنت ست عيون ، وتجمعت في الدائرة التي انحدرت من فمه قبل لحظات باحثة منقبة .

قال جريس وهو يتنهد :

– قلت لك ما في شي .. وهم

ونفض مفيد بذلته وامن :

– طبعا وهم .. طول عمرك يا سليمان تتوهم ..

ولكن سليمان ظل يحدق في السائل

– وهذا الخيط الاصفر المحمر ؟.

– بقية سيجارة .. ظاهر ..

فوقف سليمان يتحامل على نفسه ، وفي عينيه الدامعتين الحمراوين شيء من خيبة الامل ، لقد فقد محورا يلون حياته اياما كاملة ، حتى ولو عرف في اخر الامر انه وهم .

– ولكن اقسم لكم .. انني رايت منذ ساعتين فقط ، بقعا حمراء من الدم تخالط ريقي عندما بصقت !!..

قال جريس في نفس اللهجة البائسة محملا كلماته سخرية لا معنى لها :

– هذا لون عينيك الحمراوين يا سليمان .. ويمكن ان تكون مصابا ايضا بعمى الوان ..

ونظر سليمان الى عيون رفيقيه وخيل اليه رغم الظلام ان فيها نظرة اشعرته بالضيق .. هل اسفاهما ايضا ؟ لعلهما يريدان موضوعا حيا ، على ما يحدثهما به دائما من احاديث .. ولم تكن خيبة املهما عندما حدقا في الارض على ضوء عودي الكبريت المرتجفين ، لتقل بحال عن خيبة امله اذا لم تفقه ، ذلك لانهما ينظران الى المأساة من بعيد .

واحس سليمان بشيء من الخجل، منذ ساعتين وهو يحدثهما وينظر الى وجهيهما المبهوريين ، ويتابع رحلة كلماته فيهما من الاذان الى العيون ، الى الاصابع الى كؤوس العرق وهي تكرع في الشفاه بطريقة عصبية ، ورضاه عن نفسه وهو يتحدث قصصا يظن هو بالذات انها حقيقية وانه قد نسيها من قبل ، يشوبه بعض الانهيار . لانه يعتقد انه عصر كليمونة وان كلماته تتحدث الى جيل اخر رغم عدم تفاوت السن .. منذ ساعتين وهو يحدثهما عن بؤس حياته ، وعن غناها الرائع ، بلهجة معلم يطلب من مريديه ان يفنوا حياتهم باشياء يظن بانها غير تافهة.. النساء يا اصدقائي .. المراة تجربة تغني وتحرق ، ومجتمعنا يمنعها .. انه يشوه وجهها الانساني .. منذ سنتين كنت في حلب .. ومنذ ساعتين وهو يرفع من اشلاء نفسه كلا عظيما ، لم يصل الى هذه العظمة، الا بتجارب تعصر وتقتل وتجعل للحياة معنى . وافهمهما ، ولعله اراد ان يفهم نفسه ، ان هذا التمزق الذي يعانيه هو انه اضاع التوازن ، بين نفس مسحوقة، وايمان عميق بالحياة وساكنيها . كيف يناضل الرجل يا اصدقاء ؟ .. انا مؤمن باشياء عظيمة .. حياتنا بائسة ويجب ان نغيرها .. اتعرفون .. واستمر يتحدث حديثا طوباويا مدة ساعتين ، ومنذ ساعتين ايضا بصق بصقة حمراء ..

قال بصوت لا لون فيه ، وهو يلقي نظرة اخيرة نحو الدائرة وعيدان الكبريت الميتة ؟ – كم الساعة ؟

– الثانية ...

– معنا وقت .. اطلعوا .

وصعدوا الدرج بصمت ، كانا يتقدمانه ، واخذ يراقب ظهريهما بشيء من الغضب ، ثم اشعل سيجارة وضحك ضحكة مبتسرة .

– شيء طريف وسخيف معا .

ولم يرد الاخران .

وفي البهو كانت الرائحة الخاصة ، التي تعطي المكان هويته ، قد اسرعت الى انوفهم ، وتوقفوا يبحثون :

قال سليمان جازما :

– ساذهب الى وصفية !!

وابتعد مفيد فجأة ، وهو يسلم بلطف زائد على امراة سمراء تلبس بنطلونا صارخ الحمرة ، وكان يترنح قليلا من السكر .

قال سليمان مرة ثانية بنفس الجزم .

– ساذهب الى وصفية !!..

قال جريس من فوق كتفه

– ذوقك عجيب ، انا لا استطيع مطلقا ان ادخل مع إمراة سمينة .. انها تخبصني !!

واردف بعد قليل .

– اعطني خمس ليرات .

– من المؤكد انني ساذهب الى اسمهان رغم كونها سمينة .. وانها مجربة ولطيفة ، تصور انني لم اسمع في عمري من فمها كلمة نابية واحدة .. سيدة حقيقية ..

– اما انا فقد اعجبتني تلك ..

انظر اليها جيدا... ماشي الحال... اليس كذلك ؟ وفرك عينيه المحمرتين المكرتين.

ـ المهم التفاهم ...

ـ اعطني خمس ليرات ... انا لا احب مطلقا ان تدفع عني هنا ...

واقترب مفيد :

ـ اي .. ماذا قررتم سادتي ؟

قال جريس سائلا ؟

ـ هل تحب ان تدخل مع امراة سمينة يا مفيد، اما من جهتي فانا حتما لا استطيع ان ادخل مطلقا مع ...

وقال سليمان مقاطعا :

ـ ها هي وصفية .. من المؤكد انني سادخل معها .. اذا سألتك جان عني، فقل لها انني مع وصفية.

ـ انا ما دخلت ولا خرجت ..

ـ لا انا اقول لك .. لعنة الله على هذا العرق انا لم اتصور مطلقا .. سادخل حتما مع وصفية انها لطيفة .. تصور انني لم اسمع في عمري منها كلمة نابية واحدة ..

ووزع مفيد ابتسامتين بالتساوي لمارتين، وانحنى لثالثة، فقال جريس غاضبا .

ـ العمى .. انا لا اشك مطلقا انك رقيع .

قال مفيد بهدوء كمن اعتاد ذلك :

ـ منذ زمن قررت نهائيا وبصورة حتمية، ان لا ارد على كل ما تقول :

قال سليمان وهو يتحرك نحو الوجه المبتسم .

ـ تفضلوا سادتي .

ولكزه جريس هامسا :

ـ اعطني خمس ليرات .

وقال مفيد :

ـ انا سأذهب الى تلك .. بخاطركم .

ولكنه لحقهما الى داخل الغرفة ..

قالت وصفية بابتسامة بدت لسليمان أليمة :

ـ صار زمان ..

فأجاب سليمان وهو يستند على الكرسي العريض، ويحدق في السقف الذي حفظ كل تعرجاته :

ـ اطلبي ـ اربعة قهوة .. واحد منهم سكر قليل .

قالت وصفية ضاحكة مكملة

ـ مع هيل بفنجان سميك ...

ونظر سليمان الى رفيقيه ...

مفيد يحدق في حذائه باهتمام، اما جريس فقد كان يجلس جامعا ركبتيه على نحو طفولي خجل، وهز سليمان رأسه بحب وقال في نفسه :

ـ ذكاء على مستوى ممتاز .. ولكن ..

ورفع صوته .

ـ مرحبا جريس .

ورد جريس بصوت مبحوح

ـ اهلين ...

وقال سليمان في نفسه

ـ ولد طيب .. الى حد مؤلم .. وشعر بتعاسة وبشيخوخة :

ـ كم عمرك يا جريس ؟

ـ عشرون !! ..

ـ كم تظن عمري انا ؟

ـ انت ؟ عمرك حتما .. انا لا اشك مطلقا انك تجاوزت الثلاثين .

وصمت سليمان ... وتراءت من خلال ذاكرته المشوشة هذه السنوات التي تفصلهما ... يجب ان لا يقول لجريس ان عمره هو ست وعشرون سنة فقط !! .. هو نفسه لا يصدق. لقد عاش دهرا طويلا .. طويلا جدا، تقاس كل لحظاته بساعة حساسة قاسية، تبدو عقاربها كاسنان شيطان .. حياته في البيت المحافظ الذي تمزقه الخلافات والمعارك .. ايمانه المطلق بالمقدسات الذي انتزعته منه الجامعة في السنة الاولى .. انفصاله عن اهله الذين لم يغفروا له ابدا تحطيم عالمهم .. حبه الاول الفاشل .. مغامراته القذرة ... اندفاعه في سبيل مبدا اخر لا يزال حتى الان مؤمنا به ايمانا يخزه كالسهم في أعماقه، وبشعره بتفاهة حمله للمسؤولية .. لعبه القمار .. شربه العرق حتى الادمان .. كتاباته التي لم يفهمها الا القلة ... انسحاقه في دوامة الرتابة التي يفرضها عليه المجتمع حوله ... امله وفرحه ويأسه وحزنه وقراءاته ... بصقته التي خيبت فيه الامل لانها لم تكن ملوثة بالدم .. قال بصوت حنون ومن اعماقه :

ـ انت ولد طيب يا جريس !!..

وخجل جريس ونظر الى وصفية المبتسمة دائما

ـ اسمع، انا لا اسمح مطلقا ...

ـ انت ولد طيب جدا يا جريس. عمرك عشرون سنة فقط اليس كذلك ؟ . اتعرف يا جريس .. احببت امراة وانا في العشرين عمرها اربعون سنة .. ووقتها كنت انا ايضا ولدا طيبا ..

وقال جريس وهو ينظر في اعماق عيني سليمان بصورة ثابتة بريئة وواثقة الى حد ما :

ـ ما الذي يضايقك ؟

ـ وكانت مليئة باللحم يا جريس ... وتحب دوما ان تأكل الرز شائطا بعض الشيء، ومن الهدايا المحببة اليها .. كيس رز يزن كيلوين، وكانت تفضله على باقة زهر وقنينة كولونيا .

قالت وصفية بدهشة

ـ كيس رز ؟ انا لا اتصور ان احدا يأتيني بكيس رز، ولو انني لا ارفضه !! ..

ـ وكانت تطلب مني يا جريس، ان اقبل خدها فقط، ولا تسمح لي قط ان اقبل فمها .. وكانت تغضب حينما اسألها عن السبب، وكانت تصلي ايضا يا جريس ... وتمنعني من مسها في بعض الاحيان، وتبكي كثيرا حينما اقول لها ان عمري عشرون سنة .

ونظر سليمان الى العيون المعلقة به وتابع حالما :

ـ لقد كنت محبوبا ... انه لشيء عظيم ان يكون الانسان محبوبا ... ومرت جثت على قدمي واخذت تقبلهما فصرخت جزعا قائلا، لماذا يا ست زينب ؟ وكانت تمنعني من أن اناديها بيا حبيبتي، فقالت وبكاؤها يشتد : انا خاطئة يا رب، انا خاطئة يا سليمان ... لتدق عظامي، لتنطفىء عيناي، لتتقطع يداي ورجلاي .. لتزهق روحي .. انا خاطئة يا رب .. انا جيفة .. انا كلبة .. انا مومس بغي قذرة، وكانت تضربني بعنف .

وركعت انا عليها بشقاء قاتل، وتأكدوا انني كنت في تلك اللحظة مستعدا ان اهبها حياتي .. ان افعل اي شيء لافهم سر عذابها، وقلت

ودموعي تتساقط بطفولة : يا الهتي يا معبودتي يا حياتي .. ما هي المشكلة ؟ سأقتل نفسي اذا لم تقولي لي ماذا يبكيك ، لا تضربي صدرك هكذا .. انك تدفعينني الى الجنون. دعيني اقبل قدميك لا تبكي هكذا..

بحق القرآن لا تفعلي ذلك ... ووقفت لحظة تنظر الي طويلا من خلال دموعها ، ثم هجمت علي ، واغرقتني بسيل من القبل المحرقة وهي تصرخ : انت لا تفهم يا سليمان ... انت لن تفهم مطلقا .. انت صغير .. عمرك عشرون سنة فقط ... عشرون سنة يا الهي .. ودفعتني نحو الباب ، ولم تفد كل استرحاماتي ودموعي ، ووقفت على الباب حتى الصباح استجدي عطفها دون ان اسمع صوتا واحدا يرد علي

وتطلع سليمان في ست عيون مفتونة مغرورقة بالدمع والدهشة ، ثم قال بصوت آلي

– وفي اليوم الثاني لم استطع ان امشي في جنازتها الا من بعيد..

وساد صمت مرهق طويل قطعته وصفية بنظرة الى الساعة ، فوقف جريس ومفيد وتقدما نحو الباب ونهض سليمان يدس يده في جيبه ويضع في يد جريس خمسا وعشرين ليرة ، وقال بغصة وهو يربت على كتفه وشعره :

– انت ولد طيب يا جريس اليس كذلك ؟ .

وتقدم باستسلام بليد نحو السرير .

* * *

في غبش الصبح مشى الثلاثة صامتين ، نظر اليهم كناس عجوز وارسل من شفتيه همهمة مبهمة ، وقال جريس بعد تنهده وهو يهز رأسه .

– انها لتجربة غريبة .. اسطورية

وصحا سليمان من صمته :

– اية تجربة ؟ ..

– تجربة حبك التي قصصتها علينا

– آه ...

وشعر سليمان بحاجة الى ان يغضب ، الى ان يفعل شيئا قاسيا ما ... انه يعرف نفسه تماما ، وما من مرة ضاع في دهاليزها المعقدة.. ولقد قال له الاخرون .. جميعهم..

انه طيب ، وانه بسيط ، وهو من جهته لم يشك بهذه الحقيقة ... اقتنع بها في كل فرصة اتيحت له ليعمل عملا نبيلا ، ولكنه كان دوما مسحوقا تحت شعور كالح : لقد اتيح له حقا ان ينفض الرماد عن نفس كابية بيضاء ، ولكنه لم يخلق ابدا فرصته ... انه يريد ان يخلق هذه الفرصة .. ان تكون المبادرة منه هو بالذات ، ويشعر ان ما يميزه كانسان ، يجب ان يكون شيئا من هذا .. لا يكفي ان يكون طيبا وفاهما للكون مؤمنا به .. محترما لكرامة البشر .. كان يحس انه يجب ان يعمل لكل ذلك .. لهذا المستقبل المشرق في نظره ... العرق ، النساء ، الاصدقاء الذين يمارس سيطرته عليهم ... القصص الكثيرة التي عاشها والتي لم يعشها في اتون تجاربه الحياتية والذهنية ... ونظر الى جريس ... انه ولد طيب اما الاخر المتأنق التافه ، فلم يكن يعنيه في كثير ولا قليل ، وفكر بان صحبتهما مبررة تماما ، ككل الصداقات التي مرت عليه .. انه يشعر انه بحاجة الى ان يكون محاطا بالناس .. الناس الذين هم من نوع واحد ، بالمعجبين الذين يستمعون الى حديثه وتجاربه سواء تلك التي عاشها حقا او التي اخترعها حقا .. يريد ان يحس ان في اعماقه شيئا يرسل الى الاخرين شعورا بالسعادة ، والثقة ، والحب ، وباهميته هو ، ككائن لا يزال ذا كيان عظيم ...

وكان مفيد وجريس يتناقشان في قضية ويتراشقان التهم .

— انت لا تفهم شيئا تلك تجربة شعورية صحيحة .. انا لا اشك مطلقا انك لا تعرف سوى ربط انشوطة حذائك اللامع وربطة عنقك الغالية ، وتصفيف شعرك المدهش.. والجبن والنفاق والتدليس .

— وقاحة معروفة منك .. الحياة على كل حال ستعلمك اشياء كثيرة.

— الحياة ؟ لا تتحدث عن الحياة. انك لم تفهمها يوما من وجهها الصحيح ..

واردف جريس يقول حالما :

— اني احبها .. هذه الجمالات الرائعة .. لي ثقة بكل شيء .

— طفل ...

— انا طفل ؟ تعال .. كلانا يشق بسليمان ، انا اقبله حكما واخضع لرايه .

ونظر سليمان الى الوجه الطفولي المتقد بالثقة والامل ، واحس بحرقة في حلقة ، وبشيء يقبض على عنقه ... لا .. لن يفسد كل هذا العالم الشامخ .. مطلقا مطلقا ...

وابتعد قليلا عنهما وهما لا يزالان يتهارشان .. كانت نجمة الصبح تطل من بعيد ، قوية مؤتلقة صاحية .. وعلى الطريق ، كان فريق من العمال ، ينتظرون السيارة ليذهبوا الى اماكن عملهم ، بعضهم يتثاءب ويطرد بقية النوم من عينيه ، والبعض الاخر يجلس على الارض محدقا بصمت في الطريق .. وفكر سليمان .. سيذهب الان لينام .. ليشبع نوما حتى الثانية ، او الثالثة، ثم يقوم بحلاقة ذقنه ، وبغسل شعره وقراءة الصحف حتى الليل ، حيث يخرج من جديد كالخفاش ليستأنف حياة الليل القذرة، وليحدث ضحايا جددا عن الحياة وعن التجارب وعن الغنى في الاحاسيس .. ونظر اليه احد العمال ، وخيل اليه ان في عينيه نظرة متهمة

— كم الساعة يا افندي ؟

— الرابعة .

— اف ... نمنا كثيرا قد تكون السيارة ذهبت .. الليل قصير

وتقدم منه رفيقاه ، وهما ما يزالان يتراشقان التهم :

— انا لا اشك مطلقا انك حمار

— وقح ...

وكاد سليمان يبكي وهو ينظر اليهما .. وهما يتناقشان بكل هذه الحماسة وهذا الجد .. ايمكن ان ينطفيء كل هذا بعد قليل ؟

— جريس ...

— نعم سليمان .

— لقد كذبت عليكم ... لم يكن هناك حب في العشرين .. ولم تكن هناك زينب .. لقد كذبت عليكم في مئة قصة مثلها ...

وساد صمت عميق مقلق ، واطرق سليمان برأسه واحس ان عيني الاخرين تأكلانه بدهشة .

— انني ... انني اكذب دوما ... اكذب بسرعة .. انا انسان حقير ..

يجب ان نفترق .. ابدا طريقك بنظافة وبساطة يا جريس ..

يجب ان نفترق يا جريس .. انا خفاش اعمى .. لا نفع يرجى مني.. مطلقا .. مطلقا .

وترك الاثنين بدون وداع يقفان شاخصين اليه ... وعلى وجنتيه الجافتين كانت دمعتان محترقتان حقودتان تنحدران ببطء .. انه يحس ببعض الارتياح فقد كانت المرة الاولى الذي يعترف فيها لانسان ، بان كل ما يقوله هو استجلاب لتصفيق تافه ، يقوي في نفسه الثقة بها ، ومع ذلك احس بالرضى ، وشعر بشيء مظلم اسود ينفصل عن نفسه ، وبموجات طفولية رائعة تملأ كيانه ... وادهشته هذه الراحة ...

وسمع وقع خطوات وراءه فلم يلتفت بل تابع سيره مطرقا، واقتربت الخطوات مترددة ، ولمح ظل جريس يحاذيه ، ومشى الاثنان عدة دقائق صامتين :

— جريس .. لماذا جئت ؟

— لن اتركك

— ولكني شخص كذاب ، مزور لا اريد مطلقا ان اوثر عليك ...

— لم تكن في اية لحظة مزوراولا كذابا ... لقد كنت تقول اشياء عظيمة وان كانت غير واقعية .. انك شخص مسكين ولو كنت كما تقول

— ولكني مع ذلك كنت اكذب يا جريس

— اعرف ذلك تماما ..

— ولكني مع ذلك طيب يا جريس

— اعرف ذلك ايضا .

واندفعا فجأة في عناق حار ، وكان سليمان يشعر بيد جريس المرتجفة وهي تحيط ظهره وتمسح على شعره

— أتظن انني لا ازال نافعا يا جريس؟

— انا لا اشك في ذلك مطلقا يا سليمان ..

— وتحبني يا جريس ؟

— يجب ان لا تشك في ذلك مطلقا يا سليمان .

دمشق — سعيد حورانية

دمشق .. يا مدينتي العجوز   دمشق .. يامدينتي الطفله
أنا الى موعـــدها سابــح"   أقطـــع سوقا فارشا ظلّه
وضجَّــة النســاء معقودة"   والضحكة".. الفضية" السهله
يبسمن لي كأنمـا قصتـي   مقروءة في فتحـة المقلـه
يرتفـع المنديل في خفيــة   وتخطف النظـرة في غفله
آه .. على الحرير ، لو أنني   أقـــدر أن احملـه كلــه
أفرشـه أرضا وآتي الى   موعـدنا ، معطر الحلـه
ملء ذراعي الهدايـا ، وفي   عروة صدري راشق فله !

★ ★ ★

دمشق.. يا صديقتي العجوز   دمشق .. يا رفيقة الصبـوه
أنا الى موعـدهـا سابـــح   في ضجّة الزقاق والقهوه
أراقب النـاس كأنْ لا أرى   فيهم..سوى الفرحة والنشوه
لم يبـــق للبيوت سرٌ ولا   للسور..والطاقة .. والفجوه
كأنني أرجـع تاريخهـــا   وأحتويه .. خطوةً .. خطوه
أنا.. وأنت .. مُنتهى قصة   كانت هنا تدور في خـــلوه
يعيدهـا الشَباك مستوحشا   وهـــذه الستائـر الرهوه
آه.. على البركة .. لو أنني   أروي لها حكايتي الحـلوه
اذن لقام القصر من نومـــة   واستيقظ الرخام من غفوه !

★ ★ ★

دمشق .. يا مدينتي العجوز   يا طفلة تبسم في الفــــه
أنا الى موعدهـا سـابـح   في موجة النهر.. وفي الضفه
ازحف تحت الجسر مستروحا   واعبر السيـــاج في خفـه
وأدخل البيوت من صـالـة   الى رواق .. أو الى غرفـــه
نحن حكايا النهر.. تُصغي لها   سيـــدة" تشهقُ من لهفـه
ووردة" تُسقى على أمهـا   وشاعر يحـلم في شرفـــه
من أي دار أتتقي طاقتـي   وأي زهر أشتهي قطفـــه
آه.. على الجنة .. لو أن لي   في كل روض يانع وقفـــه
اذن لجمعت لك الارض في   اضمامة .. ملمومة .. طُرفه
يُشَـمُّ فيها بَلَـدي كلـه   وتشتهي لو عُلّقت تحفه
موعدنا .. موعـدنا .. يا له   من موعد .. آتيه في زفـه !

دمـــشق   شـوقي بغـدادي

وقفة على قبر ابي شادي

•



احب الطبيعة حتى في موته (١)، فجاءته الحشرجة في بستان، ورقد في بستان سندسي كثير الورود واحب الانسانية في غير حدود، فدفن في مقبرة تضم اعلاما من عشاق الانسانية ومحبيها، آمنوا بالاخاء البشري حتى سموا به فوق الحزازات الجنسية والشيع المذهبية.

واحب الحرية، فجاء لحده على رمية حجر من تمثال مهيب منيف لبطل الحرية ابراهام لنكولن.

وعندما زرت الولايات المتحدة في صيف العام الفائت، ذهبت الى حيث يرقد استاذنا ورائدنا المرحوم الدكتور احمد زكي ابو شادي، وحنيت رأسي تجلة واحتراما للرجل الذي احب الطبيعة واحب الانسانية واحب الحرية، ووضعت على قبره الدارس باقة من زهر القرنفل احب انواع الورود اليه. وكان ذلك في اليوم الثامن من شهر سبتمبر الماضي بعد خمسة اشهر من ختام حياة رجل عاش بالعرض والطول والعمق، فخلد بشعره وادبه وعلمه، وخلد بسيرته واعماله وشمائله، وترك في نفوس تلاميذه واخوانه ومحبيه فراغا لا يملأ وخواء عز ان يشغل.

ووقفت على قبر ابي شادي في مقبرة يسمونها Non Sectarian Cemetery تقع خارج وشنطن العاصمة عند حدود ولاية ماريلند اتأمل حياة هذا المناضل الابي الذي خرج الى الدنيا يتحدى: رأى الجهل فاشيا فتحداه بعلمه. رأى الناس طلاب منافع، فكان أمامهم في الايثار. رأى الشعر وقفا على نفر، فانشأ مدرسة ترعى الشعراء وتتعهدهم للمستقبل المرجو، رأى السطحية تهدد الاصالة، فحارب الغثاثة وكان عليها سيفا مسلطا بل سليطا. ورأى مبادىء الاخلاق تتردى، فقام يدعو الى الصلاح بقيثارته التي بها انشد من الالحان اعذبها ومن المعاني ابلغها. ورأى الوطن ينحدر الى حضيض، فأعلن على الفساد حربا عوانا، وجعل يرسل النذير تلو النذير لعل اولى الامر يصيخون؛ ولكن صوته المدوي اصاب آذانا بها صمم، فما ارعوى اصحابها، وانقلبوا يوم حصحص الحق وزهق الباطل.

وقفت على قبر ابي شادي اردد شعره في خاطري. فقد اختلف الناس في شعره، ومتى كانوا على أمر يتفقون؟ قال بعضهم انه ليس بشاعر بل نظام. وقال بعضهم: ليته كان مقلا. وقال بعضهم: عقله غلاب على عاطفته. وقد اعتاد ابو شادي سماع هذا اللغو في حياته، فلم يحفل به، بل مضى يقدح زناد الشاعرية فيه، ويملأ الدواوين من بحر انتاجه وهو يردد في اسى:

وطاردتني (٢) الى منفاي جانية   وعـددت صفو آثاري كآثامي

ومن من الشعراء سلم من هجوم المهاجمين وتهجم المتهجمين؟ بل من من دعاة الحق خلص من طعنات من الخلف واتهامات حتى بعد ان صار رميسا؟ فما ايسر النقد الهين، وما اعسر المجاراة في الابداع. وقد كان ابو شادي مبدعا خلاقا فكاد له من افتقروا الى هبة الخلق ونعمة الابداع، ومن قصرت باعاتهم وانقطعت انفاسهم فلم يستطيعوا ان يطاولوه، وعز عليهم ان يبلغوا منه مرتبة الطالب من الاستاذ الجهبذ.

وقفت على قبر ابي شادي امجد الوفاء في رجل لم يعرف الا الوفاء في تفان. فقد كان وفيا لرسالته في الحياة يؤديها دون ان يحنث عهدا او يميل مع هوى. وكان وفيا لوطنه ولغته واهله وعشيرة الادب التي ينتسب اليها من نواح شتى شاعرا وناثرا وناقدا وعالما وباحثا ومحققا ومترجما ومصنفا ومحاضرا ومذيعا. وكان وفيا قبل ذلك وبعده للمثل العليا التي فطر على تمجيدها وعاش يدعو اليها ويحياها ويهيم بها. فقد خلق للوفاء، فكان ابر الناس بالناس، واحناهم على كل من يجعل الادب صلة نسب.

وقفت على قبر ابي شادي استعيد سيرة هذا الرجل الذي عاش لا يهادن. فقد اريد له ان يكون طبيبا يقتني بعلمه الثراء العريض، ولكنه اراد لنفسه ان يكون انسانا يقتني بحبه العالم كله. وحياة ابي شادي تتميز بالحب الكريم النبيل في صور شتى تنعكس على اعماله وفعاله. فحبه للناس جعله يلم شعثهم في روابط ومنتديات حيثما استقر به المقام. وحبه للجمال الهمه روائع شعره وبدائع لوحاته، وقد رأيت بعضها في وشنطن فبهرني تناسق الوانه وتجانس صوره. وحبه للطبيعة ملك عليه جميع حواسه، فاختار سكنى الضاحية لا سكنى المدينة، وآثر الدارة على العمارة الشامخة من ناطحات السحاب. وحبه للمملكة الحيوانية استرعى عنايته بها، فعكف على تربية النحل والطيور الداجنة، واحب القطط والكلاب الانيسة، وتغنى في شعره بكل هذه. ولا احسب كلمة اقرب الى لسان ابي شادي من كلمة الحب، فقد شاد للحب هيكلا في فؤاده، وعاش به وله عيش الناسك المتعبد.

وقفت على قبر ابي شادي، ولم اعتد زيارة القبور. وكان في وشنطن من المعالم التاريخية ومن دور الفن والترفيه ما يغري بقضاء الوقت اكثر من اغراء قبر سكت صوت صاحبه. ولكنني حرصت على زيارة قبر ابي شادي متمثلا عين المبادىء التي ظل ينادي بها في كل ما كتب من شعر او نثر. واذا كان مفكرو امريكا قد عدوا ابا شادي كسبا لهم يفاخرون به، افلا يحق لنا معشر المواطنين ان نكرمه في موته بعد ان اشبعناه في حياته طعنا وتجريحا؟

والقبور لا تخرس السنة سكانها اذا كانوا من طراز ابي شادي. فسيردد الناس شعره جيلا بعد جيل، معظمين معه معاني الحرية والجمال والاباء والايثار والشرف والكرامة والوطنية والانسانية والحب والانسانية البريئة من الشوائب.

القاهرة   وديع فلسطين

(١) القيت هذه الكلمة في احتفال رابطة الادب الحديث في القاهرة بذكرى مرور العام الاول على وفاة ابي شادي.

(٢) يعني طاردتني بلادي.

التعبير والشعور



هناك درجات لا متناهية في الكبر والصغر من الشعور. هناك شعور بالالم وشعور بالفرح. والشعور بالالم ناتج عن توقف في العمليات الحيوية او عرقلة في اتجاه كائن نحو التكيف ونحو الراحة.

واما الشعور بالفرح فهو عبارة عن حرية في الاتجاه نحو الالم كما تشعر به الكائنات على اختلاف احساساته فلا بد من ان نلقي نظرة على مواقف هذه الكائنات عندما يهاجمها الضرر ويفاجئها ما يهدد نموها واستمرارها نحو النضوج ونحو النهاية الطبيعية التي تخلف البذرة المتجددة.

تتألم الشجرة عندما يهاجمها التيار الهوائي العاصف فتنطوي على نفسها عندما تسقط اوراقها التي تمدها بالطاقة الشمسية وبالهواء المغذي. ونجد بعض النباتات تتقلص بطاقات زهورها عندما يشتد الضوء او عندما يتصل بها جسم مضر.

ونجد الحيوانات من ابسط انواعها مثل الديدان الى اعقد هذه الانواع مثل الانسان تقوم بالحركات التقلصية التي تقرب الخلايا بعضها من بعض ليمكنها ان تصمد امام العدو المهاجم. ويصاحب هذا الانكماش عند بعض الحيوانات حركة نفخ بالفم تحاول ان تطرد الاجسام المهددة. وحدث ان اشتد هذا النفخ فاصطحبته اصوات عفوية لا جمال فيها تطورت. وتطورت هذه الاصوات ودخلت في شكل ايقاعي وتكون الانين الذي تغلب عليه مسحة التعب والهبوط فاوحى لنا بفكرة الحزن التي تصاحبه عادة عند الحيوان الذي يقوم به عند الضغط والشدة.

وعندما يتلاشى الخطر ويشعر الشخص بالاطمئنان ويغمره دفء الحياة بعد برد الحزن فان نفس هذه الاصوات تستمر مع تغير ايقاعها. وبدلا من النفس الضيق المتكرر بطريقة مملة لا تنوع فيها ولا قوة. يصدر عن الكائن ايقاع جديد يغلب عليه الانطلاق والتغير وتصحبه في بعض الاحيان حركات مختلفة يقوم بها الكائن بجسمه كله. وباجسامه المجزأة وهذا ما يسمى بالرقص.

ولكن الانسان الراقي تعددت مشاعره ولم تعد مقتصرة على الحزن والفرح بل جاءت مشاعر اخرى مثل الخوف والامل والتردد والايمان والحب والكره والاشمئزاز والرضا والاحتقار والاعجاب والوهم والثقة، والتقليد والحقيقة والنفاق والصراحة. كل هذه المشاعر يمكن للانسان ان يشعر بها منفردة او متداخلا بعضها ببعض لتكون الوانا لا نهاية لها من الحالات النفسية التي لا نستطيع ان نطلق عليها اسما يحددها كما حاولنا بالاسماء السابقة الذكر ان نشير الى اهم انواع المشاعر النفسية خصوصا وان هذه المشاعر النفسية لا تكون نفسية بحتة في اغلب الاحيان وانما تكون مصحوبة بحالات اخرى جسمية او اجتماعية مثل الجوع والعطش والرغبة الجنسية والثورة ضد المجتمع او الخضوع للمجتمع مما يؤدي الى الغضب او الرضا. واحيانا تكون هناك اضطرابات جسمية بسيطة او معقدة تعطي لهذه المشاعر بروزا خاصا يجعلها تتركز وتتبلور في مظهر معين من المظاهر التي نعرفها.

وهكذا يحدث نوع من الاستبدال بينهما فيشعر الشخص بالخوف في الوقت الذي كان يجب ان يشعر بالكره مثلا. وهذه المواقف الاستبدالية شائعة بين الناس ومعقدة وتكون نسيجا دقيقا يعتبر الاساس او الارضية لنفس كل شخص. ويصعب على الفرد البسيط ان يدرك حقيقة هذه المشاعر الدقيقة المنسوجة نسيجا محكما عميقا في النفس ولا تستطيع اللغة بوسائلها مهما دقت وباساليبها مهما كانت براعة الشخص راقية ان يصل الى تصوير هذا النسيج الدفين. واننا لم نجد وسيلة من الوسائل المستعملة في انواع التعبير تصل الى هذا النسيج لتصوره وتعبر عنه في غير «الموسيقى» الراقية التي تجاوزت مناطق الفرح والحزن الجسمية البادية للعيان.

ولكي نفهم تعبير الموسيقى في اعمق حدوده البعيدة في النفس فلا يكفي ان نسمع الموسيقى ولكن لا بد اولا من الوصول بنفسنا الى فهم النسيج الداخل الذي يكون اساس ارضيتنا الشعورية لكي نتصور النسيج النفسي الذي حاول المؤلف العبقري التعبير عنه بقطعته الفنية الراقية. فالشخص الذي لم يصل الى اعماق نفسه. ليدرك حقيقة مشاعره لا يستطيع ابدا ان يكون فكرة عما يمكن للموسيقى ان تصل اليه من دقة في التعبير. ويكون من العبث محاولة تفهيم الشخص هذه الدقائق العميقة والا يكون ايضا من الممكن ان نصور لعاجز لم ير النور ابدا ولا الالوان ان نشرح له جمال مزج لوني دقيق نادر في الطبيعة.

وطوبى للاشخاص الذين منحتهم الارادة الالهية قدرة على فهم النسيج النفسي بالتحليل او بالالم مع قدرة على العزف للوصول الى التمييز بين الجزئيات الصوتية التي يستعملها المؤلف ليصور بها لونا من الوان نسيجه الشعوري الداخلي الذي لا يمكن لاية لغة ان تعبر عنه.

وهكذا يمكننا ان نرفع ستارا كثيفا مسدولا على كل القطع الموسيقية الراقية لنرى عالما غنيا بالتفصيلات الشعورية وكأننا وضعنا نقطة ماء تحت مجهر ضخم فوجدنا عالما حيا من الاجسام الصغيرة التي تتحرك وتتناضل تعيش وتموت وتتكاثر الى ما لا نهاية.

عالم الموسيقى لا نهائي ويمكننا بوسيلته ان نعيش في لحظة بسيطة قرنا او قرنين الى الخلف لندخل الى نفس شخص في اعماقها ونتصل بروحه التي تعبر عن جزئيات شعورية لا يمكن حصرها. وهذه هي الجنة الارضية التي تتصل فيها الارواح اتصالا يكاد يكون كليا. لان الاتصال الموجود في الحياة بواسطة اللغة ناقص يستعمل اداة ناقصة لا توحد بين النفوس والارواح وتساعد الانانية على ان تزدهر وتسيطر. وما الانانية الا العجز عن فهم الاخرين.

فالشخص الاناني جزيرة في وسط بحر. وهذه الجزيرة احيانا تكون سببا لتعريض شخص آخر الى السجن وتعطيل حركته وحيويته ولا يكون هناك حل الا بانطلاق الروح في ملكوتها الاعلى.

ان الموسيقى تعبر عن الصراع بين الانسان ونفسه وتعبر عن النضال بين الانسان والطبيعة وتعبر عن المعركة بين الفرد والمجتمع. اننا نجد في الموسيقى الحقة الجمال كما نجد القبح ونجد القوة كما نجد الضعف ونجد الخشونة كما نجد اللين. فاننا نصادف المزيج الناعم الذي يعبر عن شيء جديد لا تعرفه النفس وتكون تواقة الى معرفته كما يرغب الشخص في ان يتعرف على البلاد النائية الغريبة.

القاهرة — ابو مدين الشافعي

قصة سورية

صورة

بقلم فاضل السباعي

كان من قبل ان يرن جرس المدرسة معلنا الانصراف – يتكلم في تلاميذه بصوت هادر مائج ، تحدوه في ذلك غضبة على مجتمعه ونقمة.. « كم من فرد قد واتته الطبيعة بمسحة من موهبة ولمسة من ذكاء ، فراح ينتج لمجتمعه الوانا من الفن والعرفان باذلا في ذلك ذوب نفسه وخالص روحه ، غير آبه لوقت يتبدد ، وصحة تذبل ، وحال تزداد على عسرها عسرا ، ثم هو لا ينال من مجتمعه ، بعد ذلك كله ، سوى العقوق والازورار وسوء التقدير !... »

وكانت سن التلاميذ اقل من ان يعوا هذا الكلام تمام الوعي . ولكنهم ما كان ليفوتهم ان استاذهم انما يشير الى .. تلك الصورة ، المنطوية على ذاتها ، خلف الزجاج ، في واجهة « استوديو » المصور شاهينيان . وهم قد تأملوها طويلا في غدوهم ورواحهم من امام الاستوديو ، وتناقلوا الحديث عنها ، وانهم ليعرفون اليوم من خبرها كل شيء .

كان يهدر – حينا – بهذا الحديث الساخط ، حتى اذا نال منه الاعياء ، توقف عن الهدير ، ودنا من المنبر ، وقد تدفق في شرايينه دم احمر موار ، وجلس الى كرسيه يتنازع خاطره امران : البارون شاهينيان ، والصورة ... ويلوذ بالصمت ، يستغرق في ذلك التفكير لحظات :

– بارون شاهينيان ...

– اهلا ، استاذ .

– هل من اخبار ؟ ..

– اوه استاذ ... لا شيء ، لا شيء ... ان الناس في بلادنا لا يقدرون الفن ... انهم جائعون يجرون وراء الرغيف ... الفنان عندنا ضائع ، منسي ، لا يلتفت اليه ... الم اقل لك ذلك من قبل ، يا استاذ ؟ ..

اجل . ان البارون شاهينيان قد قال له ذلك من قبل كثير . وانه ليشاطره في هذا الراي ، الذي لا يفتأ البارون يردده في كل آن . وهو ، في مشاطرته الراي ، غير متعسف او مغال ؛ فالناس في الحق منصرفون عن الفن زاهدون فيه ! أليس ينهض دليلا على ذلك... تلك الصورة التي اتخذت لها مكانا خلف زجاج واجهة استوديو شاهينيان ، في اجمل شوارع المدينة ، من اول ذلك الشهر الذي مضى ؟ ..

ثم يرتد الى نفسه ، ليجد انه ما زال مع تلاميذه . فيقوم ليتكلم في موضوع الدرس الذي ينبغي له ان يتكلم فيه ؛ ولكنه لا يلبث ان يغوص في ذلك الموضوع الذي يشغل عليه عقله وتفكيره جميعا .

ولما رن الجرس مؤذنا بانتهاء ساعات اليوم ، كان قد استنفد رصيده من التصبر والتريث . فما اسرع ان اختطف ممطره ، وتأبط حقيبته ، وانطلق من المدرسة ... يطلب البارون شاهينيان .

* * *

كانت الريح تصفر عاصفة ، ما اشبهه بها ، كلاهما هادر مائج ! . وكانت باردة في قسوة وضراوة ، فتصفع وجهه في غير رفق ، حتى لتترقرق في مقلتيه دمعات هينات فكأنه يشكو للطبيعة صنيع الريح ، او كأنه يشكو لها نكران الناس ... «لقد اتعبت لي فكري – يا بارون – وشغلت بالي ... ما كان أطيبك لو لم تبد استعدادك لعرض الصورة في واجهة محلك ! » ... لقد هطل – قبل خروجه من المدرسة – المطر الى حين ، فبلل الشارع . ولكن الريح العاصفة كانت كفيلة بان تمتص البلل من اسفلت الطريق ، فتحيل سواده الى زرقة باهتة ، لولا بعض البحيرات المتناثرة في طول الشارع ، قد تجمعت في منخفضها بعض المياه التي عجزت عن امتصاصها الريح . وكان لا يتمثل في حياله – وهو يمضي في طريقه – سوى الصورة ، معروضة خلف الزجاج ، تزدهي بالوانها الزيتية المتساوقة . وكان لا يجري على لسانه الا لفظا : « بارون شاهينيان »!.

كانت السماء عابسة دكناء لا تبشر بصحو ، مثلما لا توحي حاله بانفراج الضيق . كا نيعلم الاولاد ، في حياة رتيبة مملة ، تآكلت من رتابتها اطراف امانيه ، وتهيضت اجنحة مطامحه ، حتى كاد ان يتسرب اليأس الى فؤاده فلاذ بالريشة والالوان – وكان له بهما ولع من غير مرانة – يشغل اوبقات فراغه في تخطيط وتلوين . حتى اذ تقضت عليه – وهو في ذلك – الايام ، كان قد بلغ في مضمار الرسم منزلة على جانب من الرفعة ، كما يشهد له بذلك .. المصور شاهينيان.

اوه ... من جديد ، البارون شاهينيان !

لقد ذهب اليه يوما في الاستوديو لصورة فوتوغرافية يريدها . فرأى البارون مكبا امام مرسمه على لوحة زيتية يعمل فيها ريشته بحذق وبراعة ، ساكبا مجاجة روحه ... فما ملك ان ابدى اعجابه برائع فن البارون . فطرب هذا لاطرائه كل الطرب ، واثنى على ذوقه واصالة نظرته الى الفن ، وانشأ يقول :

– قل من يفهم الفن في بلادنا ، يا استاذ ، واقل منهم من يقدر الفنان ... هذه اللوحة التي تراها بين

يدي ، ما كنت لانهض الى رسمها ، لو لم تطلب مني مقدما ؛ فقد شاهدت سيدة اجنبية بعض لوحاتي ، فعهدت الي برسم صورتها لقاء مبلغ سخي.. قل لي بالله ، يا استاذ ؛ لم ابدد وقتي في عمل لا غناء لي فيه ، وما دمت لا القى من الناس الاقبال والتقدير ؟

وسكت البارون شاهينيان هنيهة ، ريثما يمزج لونين ، ثم غمس فيهما ريشته ، وجعل يمرها على صفحة اللوحة ببراعة ، وهو يقول :

ـ لقد رسمت في زماني ، يا استاذ ، لوحات كثيرة لا تكاد تحصى.. وكنت اعرضها للبيع ، فلا يكاد يدفع فيها احد ما يفي بثمن الالوان ، ناهيك عن مقابل الوقت الذي كنت اريقه دون ما حساب في الرسم والابداع . على اننا ـ في الحق ـ لا نعدم امرءا يشجعنا ، نحن معشر الفنانين ، بين الفينة والفينة ، بشراء لوحة او اخرى ، او يطرينا بكلمة مشجعة نشعر معها ان جهدنا موضع تقدير . اتتعاطى الفن ، يا استاذ ؟

وكأنما كان ينتظر مثل هذا السؤال ، فانبرى قائلا بحماسة :

ـ ان لي لوحات كثيرة ، يا بارون ، وجلها مناظر للطبيعة وصور لنساء جميلات .

وابدى البارون شاهينيان رغبته في ان يرى بعض نتاج زميله الجديد . وقد كان ؛ فاطلع المصور على لوحاته ، فوجد فيها جوهرا للفن اصيلا مبشرا ، على اعواز هذا الجوهر للقليل من الصفاء الذي يحتاج الى توجيه وارشاد ، وقد بذلهما له المصور في تالي الايام ، وحضه على القيام برسم لوحة كبيرة يبتدع موضوعها من الخيال او يستلهمه من الواقع ، باذلا في ذلك غاية فنه وقصارى جهده ، ثم يترك امر تصريف اللوحة بثمن موافق للبارون شاهينيان ! .

وكذلك ، فقد اغراه تشجيع المصور على ابداع صورة لم يرسم في سابق ايامه لها مثيلا . وقد بات يفكر في موضوعها : أيكون منظرا طبيعيا ، ام كاعبا حسناء ؟ .. لا . انه لن يرسم هذا ولا تلك ؛ فقد علمه المصور شاهينيان ان ثمة مجالات اخرى فسيحة على الفنان ان يخوض غمارها ، لا ان يقصر فنه على رسم منظر لروضة او غدير ، او صورة لغانية عارية او نصف عارية !.

ثم انه وقعت عينه ، في احد الايام ، على عجوز شحاذ يقتعد رصيفا في احد الشوارع ؛ على رأسه « طاقية » حواليها « لفة » من قماش ابيض متسخ . وقد امتدت هالة بيضاء من امام اذنه اليمنى هابطة الى ذقنه مصعدة الى امام اذنه اليسرى . وكانت السنون قد خلفت في وجهه آثارا عميقة أظهرها ما علا جبهته الواسعة السمراء من خطوط غائرة ممتدة من الصدغ الى الصدغ ... هنا قفز الى فكره تصميم لصورة ليكن اسمها : « الفقر » .

وجعلت صورة الشيخ العجوز تملأ خاطره وتلح الحاحا عنيفا ، تطورها في ذلك يد التهذيب والتحسين . حتى اذا تحددت في خاطره معالمها ، كانت تمثل وجه عجوز ملتح ، على رأسه طربوش حوله لفة مطرزة ، في جبهته وعارضيه غضون من آثار السنين ، صورة اسمها : «الشيخوخة»

وما احس ذات يوم الا يده تتلمس موضع الريشة والالوان ... ثم طفق يخط ويرسم .

ثم انه مضى عليه شهر عانى خلاله من الحاح الرغبة في الرسم ما عانى . ولكنه كان ما ان يمسك بالريشة ويشرع بالرسم ، حتى يأخذه فيه استغراق وذهول ، ينسى معهما نفسه ولا يعود يحس بالساعات التي تنقضي وهو منسرق بمزج الألوان تارة ، واضافة خط هنا ورعشة من ريشته هناك تارة اخرى . وفي آخر الشهر نبضت الروح في الصورة ، واستوت فنا رائعا يجسد صنيع الزمن في محيا واحد من مواطنيه الطيبين ، من اولئك الذين يلتقي بهم كل يوم وقد ارخوا لحاهم فاسترسلت طويلة كثة ، ولفحت بشرتهم المغضنة شمس الشرق فأحالتها الى سمراء في مثل لون النحاس ، واستقرت على رؤوسهم طرابيش حمراء قاتمة مشدودة عليها اللفة « الغباني » التقليدية المطعمة بخيوط من حرير اصفر في دقة واعتناء !...

ولقد احتمل الصورة ، بعد ان ثبتها في اطار مزخرف ثمين ، الى المصور شاهينيان. فأعجب هذا بالصورة غاية الاعجاب . وابدى استعداده لعرضها في واجهة محله ، علَّه ان يقيض لها انسان يدرك رعشات الفن فيها ويحس برغبة في اقتنائها .

وكذلك ، فقد احتلت الصورة الصدارة في واجهة استوديو شاهينيان. وكان المارة يتوقفون ـ كالعادة ـ امام الواجهة الزجاجية ، فتستلفت انظارهم ، لاول وهلة ، تلك الصورة الزيتية الكبيرة القائمة في الصدارة ، والتي تمثل وجها نحاسي اللون مغضنا . وكان البعض يطيل اليها النظر ممعنا معجبا ، في حين يتجاوزها الكثرة غير واجدين فيها اكثر من وجه عتيق اعتادوا ان يروا امثاله كثيرا بين من يلقونهم من الناس في كل صباح ومساء ، يتجاوزونها الى غيرها في الواجهة من صور تمثل نساء ورجالا تطفح في وجوههم بشائر النضارة والشباب .

وكان يحلو له ان يمر ، في رواحه ومجيئه ، من امام واجهة الاستديو ، ملقيا نظرات الاعجاب والاعتزاز الى الصورة الرائعة التي ابدعتها ريشته الخلاقة ، مصغيا الى تعليقات المتفرجين المتناقضة التي يرضي عن بعضها ويسخط على معظمها ، شاعرا في كل الاحوال بموجة من الخيلاء تهز اعطافه. ثم يدلف الى الاستوديو :

ـ بارون شاهينيان ...

ـ اهلا ، استاذ .

ـ الم يسألك احد عن... الصورة؟

ـ اوه استاذ ... لا احد ، لا احد ... ان الناس في بلادنا لا يقدرون الفن... انهم جائعون يجرون وراء الرغيف ... الفنان عندنا ضائع ، منسي ، لا يلتفت اليه ... الم أقل لك ذلك من قبل ، يا استاذ ؟!..

دائما : لا شيء ... لا احد !!

ان البارون شاهينيان قد شجعه على رسم الصورة ، واردف بان تعهد بامر تصريفها بالثمن الموافق ، وها قد مضى عليها ، وهي في مثابتها الانيقة خلف الزجاج ، شهر وبعض الشهر ، ما سأله خلالهما عنها احد !. أغرر به البارون اذن ؟.. ولكن هذا ـ في الحق ـ قد شكا اليه يومها كساد سوق الفن ، ذلك الكساد الماحق الذي جعله يهجر الرسم ، لولا ان يعهد اليه ذوو صداقته ، في المرة بعد المرة ، بالقيام

برسم صورة معينة، لقاء مبلغ يدفعونه اليه مقدما !

على ان البارون قال له يوم البارحة..

وهبت الريح من الشمال عاتية، تعبث بشعره، وتردد صفيرها في صيوان اذنيه... بينما اخذت السماء ترز الارض بالمطر الواهن، مما جعله يدفع بكلتا يديه الى قعر جيبي ممطره.

اجل... لقد قال له البارون يوم البارحة... بان ثمة شخصا يريد اقتناء بعض الصور واللوحات ليزين بها جدران داره الجديدة، وسوف يمر به في الاستوديو في المساء التالي، لينتقي ما يعجبه من لوحاته، وانه لن يتوانى عن لفت نظره الى «الصورة» في الواجهة، فلعله مقدر دفقة الفن فيها، متعجلا شراءها بما تستحق من قيمة...

* * *

عندما امسى على مسيرة خطوات من واجهة استوديو شاهينيان، كان الرذاذ قد انقطع معينه من السماء... وكان الظلام قد بدأ يرخي على الكون سدوله، على حين كانت السيارات تندفع بفامر ضجيجها، في تلك «الساحة»، عند تقاطع الشارعين، امام استوديو المصور شاهينيان...

واقترب من الاستوديو واجف القلب مبهورا، يتمنى لو تفتقد عيناه الصورة في واجهة المحل فلا تلقاها، فذاك يعني انها قد نالت رضا ذلك الرجل الموعود به، فاحتملها الى داره تلك الجديدة التي سيكتمل لها البهاء — لا ريب — ان علقت في بهوها تلك الصورة الرائعة...

واطل برأسه، وهو على الرصيف، الى الواجهة تصدح فيها الاضواء.. فارتطمت عيناه بالصورة، وطالعته تلك الشيخوخة المتهدمة... فبصق — في سره — على هذه السحنة الكئيبة، واحس بالنقمة على البارون شاهينيان الذي دفعه الى سلوك مثل هذه الطريق، وقد كان سعيدا من قبل برسم الفواني الملاح... ثم لمح البارون، وهو في داخل المحل، مكبا — في سكون — على صورة فوتوغرافية يعمل فيها قلمه مهذبا، والى جواره، على المكتب، مدفأة كهربائية تبثه الدفء والنشاط.. وتساءل عما اذا كان الرجل لم تعجبه لوحة من لوحات البارون، ايضا ؟. ولكنه سرعان ما انبرى يجيب نفسه: « بلى. لا بد انه قد اشترى من بينها بضع لوحات... والا لما كان البارون يعمل الان في مثل هذا النشاط ناعم البال!»

وما وجد أي غناء في الدخول الى البارون. لماذا يلقاه ؟ أمن اجل ان يكون له موضع رثاء واشفاق ؟ ام ليستمد منه تشجيعا جديدا على المضي في رسم امثال تلك السحنة القابعة، في غير حق، تحت هذه الاضواء البراقة، في هذه المثابة الانيقة ؟!...

ولكنه، عندما هم بالمسير، ما لبث ان ارتد على عقبيه. فقد خطر في باله: لم كل هذا التشاؤم ؟ الا يجوز ان يكون خاطئا في تقديره ؟. لعل الرجل لما يات للاستوديو بعد.. او لعله قد أتى، واعجب بالصورة، ولكنه استبقاها حيث هي لسبب او لاخر ؟!... وسري عنه بهذا الخاطر. ثم ما احس الا وهو يدفع الباب في طريقه الى البارون، وقد ارتسمت على شفتيه بسمة تفاؤل:

— مساء الخير، بارون شاهينيان.

— اهلا، استاذ.

— كيف الحال ؟

— مليح، استاذ.

— هل من اخبار ؟..

— ابدا استاذ.. لا شيء، لا شيء... ان الناس...

— ان الناس لا يقدرون الفن... يجرون وراء الرغيف... الفنان منسي... قد قلت لي كل هذا من قبل، فما بي حاجة الى سماعه من جديد !. قل لي، الان، يا بارون شاهينيان: الم يات صاحبنا ؟!

فتنحنح البارون في مقعده، وتلفت حواليه كأنه يستنجد بانسان يحمل عنه وزر الافضاء الى الاستاذ بما كان. ثم اجاب وهو يتشاغل:

— بلى.

— واطلعته على الصورة ؟

— اجل...

— وما كان رأيه ؟...

ثم تدفق الدم قانيا الى وجهه في انتظار الجواب. في حين قال البارون شاهينيان:

— لقد تبين لي، يا استاذ، انه لا يفقه من اصول الفن شيئا !... لقد قال، عندما لفت نظره الى لوحتك، بانه لا يسره ان تقع عينه كل صباح على سحنة عجوز متداع !.. انه، يا استاذ، يفهم الفن على انه وجه صبوح وطرف كحيل !!...

وتمتم الاستاذ بكلمات غير واضحة. بينما كان البارون شاهينيان يطري الصورة — مخلصا — احسن الاطراء، مؤكدا انه لا بد ان يقبل يوم تلقى فيه بين الناس من يقدرها ما يليق من تقدير. على ان الاستاذ ما لبث ان طلب الصورة، يحملها الى بيته، فقد اقنعه انتظار ذلك اليوم الموعود... الذي طال ترقبه وتمنيه.

وخرج من الاستوديو، يتابط صورته الحبيبة البغيضة، الى الشارع، حيث لفحته برودة في الجو ضارية مشبعة بالرطوبة... وكانت الاصوات المنبعثة من ابواق السيارات تشق مسمعيه دون ما هوادة... وهو مطرق الى الارض، ماض في طريقه، لا يلوي على شيء !

* * *

ولما ضمته حجرته، جلس قبالة الصورة، يمعن النظر في تلك الطلعة السمراء المغضنة، اما كانت تستحق قليلا من الالتفات ؟!... ثم جعل يتفكر في تلك الساعات الطويلة التي بذلها — آسفا — في الرسم والتلوين. لقد كان اولى به ان يشغل هذا الوقت بعمل يعود عليه بالنفع، او ان يتركه هكذا شاغرا... فذلك خير له من ان يشغل بالرسم نفسه، ويكد ذهنه، ويرهق فكره !.. ولكنه عندما تفكر في ذلك المحيا الاسمر... محيا احد مواطنيه الكادحين، الذين صوحت وجوههم الشمس، داخله شعور طارىء عميق بالرضا والارتياح. انه يقوم ببعض واجبه ازاء مجتمعه، وما عليه ان عقه المجتمع او جحد فنه الناس !

ثم لما القى بنظرة جديدة الى الجبهة المغضنة، واللحية البيضاء، والبشرة النحاسية... بدت الصورة غائمة في عينيه... وما عاد يبين له من محيا الشيخ سوى ظلال واهنة متداخلة... ثم احس بقطرات ساخنة تتدحرج على خديه !

حلب — **فاضل السباعي**

رسالـة

*

كتبت اليّ غرامها وحنينها .. كتبت اليا
في أسطر بواحة هيجن بي الدمع الهنيا
من لون وجنتها وريقات رشيقات الاريج
أسكرنَ الفاظا كتبن بخطها النزق البهيج
احلى من الخجل المدل ومن أناغيم القبل
معنى يجول على فؤادي ضاحكا فيه الامل
أحلامه الخضراء رفت في خطى اللفظ الحبيب
نبتت على الجرح القديم على دجى الشجن الذهيب
ونثرن فجرا باسم الانوار خطار المراح
في دفئه الحنان نامت شقوتي .. وصحا جناحي
كتبت اليّ غرامها بأنامل استحيائها
في ليلة وردية وشحتها بضيائها
وعكفت اقرأ حبها المسطور يقظان الظلام
ظمآن امتح من احاسيسي الدفينة...من ضرامي
ما زلت أقرأه فتشملني معانيه الحرار
تنسلُّ في قلبي كما ينسل في الكهف النهار

ما زلت اقرأه .. واقرأه .. فتهجع ادمعي
عصفورة نامت على أمل رغيد ممرع
ما زلت اقرأ شجوها واعيش في صفحاتها
متغلغلا في كل معنى نام في كلماتها
حتى سطعن بمقلتيَّ ملاحم الحب الرغيد
ككواكب في هوة الظلمات تلمع من بعيد
كم مرة حلّقت في الحلم الوضيء على وسادك
متنقلا في المخدع الورديّ أشرب من سهادك
متلمسا فرشا يجوع به جديب من حنينك
وستائرا في رقة الدمع المحير في عيونك
من هذه الاظلال في ترف الفراش الناعم
نقلت انامك اللطاف هوى الفؤاد الحالم
فكتبت اسرارا مفوّفة بالوان الحنان
عاشت على عمري الشقي .. كفرحة بين الجنان

القاهرة

كمال نشات
من رابطة النهر الخالد

مع اندرسن في واينزبيرغ

بقلم صالح جواد الطعمة

« انها ليست قصصا » ، قالها ناقد اميركي حالما انتهى من قراءة حكايات « واينزبيرغ » ، وهي في طريقها الى المطبعة . انها ليست قصصا وهيهات ان تكون ذات أثر ، سمعها « اندرسن » (١٨٧٦ – ١٩٤١) من ناقد اميركي آخر « هنري منكن » Henry Mencken وهو يعرض عليه قصصه المجموعة في « واينزبيرغ ، اوهايو » مؤملا كلمة تشجيع (١) كل ذلك قيل والمجموعة لم تخرج بعد الى عالم القراء ، ولكن الذي سمعه « اندرسن » بعد طبعها كان اكثر ايلاما واشد وقعا ، فقد اتهم بدناءة الخلق ، كما اتهمت قصصه بالقذارة ، ومنع بيعها في بعض المدن كبوستن (٢) اما سكان المدينة الواقعية « واينزبيرغ » فقد ثاروا على ما ورد عن مدينتهم في مجموعة « اندرسن » ، واعلنوا عن تعلقهم بالقيم الخلقية ، متجاهلين ان « اندرسن » لم يعن في مجموعته مدينة معينة ، بل قصد بها مدينة خيالية . لقد قال « اندرسن » نفسه انها مدينة خيالية ، وان اشخاصها كانوا حوله في كل مكان ، في المدينة التي سكنها ، في الجيش ، في المصانع والدوائر . ولهذا السبب نجد كتابا معاصرين يدعون الى دراسة هذه المجموعة على ضوء جديد ، يبعدهم عن الغضب العاطفي ، واساءة فهم قيمها (٣).

وقصص هذه المجموعة ، بلا شك ، تصور اشخاصا قساة ، يسود اعمالهم الشذوذ والانحراف الخلقي ، ولكن السؤال الذي ينبغي ان يثار يتعلق بمدى صحة التهم او الاحكام التي تربط تصويرا قصصيا كهذا – للشذوذ والقسوة – بقيم المصور الخلقية ، هل يجوز ان يتهم « اندرسن » بدناءة الخلق ، بسبب محاولته تصوير جانب منحل من المجتمع الذي يعيش فيه ؟ سؤال يحتاج اجابة هادئة ، متزنة لا تسوقها العاطفة او تمليها عوامل اخرى ، تحاول انكار وجود مثل هذا الشذوذ او هذه القسوة في امثال مجتمع « اندرسن » .

★ ★ ★

ولد « اندرسن » عام ١٨٧٦ ، في « كمدن ، اوهايو » ، وكانت ظروف عائلته تضطرها الى الانتقال بكثرة من مدينة الى اخرى ، مما ادت الى حرمانه من التعليم ، وانصرافه الى الحياة العملية في سن مبكرة ، والاشتغال ببيع الصحف ، او في مزارع البقول او في سباق الخيل (٤). لقد كانت عائلته اشبه ما تكون بالغجرية كثيرة التنقل ، وهذه الحياة الغجرية ، غير المستقرة ، دفعت « اندرسن » الى التغلغل في حياة عامة الناس ، شاء ذلك ام ابى ، ومواجهة مادة حيوية خصبة يستطيع ذو المقدرة التعبيرية ان يستمد منها التجارب التي تعينه على الكتابة عنها ، او تصويرها تصويرا اقرب ما يكون الى الحقيقة والواقع ، وهكذا تهيأت لاندرسن معرفة متغلغلة في حياة الناس الذين انتقل كثيرا بينهم ، وتهيأت له فرصة للبحث عما يختفي تحت الظواهر من اسرار قد لا يعيرها معظم الناس اي اهتمام . ولعل هذا السبب دفع الكاتب الاميركي « كزن » الى ان يرى الروائي Sinclair Lewis كممثل للواقعية الحديثة ، بجعله الرواية تصويرا دقيقا مقلدا للحياة الاميركية ، بينما « اندرسن » ، كما يراه « كزن » ، كان مولعا بما هو تحت سطح تلك الحياة من اسرار ، وقد اصبح الصوت المعبر عن اهوالها وافراحها (٥). وفي الواقع ، أكد « اندرسن » نفسه هذا الجوع الى ما هو خلف ظواهر الحياة ، عندما اهدى « واينزبيرغ » الى امه « التي ايقظت ملاحظاتها الدقيقة عن الحياة حولها ، في نفسي الجوع الى رؤية ما هو تحت سطح الحيوات » .

ليس من المهم هنا ان نبت في امر المصدر الذي دفعه الى هذا الجوع ، وسواء كانت امه ام حياته ام كلاهما معا المصدر الباعث على تغلغله عميقا في الحياة فذلك ما لا يهمنا كثيرا ، بل يعنينا ان نؤكد شغفه بالبحث عن اسرار حياة اشخاصه ، والظروف التي تؤثر في سلوكهم وتصرفاتهم . لقد كان متأثرا الى حد بعيد بالحياة حوله رغم اعتبار بعض الكتاب في حينه ، كـ « جيمز كبل » (٦) مثل هذا التأثر بالحياة الواقعية بادرة خطرة ، ولكن « اندرسن » لم يشأ ان تكون قصصه مجرد مرآة تعكس الواقع ، او ان ينظر الى حوادث الحياة منفصلة عن مسبباتها ، بل كان طموحه يتطلع الى العوامل العميقة التي تدفع اشخاصه الى تصرفاتهم التي يبصرها اكثرنا دون اهتمام باسبابها . وهذا الطموح نفسه عرضه الى تهم متناقضة ، جعلت منه شخصا غير خلقي ، او محرك الحركة البروليتارية في الولايات المتحدة (٧) رغم ان مجموعة « واينزبيرغ » لم تكن مختصة بموضوع الخلق ، او الطبقة الوسطى ، او نواحي

(1) Sherwood Anderson's Memoire (New York : Harcourt, Brace, and Co. 1942) P. 293.
(2) Rosenfeld, Paul The Sherwood Anderson 1 Reader (Houghton Mifflin Co., 1947), P. XIII.
(3) Schevill, J. Sherwood Anderson, His life and work. (Denver : Univ. of Denver Press 1951). P. 107.
(4) Millet, Fred B. Contemporary American Authors (New York. Harcourt, Brace & Co. 940). P. 221.
(5) Kazin, Alfred. On Native Grounds. (New York Reynal Hitchcock, 1942). P. 210.
(6) Cabell, James. Beyond Life. (New York : 1923). P. 175.

الحياة البروليتارية ، قدر اختصاصها او اهتمامها بمشاكل الغريزة والكبت ، او كما يقول الكاتب الفرنسي « سستر » « بالشخصيات المشوهة بسبب صراع الغريزة الفعالة مع الكبت » (٨).

★ ★ ★

ولكن لماذا اهتم « اندرسن » بأمر الغرائز والكبت ؟ وكيف دفع الى هذا النوع من الموضوعات ؟ لقد كانت « الفرويدية » ، في مطلع القرن العشرين ، حدثا مدويا في اميركا وغير اميركا ، وحاول بعضهم ان يربطها بحقول المعرفة المختلفة كالفلسفة والادب والاخلاق . لقد كان « فرويد » يعتبر « الجنس » العامل الرئيسي او المركزي في حياة الانسان ، محاولا ربط القلق العصبي بالحياة الجنسية للشخص . اما كتابه « تفسير الاحلام » فقد اصبح ، كما يقولون ، التوراة لاكثر من عقد من الزمن ، وما كان من « اندرسن » الا ان يكون صدى ، طبعا ، للفرويدية Freudianism في المجال الادبي ، حتى انه كتب مرة عام ١٩٣٧ يقول : « يبدو لي ان موضوع القصة هو جوع الانسان الحيواني المتواصل . هنالك هؤلاء النساء اللائي يصرفن اعمارهن بخرس لاطعام هذا الجوع . وقد اردت خلال سنوات عديدة ان اكتب هذه القصة . » (٩)

ولكن كيف استطاعت « الفرويدية » ان تجد طريقها الى «اندرسن» ؟ يذهب الكاتب الاميركي Howe الى ان « اندرسن » قد تعرض عام ١٩١٦ الى صدمة ثقافية كبرى ، حين كان يصغي الى اوائل دعاة الفرويدية الاميركيين يتحدثون عن هذا الاتجاه الجديد . ولقد قيل ان « بورو » Burrow اول محلل نفسي اميركي ، تحدث الى «اندرسن» طويلا عن موضوع « الفرويدية » ، وانه قد اقتنع بسرعة بهذا الاتجاه او المذهب السايكولوجي ، وان «اندرسن» كتب ، بعد سنتين ، الى استاذه « بورو » معبرا عن صحة ما اصغى اليه ، واقتنع به (١٠). وما اسرع ما نمت بذور الفرويدية في ذهنه ، واضحة في مجموعته Nid-American Chants التي طبعت عام ١٩١٨ ، سابقة اختها « واينزبيرغ » بسنة واحدة فقط ، حيث راح يتلهى باغان مراهقة ، يلعب فيها الجنس اكبر دور ، ولعل السطور التالية تدل على مدى استسلامه الى الاتجاه الفرويدي الذي آمن به وحاول التعبير عن روحه في كتاباته الاولى . لقد قال في قطعته « شيكاغو » :

انا ناضج، رجل طفل ، في اميركا ، في الغرب ، في وادي الميسيبي العظيم . رأسي ترتفع فوق حقول الذرة، وانا اقف بين منابت الذرة الجديدة . انا طفل ، طفل مشوش ، في عالم مشوش ... ليست هنالك اردية تلائمني ... عقول الناس لا تستطيع ان تلائمني (١١)

واسمعه في اغنية « تيودور » قائلا :

لقد تسللت الى مخدع المرأة ،
تسللت الى مواضع النساء والرجال السرية ،
لقد أحببتهم جميعا ...
امامي ، في المخدع ، ترقد امرأة عارية ،
انها لقوية وفتية .. (١٢)

والمجموعة ، في الحقيقة ، تحوي كثيرا من هذا الكلام ، الا ان « واينزبيرغ » التي ولدت بعد عام ، كانت اقرب الى النضج ، واكثر توفيقا في تمثيلها للفرويدية ، حتى انها اعتبرت اول عمل ادبي في اميركا يمثل استخدام الاسس الفرويدية بوعي وتبصر (١٣)، رغم أن كتابا آخرين اعتبروها بدائية،وتجنبوا تصنيفها كعمل يمثل الفرويدية(١٤) ومهما يكن من امر ، فان تأثر هذه المجموعة بالاتجاه المذكور لا يمكن انكاره ، كما لا يمكن انكار محاولة « اندرسن » لتطبيق تعاليم « فرويد » ، وقد ذهب نفسه مذهبا يرى فيه ان كل شيء يصعب فهمه ، يمكن ان يحل فجأة ان استشرنا كتابا لفرويد ، كما قال احد اشخاصه في روايته « الضحكة المظلمة » (١٥) Dark Laughter

★ ★ ★

وهكذا نجد « اندرسن » يحاول ان يكون محللا نفسيا في مجموعته القصصية « واينزبيرغ » . لماذا تملكت « اليس » رغبة مجنونة للهرع في الشوارع عارية دون وعي ، فذلك ما سببه عشيقها « ند » الذي وعدها بالعودة في أقرب فرصة ، ولكنه هجرها الى الابد ، وبقيت ، رغم ذلك ، تنتظره سدى ، حتى بدات تشعر بانها بلغت من العمر عتيا ، وتملكها احساس غريب يوحي لها بانها لن تجد سعادة ومع ذلك فقد كانت تعرض عن كل من يحاول التقرب اليها ، هامسة الى نفسها بانها زوجة « ند » وانها ستبقى زوجته مادام لم يعد (١٦) . اما (لويس بنتلي) فانها نشأت محرومة من حنان ابيها ، بسبب عدم ارتياحه الى ولادتها ، لانه كان يرتقب ولدا يسميه « داود » ، يبني على الارض مملكة الله ، ويسترجع اراضي من حوله لخدمة الله ، ولكنه صدم بمجيء « لويس » فنقم عليها نقمة ليس لها من مبرر غير شذوذه . فنشأت تبحث عن الحب ، أكثر من اي شيء آخر ، ولكن دون جدوى ، وقد زادت حالتها سوءا عندما عاشت بعدئذ بين فتيات يكرهنها ، مما دفعها الى نوع من القسوة والشذوذ عانى منهما ابنها فيما بعد آلاما كثيرة دفعت اباها الى الترفق به ونقله الى حقله بعيدا عن امه وهنا تعرب الام « لويس » عن رضاها ، متذكرة ان جو ذلك الحقل غير مكدر الان بوجودها ، وانه مكان خلق لولد لا لبنت مثلها . وهنا يبدو واضحا ان « لويس » كانت تعاني آلام عقدة خلقت في نفسها منذ طفولتها ، نتيجة سوء معاملتها وشعورها بالكبت ، وبحثها ابدا عن حنان او حب ، وهذا ما كان « اندرسن » يبغي عرضه في قصص ، لا كمصور للحياة الواقعية فقط ، بل كمحلل نفسي للاسباب

(7) Calverton, V.F. The Newer Spirit. (New York : Boni & Liveright, 1925). P. 70.
(8) Cestre, Charles. La Littérature Américaine. (Paris : A. Colin, 1945). P. 168.
(9) Gregory, H. The Portable Sherwood Anderson. (New York : The Viking Press, 1949). P. 27.
(10) Howe, Irving. Sherwood Anderson. (New York : William Sloane Associates, Inc., 1951). P. 179.
(11) Anderson, S. Mid-American Chants. (New York : B. W. Huebsch Inc., 1918). P. 13.
(12) Ibid. P. 27.
(13) Blair & Others. The Literture of the United States Vol. 2. (Chicago, Scott, Foresman & Co., 1947) P. 832.
(14) Horton & Edwards. Background of American Literary Tought. (Univ. of New York, 1952). P. 356.
(15) McCole, C. Lucifer At Large. (New York : Longman, Green & Co., 1937). P. 128.
(16) Winesburg, Ohio. (New York : Penguine Books, 1946) P. 76.

التي ادت الى ذلك النوع من الحياة .

وقصة « قوة الاله » (١٧) ، مثل آخر لاتجاه « اندرسن » التحليلي ، وهي تتناول حياة القس «هارتمن» الذي تملكته عادة النظر الى امرأة راقدة في فراشها ، خلال كوة صغيرة في غرفته في المعبد . لقد أثارت في نفسه شهوته المحرومة وبدأ يفكر بزوجته التي احس بكره شديد لها . كان يشعر انها كانت دائما خجلة من العاطفة ، وانها قد خدعته ، ومضى يتمتم « للرجل الحق ان يتوقع عاطفة وجمالا حيين في المرأة ، وليس له من حق ان ينسى انه حيوان ... سأرمي عن صدري زوجتي ، وابحث عن نساء أخر ... سأحاصر هذه المعلمة واطير اليها امام جميع الناس ، وسأعيش لشهواتي ان كنت مخلوقا ذا شهوات جسدية .. » . والغريب ان هذا النوع من الحرمان الجنسي يدفع القس الى ان يفكر تفكيرا غريبا فيربط بين المبدع وبين المرأة التي اعتاد ان يراقبها من غرفته ، وان يقول بعدئذ الى محرر في صحيفة المدنية بان تلك المرأة حاملة رسالة الحق ! ولا شك ان في هذا التطور الحدثي في القصة كثيرا من المبالغة والتكلف والتصنع . ومن يدري ؟ فلعل « اندرسن » أراد ان يصور مدى اهمية العامل الجنسي في حياة الانسان ، فاتخذ له المبالغة او الاسراف وسيلة لتحقيق ذلك التصوير ، وتجد هذه المسحة من « الجنسية » المتطرفة في أغلب قصصه الاخرى ، كما انه من السهل ان تلاحظ الحوادث ترتبط من قريب او بعيد بالحرمان الجنسي .

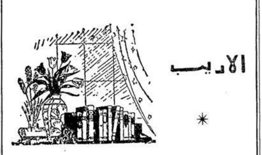
* * *

ولكن ما هو الحل الذي يقدمه « اندرسن » لهذا الشذوذ الناتج عن الكبت الجنسي ؟ يرى الكاتب الاميركي Howe (١٨) ان اندرسن لم يقدم اي اقتراح او حل للتصرف الجنسي ، كأن يكون حرا او مقيدا . ترى هل يصح ان يتوقع من الروائي او كاتب القصص ان يعطي العلاج او الحل بصورة مباشرة ، كأن يقول هذا هو السبب ، وتلك هي النتيجة وهنا العلاج !! اذن ماذا سيبقى للقارىء من عمل ! او لم لا يكتب الروائي او القصاص مقالة علمية يشرح فيها مشاكل المجتمع على اساس علمي ؟ ليس لنا ان نطلب اليه اكثر من ان يصور باخلاص الظروف والعوامل التي تؤثر في سلوك الناس دون ان يشوه الحياة الواقعية ، ويتطلب ذلك منه ان يفهم الحياة والعوامل التي تؤثر فيها فهما صحيحا قبل ان يبدأ بتصوير امور تتعلق بالانسان والمجتمع والحياة ، والقارىء يستطيع او يجب ان يفهم طريق الخلاص او الحل خلال العرض القصصي .

ولقد كان الكاتب الفرنسي « أرنافون » أكثر فهما للعلاج الذي عناه « اندرسن » في مجموعته القصصية طريق الخلاص او الحل خلال العرض القصصي .
ادق ، ضرورة الاعتراف بالرغبات الطبيعية الحيوية للانسان ضد عقم العرف او التقاليد ، كما اشار الكاتب السويسري « ستر ومان » الى ذلك (٢٠) .

---

(١٧) المصدر نفسه ص. (١٠٢).
(18) Hows. Sherwood Anderson. P. 97.
(19) Arnavon, C. Histoire Littéraire des Etats-Unis. (Paris: 1953). P. 321.
(20) Straumann. H. American Literature in the Twentieth Century. (London : 1951). P. 86.



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ديناران او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥ دنانير او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : ألبير أديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت — لبنان

الا ان « اندرسن » قد بالغ كثيرا في ارجاع اكثر المشاكل الى العامل الجنسي ، ناسيا عوامل اخرى ، كالعامل الاقتصادي او الثقافي ، تلعب الدور الرئيسي في خلق هذه المشاكل للاشخاص الذين تعرض لهم في قصصه .

ومجرد اعراض الكتاب عن الشذوذ الجنسي لمدة قرن او اكثر لا ينبغي ان يبرر ، كما يبرر بعضهم ، الاسراف في التحدث عنه . لقد فقد « اندرسن » كثيرا من التوازن في تناوله اشخاصه كنفوس قلقة ، شاذة ، بسبب الجنس ، والواقع ان التركيز على هذا الامر دفع كثيرا من النقاد الى اعتباره مراهقا رغم نمو رجولته (٢١) مما دعا « اندرسن » الى ان يكتب في احدى رسائله الى الناقد « بروكس » معترفا او مدعيا بسخرية ، بانه غير ناضج وانه سيعيش ويموت غير ناضج .

ومع كل هذه المراهقة الصريحة في « واينزبيرغ » ، يحاول بعض الكتاب ان يعطيها قيمة اكثر مما تستحق وقد لاحظ « هيكس » ان « واينزبيرغ » رغم الانطباع الذي تركته عن « اندرسن » كروائي مهتم بمؤثرات حياة مدينة صغيرة ، تشير الى انه كان يعتبر الموجة الصناعية العدو الحقيقي (٢٢) ولكن قصص « واينزبيرغ » في الواقع ، فشلت في اظهار ما يذهب اليه « هيكس » من مذهب ، وان كان هذا لا يعني انكار ما كان يحس به « اندرسن » نحو الحياة الصناعية الجديدة آنذاك ، كما لا ينبغي ان يعني انه لم يكن يؤمن بان آماله ، كما قال هيكس ، مرتبطة بآمال الطبقة العاملة ، بل كل ما يصح ان يقال في هذا المقام ان « واينزبيرغ » لم تكن بطبيعتها تقصد هذه الامور التي يشير اليها « هيكس » وغيره ، ولقد قال البروفسور « جونز » في مقدمة لرسائل « اندرسن » ان تطرفه لم يكن اقتصاديا او سياسيا ، وانه اكثر من مرة هاجم الشيوعيين (٢٣) ويبدو هذا واضحا في عدد من رسائله التي كتبها بعد ظهور « واينزبيرغ » حيث يقول في بعضها « ليساعدنا الله حينما ينبغي ان نخضع عملنا للهيئات عمالية » او حين يقول « ان عمل القصاص يتعلق بالحياة في عصره ، الحياة كما يحسها ويشمها ويذوقها وليس له بالتأكيد صنع الثورة » . ولكن هل حاول ان يطبق هذا المفهوم في « واينزبيرغ » او انه آثر ان يحس الحياة متعلقة بالعامل الجنسي والكبت اكثر من المشاكل التي خلقتها الحياة الصناعية !

وهذا لا يعني ابدا ان « اندرسن » حاول اتباع مدرسة الفن للفن ، او انه أهمل المشاكل الاجتماعية ، بل على العكس انه ثار ضد قوتين كانتا تحكمان الولايات المتحدة آنذاك ، وهما قوة اصحاب الاموال والحركة البيوريتانية الرجعية المتعصبة ، وقد كتب مرة عن عصر الآلة قائلا « لقد نبذت الالة ، واحتقرتها ، انها تحطم حياتي وحياة الناس الاخرين في عصري ..» (٢٤) ، ولكن هذا الكره للآلة والتمرد عليها لم يكونا متبلورين في ذهنه بوضوح ، كما لم يظهرا بوضوح في « واينزبيرغ » ومع ذلك يمكن اعتبار عمله واقعيا ممثلا بعض نواحي البيئة التي عاش فيها ، ومعالجا بعض مشاكل العامة من ابناء شعبه ، وواقعيته على هذا الاساس لم تكن تعني بالصراع الطبقي ، بل بتصوير الحياة العامة وصراخها ، كما يقول « كزن » .

اما اسلوبه في « واينزبيرغ » فلا يشوبه شيء من التعقيد والصعوبة ، وقد قيل ان تاثيرها وقوتها ناتجان عن سهولة الاسلوب والتعبير البعيدين عن التصنع . ولقد كان « اندرسن » يلجأ الى الاسلوب التكراري في مواضع كثيرة لفرض التأثير متبعا « شتاين » Stein الكاتبة الامريكية التي تركت اثرا كبيرا في كتابات « اندرسن » و « همنجواي » و « فوكنر » ، وان كان تاثير « شتاين » أمرا لا شك فيه ، فان موضوع تأثير « تركينيف » في كتابات « اندرسن » وخاصة « واينزبيرغ » امر ليس من السهل الجزم به ، ولقد قيل ان «اندرسن» حاول اتباع نهج «تركينيف» في مجموعته المسماة بـ Sportman's Sketches عندما حاول كتابة « واينزبيرغ » . وليس من الصعب ، في الحقيقة ، ايجاد شبه كبير بين بعض اشخاص القصص في كلتا المجموعتين كالشبه الموجود مثلا بين « يرمولاي » وزوجته في مجموعة « تركينيف » (٢٥) ، و « نــد » و « اليس » في مجموعة « واينزبيرغ » ، او بين « بيروك » و « ليمز » في المجموعتين المذكورتين على التوالي . ولكن اندرسن انكر الاطلاع على مجموعة « تركينيف » قبل كتابة « واينزبيرغ » رغم انه اعلن بعدئذ عن اعجابه بالقصاص الروسي ، واعتبر مجموعته المذكورة اعذب كل شيء كتب في الادب ، كما أبدى اهتماما خاصا بـ«يرمولاي» و « بيروك » من اشخاص « تركينيف » الذين يشبهون بعض اشخاص مجموعته (٢٦) ، ولعل سر هذا الاعجاب والاهتمام ينحصر في هذا الشبه الموجود بين المجموعتين وسواء كان اطلاعه على قصص « تركينيف » قد جاء قبل كتابة « واينزبيرغ » أم بعدها فذلك امر — ان بت فيه — لا يغير من التقارب الموجود بين المجموعتين من ناحية التركيب وسلوك بعض الاشخاص ، ولكن هنالك فرق كبير جدا بينهما يتمثل في الجو الطبيعي الذي يحيطك به « تركينيف » دون مبالغة في الامور الجنسية الشاذة التي طغت في مجموعة « اندرسن » طغيانا يبعدها عن الحياة الواقعية التي نحياها ، ولعله من الصعب جدا ان نجد كتابا آخر كهذه المجموعة يحوي شخصيات شاذة ، مكبوتة ، بائسة .

ومع ذلك كله فان أثر « اندرسن » في الادب الاميركي وخاصة ما يتعلق بهمنجواي وفوكنر لا يمكن نسيانه ، بل ان احد الكتاب يسميه الجد لقسم كبير من الجيل الادبي المعاصر . ولكن هذا كله لا يعطي مجموعته « واينزبيرغ ، اوهايو » الصفات الضرورية لتجد مكانها بين اعمال « هوغو » و « تولستوي » وتركينيف او «شو» او « جيد » من اعلام الادب العالمي ، بسبب ما ينقصها من التعمق في مشاكل الحياة ، والمعاملة الناضجة لاشخاصه .

صالح جواد الطعمة

جامعة كمبردج ـ امريكا

(21) Brooks, V. W. The Writer In America. (New York : 1953). P. 64.

(22) Hicks, G. The Great Tradition. (New York : 1933). P. 232.

(23) Jones, H. M. Letters of Sherwood Anderson. (Boston: 1953). P. XIV.

(24) Calverton, V.F. The Liberation of American Literature. (New York : 1932). P. 429.

(25 Turgenev, Ivan. A. Sportsman's Sketches (London : 1924). PP. 26-27.

(26) Rosenfeld, The Sherwood Anderson Reader. XVIII.

الشرفـة

٥

يا ربة الذكريات ، يا سيدة الخليلات •
الا انك كل لذاتي ، كل واجباتي
سوف تتذكرين لطف المداعبة
وجمال الدار وروعة الغروب وسحـر الليالي
يا ربة الذكريات ، يا سيدة الخليلات •

تلك الامسيات المضاءة بشعلة الفحم
وتلك الامسيات ، من الشرفة ، مقنعة بابخرة الشفق الوردي
ما كان عندي اعـذب من نهـدك ولا اطيب من قلبك •
وكم تجاذ بنا اطراف حديث ذكريات لا تبلى
تلك الامسيات المضاءة بشعلة الفحم

وما اجمل الشموس َ عند دافيء الغروب
وما اوسع الفضاءَ وما اعظم جبـروت القلب
ولما كنت اميل عليكِ يا ملكةالمعبودات
كان يخيل لي اني استنشق عطر دمك
فما اجمل الشموس َ عنـد دافـيء الغروب •

كان الليل يزداد كثافة فيمسي ستارا
وكانت عينـايَ في الظـلام تحزران
انسان عينيك
وكنت ارتشف انفاسك فيا طيبها ويـا سُمـّها !
وكانت قدماك ترقدان بين شقيقتيهمـا يـديّ
وكان الليل يزداد كثافة فيمسي ستارا •

اني لاجيد فن اعادة ذكـرى اللحظات السعيده •
وارى ماضيّ رابضاً بين ركبتيك
فعلامَ ابحث عن مناحي جمالك الفتان
في غير جسمك الحبيب وقلبك الطيب
اني لاجيد فن اعادة ذكـرى اللحظات السعيده •

هذه العهود ، وهذه العطور ، وهذه القبل اللانهائية
هل تعود يوما من اعماق ممتنعة عـن مداركنا
كما ترتفع الشموس المجددة لشبابهـا الى السماء
بعد ان غاضت في اعماق البحار ؟
آه يـا عهود ! ويا عطور ! ويا قبـل لانهـائيـة !

بغداد باهر فائق وعبد الجبار النجار

فتنة الليل

✳

لرضوان ابراهيم

●

القاهرة

لنسدل ستور الشفق من حولنا يا حبيبتي
فان الهواء مجروح يتأوه
وان عصافير الخميلة غيرى ، تتهافت على مجلسنا .
وان عطرك المحتدم ليرعش النسمات
ويترك في اوصالها حمى تنتفض .

* * *

هو هذا القمر يسترق على صفحة السماء خطوات خفيفة ..
كأنما هو حريص الا يفزع الجموع المتراكمة في طريقه من النجوم الوسنانة .
انه يتسلل من بينها ، كيلا تتشبث به وتصر على ان تصحبه ..
انه قادم الينا .. خفيفا على استحياء
يطرق زجاج النافذة ، وينتظر في خفر الحياء خلف الستار
يستأذن على مجلسنا ليقاسمنا سعادتنا .
دعيه يدخل يا فتنة الليل
انه طفل الحب ، وكأس السمر
لا تخجلي ان يكون ثالثنا فانه لن ينم علينا

* * *

لنستحم في اضوائه
ولنتسلق اشعته خفافا
نضج ببهجة الطفولة
ونلعب بكرة السعادة على عشب السماء
لتعيش ليلتنا الى الابد ! !

* * *

هذي الكؤوس ترتاح على صدر الخوان ، وتتراخى ..
وتلك الزهور البضة تتهدل في فتور متثائب على حافة الآنية.. وتنعس.
وعيناك تسبحان متثاقلتين

اتسعت احداقهما ، واحلولك فيهما السواد
وعلى جبهتك السمراء العريضة استلقت الخصل الكثيفة اللامعة .. ونامت
وتوقفت اشعة البدر على خدك اللامع تصلي
وعلى الوردة الجريحة من مبسمك الدافىء
أغفت فراشة مجنحة ، وراحت في سكرة الاحلام .
وما زال شهيق صدرك المفعم بالنشوة ..
يشد الغلائل الوردية ويرخيها في عراك هادىء رتيب .

* * *

ايتها الفتنة النائمة
تحت جناح الحب .. تحلم
استيقظي ! !

ان جراح الزمن تلتئم هنا وتغفو ..
ويحتشد المكان والزمان والنشوة والامل
ويضج الهوى ويحتدم
ويصرخ في الاعماق نشيد ظمآن
وفي الشرايين من فتنة الهوى لهيب.

* * *

ها هوذا الفجر المتقحم يتلصص حولنا
لقد ظفر بنا فصاح صيحته الحمراء المستعلنة
يؤلب علينا العصافير المتربصة بنا على حدود المساء
تصخب وتتظاهر حول نافذتنا .
وتتكوم على الفنن القريب
تطل من الخصاص ، وتنقر ، وتتحفز في اصرار

* * *

تعالي نهرب من مناقير الطيور
لنتحول سريعا الى ندى يرتاح على ثغور الزهر
لنبدأ رحلة جديدة على اشعة الشمس
وفي الزورق الذهبي نذهب الى بعيد .. حيث لا احد ولا شيء

* * *

تعالي نتبخر مع الضباب ..
حتى يفتح لنا الشفق باب الليلة القادمة
اصنعي ما شئت يا عصافير الصباح
خوضي معركة الغيرة في مخدع الهوى
فلسنا هناك
ولكننا سنعود..
سنعود لافراحنا
على جناح الليلة القادمة ! !

قصة قصيرة

سارق الاعوام

بقلم السيدة نورا نويهض حلواني

أغلقتهما حقيبة بعد اخرى ثم ارتكزت على الحائط تبتلع الجفاف .

كل شيء كما هو . كما نظمته ووضعته . ستتركه حيث هو لن تأخذ منه معها سوى القليل العزيز .

علبة حليها الفضية ستقف على المنضدة هدية مرتجعة بعد موكب من السنين ...

صورته البيضاوية ذات الاطار المذهب ستبقى على الحائط ذكرى متجمدة تنازل عنها الزمن ...

مرآتها ، سريرها، خزانتها ، ستائر النافذة ستظل جميعها كما كانت . كما هي . كما ستكون ...

ماذا اذن ؟ لم التردد لم الوقوف ؟ ماذا غير الخروج والمسير بعيدا الى كل ما هو عن هذا بعيد .

أغلقت الباب بخشوع كمن يغلق بابا على شهيد وهبطت السلم ببطء. درجة درجة ، خطوة خطوة ...

ــ رحاب . اعطني دقائق من وقتك . اريد التحدث اليك .

فاجفلت ووقفت عند آخر درجة تنتظر ...

ــ اقتربي من النار . ستبردين ان بقيت مكانك ..

فلم تجبه وجلست بعيدا عنه . بعيدا عن النار .

ــ البيت لك . تبقين أنت واذهب أنا .

ــ لا يهمني البيت . حريتي ما اريد .

ــ انها لك والبيت لك .

ــ ثمن اتعابي ؟

ــ لا . ثمن صبر اعوام على اعوام.

ــ لقد مات صبري والاموات لا يدفع من اجلها اثمان .

ــ صبرك لم يمت . انه جزء من خلقك وخلقك حي لا يموت .

ــ دائما تتحدث كطبيب مطلقا كانسان ..

ــ كنت انسانا قبل ان اكون طبيبا.

ــ عفوا . هذا ما اردت معرفته منذ عرفتك . جميل منك ان تهبني البيت .

ــ ليس هناك من اعطي واهب . كل ما هو لي هو لك .

ــ لم اعرف هذا الا اليوم .

ــ لم نفكر قبلا بالانفصال لنقتسم ما نملك ..

ــ ليس هناك ما اعطي واهب . بالبيت . بنيته انت . بنته يداك . ومالك كله فيه .

ــ شاركتني انت بذلك . على كل حال انه بغيرك فارغ كالفضاء ولا احب ان اسكن فراغا .

فرفعت اليه رأسها بحدة ثم خفضته .

ــ جميل منك ان تقول هذا . لم يمر ببالي اطلاقا جواز شعورك هذا الشعور ..

ــ لست ممن يتكلمون كثيرا .

ــ اعرف هذا . اصبحت مثلك تقريبا افضل الصمت على الكلام .

ــ ماذا ستفعلين ؟

ــ ساعود الى ما عملت سابقا .

ــ كلا . سارسل لك ما تريدين من المال .

ــ العمل سيريحني .

فاحنى رأسه ثم اشاح به بعيدا .

ــ مجرم انا . مصلح اجساد . مهلك نفوس .

ــ كلا . أنت انسان صارم وطبيب حاذق تؤمن باهمية الجسد ..

ــ لم تذكري هذا مطلقا من قبل . لماذا ؟

ــ لاني لا احب استجداء عطف احد والعطف جزء من الحس لا يلصقه انسان على قلب انسان .

ــ تعرفين عن العواطف كثيرا . تفهمين حقائقها .

ــ عجبا كيف نعرف الحقائق من آثارها فينا . دائما بعد فوات الوقت.

ــ رحاب . احببتك واحبك . احببت ابني واحبه . وقفت في طريق زواجه خوفا مما سيعلك وسيقال. وحسنا فعلت بقطع الطريق علي . انها كاملة ومهذبة . تحبه كما لو كانت منا .

ــ نعم . انها عاقلة كاملة وستحبه حتى آخر لحظة من حياته . احبها كما لو كانت قطعة مني . لا يهمني ان كانت فرنسا قد انشأتها .

ــ لا يشبهني بشيء هو . يشبهك انت .

ــ انه يختلف عنك ولا سبيل الى جعلك مثله او جعله مثلك .

ــ لا اريده ان يكون مثلي .

فرفعت الى فمها يدها تحبس شهقتها .

ــ وفيق . لا تقل هذا . انت ابوه وانت انشأته على ما هو عليه ..

ــ فعلت ذلك انت . بنيت انا بيتا وبنيت انت انسانا ..

ــ فخرنا بك كبير يا وفيق فانت خير طبيب ..

ــ او تعتقدين هذا ؟

ــ انا وكل مرضاك . انهم يحترمون معرفتك ويجدون بين يديك الدواء لكل داء ...

ــ اذن مرحى لما تحمل يداي اليوم! احترامهم يمينا وخسارتك يسارا .

فأحست بدموعها تتجمع ثم تسقط على وجنتيها كالمطر ...

ــ لا تبكي . دموعك تؤلمني .

ــ لست بفاهمة دموعي . لم ابك منذ زمن بعيد . منذ عرفت ان روحي ستظل غريبة عن روحك لا مكان لها معها ...

ــ متى عرفت ذلك ؟

ــ او لا تعرف ؟

ــ اعرف . ليلة جاءتني تلك البائسة بابنها تضعه بين يدي وكاني من خلال عذابها مبعوث من السماء أرد الارواح وأمد الاعمار .. انكببت فوقه فاحصا باحثا ثم خاطبتها بقسوة لا يعرفها قلب انسان « هذا الطفل موبوء وسيموت . خذيه لا امل هناك»

فارتدت الى الوراء وكأني هويت على وجهها بكفي وراحت تحملق في ذهول ثم بمقت وهلع وصرخت غير شاعرة بما تقول : اعطني اياه . لا تمسه . من تظن نفسك أيها الجبار تقف منتصبا تقرر الموت والحياة؟ فركضت انت اليها تحمينها بذراعيك تسرقين من قلبها الهلع ...

— صعدت بعد انصرافها الى غرفتي . لم ارد ان اراك ولم أطق التحدث اليك . كان السخط عليك يملأني ثم يعصرني ويصرعني ... بارعا كنت في اكتشاف وبائه ! حاذقا في تقدير خطورته ! عظيما في تقديم تقريرك لتلك المفجوعة المذعورة .. عندئذ رأيته . رأيته اسود جبارا . فراغا ممتدا . لا مكان لمرور الارواح فيه .

— ظننت انك صفحت بعد ذلك ..

— صفحت ولكنك عدت فطعنت ..

— ليلة ولد ساهر ؟

— نعم . ليلة ولد ساهر . قلت ان هناك مؤتمرا طبيا لا تود التخلف عن حضوره فقلت اذهب ان كنت تود التخلف عن استقبال طفلك فقلت انه لن يحضر بغيابك ويجب ان لا اقلق لذلك فقلت حسنا لن اقلق اذن وتمنيت لك سلامة العودة ...

— وكان ان رأى ابني النور في غيابي وابتلعت انت ألما كحبة الجوز ثم خبأ وجهك بين يديك وبكيت ...

— لم ابك . اودعت الدموع صدري . قبلت الطفل عني وعنك وضممته الي معطية اياه حنانا عن الاثنين ...

— اصررت على تسميته ساهرا ونزلت عند اصراري فرضيت بالاسم .

— نزلت عند اصرارك ورضيت بالاسم ...

فألقى بالنار خشبا وعاد الى مقعده ..

— كنت غبيا حين خيل الي انك صفحت .. للمرة الثانية ..

— لم تكن غبيا . كنت نهما طامعا كسارق ماهر تدفع ثمن جريمة لتقدم على اخرى غير حاسب لنفاذ صبر القاضي حسابا .. او كأن الصبر سائل مصنوع يستحضر كأدويتك لا تكف المختبرات عن استحضاره ..

— يوم عرس اختك اجرمت للمرة الثالثة أليس كذلك ؟

— اهنئك . ذاكرتك ممتازة ! نعم يوم عرس اختي ...

كان رشحي قويا وألم رأسي هائلا . اعتذرت عن مرافقتك فقلت ان بقيت بقيت . فغضبت وقلت ان اختك لن تغفر لك عدم حضورك عرسها مدى حياتها فنظرت الى ثوبك اللامع الملقى على السرير وقلت بصوت بارد كالموت: « ان اختي لن تغفر لك انت هذا ما عاشت فهي تعرفني وتعرفك . » فخرجت صافقا ورائي الباب واعتكفت في غرفتي لا اجرؤ على العودة او الاعتذار ...

— واعدت انا الثوب الى مكانه في الخزانة وجلست على حافة السرير افكر بفراغ جديد طغى بهوله على كل فراغ ..

— كرهتني بعد ذلك . كنت أرى احاسيسك تسكن عيونك بدلا من قلبك . قلبك الفارغ مني النافض عنه كل أثر لحب المرأة للرجل وحب الجنس للجنس . حشوته بامومتك وملكته الطفل ..

— لم اعرف عرفانك ذلك سوى الان . ظننت ان امتلاء قلبي وفراغه لم يعن بنظرك شيئا .. حتى الطفل كان جزءا من املاكك مكملا لضرورياتك ...

— كان يمرض فتتكفلين بقلبه واتكفل بجسده . « كيف انت يا ساهر » « احس يا بابا ، هبطت الحمى قليلا » « حسنا ، سنكتفي اذن بالدواء » ثم تأتين انت فيشرق وجهه ويمد ذراعيه .. الا ابدو كأرنب بهذا الرباط يا ماما ؟ فتضحكين ويضحك . واحس بان ضحككما ضحك غريب لا خبرة فيه ولا دخل .

— واذ امرض انا تجس نبضي ورأسي وتجلس تسأل كطبيب غريب، تمطي المعرفة لتأخذ المال ! كم تمنيت همسة او ضمة او وشوشة .. مع الفجر .. عند الظهر ... في المساء .

— ليتني فعلت وما وجدت اليوم نفسي اقف عاري الافكار امامك

— دائما نفسك . دائما عزتها . حتى الان ..

— دائما نفسي . دائما عزتها . كدت احرق في سبيلها قلب شاب هو ولدي .. رباه لم أر في حياتي اشراقا كما رأيت في وجهه يوم تزوجا .. انه سعيد وانت السبب .

فأرخت جفونها . أرختها باعياء ..

— ابنك يحبك كما احببته انت . كما يملي واجب الاب بالرعاية والابن بالاحترام .

— ويحبك كما احببته انت . بكل كيانه وبكل نفس من انفاسه ..

— انك تطعن نفسك وهذا لا يبدل من وضعنا شيئا ..

— معك حق . ستكونين وحدك وسأكون وحدي .. ستريحك الحرية وسيخنقني الانفراد ...

لم تنظر اليه يقول ما قال . خفضت رأسها وصمتت صمتا طويلا . اشعل سيجارة وصمت مثلها . لم يدر ماذا يقول وانتظر ماذا ستقول ..

صفر الجرس فاجفلا فقامت بحكم العادة تفتح الباب ولحق بها كالعادة يرى من في الباب وهتف قارع الباب يطلب الطبيب فاستدار يطلب حقيبته وانتظرت هي عند الباب تحدق في اربداد الافق .

— وفيق انتظر . سأذهب معك .

— في هذا البرد ؟؟

— في هذا البرد .

فاومأ برأسه وتبعته ..

من السيارة الى حيث المريض من حيث المريض الى المستشفى . تبعته ولم تتركه . بقيت عند رأس الحامل تجفف عن وجهها العرق وتسرق من قلبها الهلع .. ترقبه منخفض الرأس ملتمع الجبين ... ترقبه لاول مرة في مهنته يشق ويعمل ، ينظف ويخيط . يخرج الى الوجود طفلا ويعيد الى الوجود أما .. يحبس انفاسه وينسى ما حوله الا ما بين يديه ... واخيرا تنفس الطفل وصرخ . وهمدت الام فجأة . راحلة صامتة ... فرأته يعض شفته منهزما مغلوبا .. ثم يتراجع مسبلا على الجثة الغطاء ..

— انتهينا تعالي ..

ومشيا الى غرفته ووقف عند مكتبه وظهره اليها ..

— حاولت وفشلت ..

— لم تكن لك في الامر حيلة . ألم تر علائم الموت علا وجهها قبلا ؟

فارتجفت كتفاه كطفل اعياه العقاب ..

— وفيق ..

وفجأة حوته ذراعاها ..

— هيا الى البيت . انك جائع وتعب .

— الم تري كم كانت تريد ان تعيش لتصبح اما ؟ لقد خذلتها بقسوة لا يعرفها قلب انسان ..

— كفى . حاول ان تنسى .

— عفوا . لم انفجر هكذا من قبل.

الخطوات الفارغة

في دروب الصمت والاعماق والضوء الحزين
خطوات ما لها وقع ، كاشلاء السنين
لا صدى ، لا شيء : خطو بارد ميت اليقين
خطوات ، آه من تلك الخطى الحرى الانين
بين جدران الدجى تلهث كالكهف الدفين
حول حانات ودمع جامد ، آه سجين
حول اطلال من الحمى ، من الموت المهين
وعيون لا مدى فيها ، ولا بعض الحنين
قبل "، كأس" ، جنون ، وفراغ بعد حين

* * *

في دروب الصمت والاعماق ، في كهف الدموع
لا كؤوس تغسل الحمى واخشاب الضلوع
لا صدور لينات الحلم تروي ذل جوع
عطش ، ليل ، شفاه ، بعض احلام الصقيع
ورؤى مغلوقة الآفاق ، اشلاء صريع
ورؤى ؟ أين الرؤى ؟ ماتت على وهج الشموع

* * *

في دروب الصمت والاعماق ، في كهف الدموع
كيف أنسى عدما ميتا رسا بين الضلوع ؟

فؤاد رفقه
الجامعة الامريكية بيروت

انها اول مرة .
ـ اول مرة افضل مرة . دائما . حتى في الانفجار ..
ـ انك تعبة اكثر مني . هيا الى مطعم وليس الى البيت .
ـ هنا اكلنا سويا لاول مرة .
ـ اول مرة افضل مرة . دائما . حتى في مشاركة الطعام . ماذا تأكلين ؟ فرفعت اصبعها الى فمها .
ـ ملوخية . صحن كبير .
ـ ملوخية لي ايضا ..
أقلقهما صمت حائر فراحت تدور باصبعها على غطاء المائدة تحاول ان تبدأ ولا تعرف كيف تبدأ ..
ـ لست اليوم امامك يا وفيق بل امام رجل جديد تعرفني اليه الصدف . انسان ضائع اعياني البحث عنه حتى الاختناق . لقد قلت صباحا . « سيكون البيت بغيرك فارغا كالفضاء ولا احب ان اسكن فراغا » . هكذا عريت قلبك فرأيته سافرا كما هو .. لاول مرة ..
ـ اسمعي . ان ...
ـ استمع انت ودعني أستر شيئا من عراء روحي ... الاعوام التي تحدثنا عنها اليوم ، عن فراغها عن ضياعها عن رمادها .. تعال نفترض احتراقها ، ذوبانها اختفاءها .. لنقل انها سرقت . سرقها الزمن . الظروف . الحظ . نفسك المستورة . نفسي العارية .. اي سارق من هؤلاء .. لنقل ان الامس هو اليوم واليوم هو الغد . انت كما انت اليوم وانا كما انا اليوم ... انت كرجل وليس كطبيب وانا كامرأة وليس كأم ... هذا ما اردت قوله فقل ما اردت ان تقول .
ـ لم يبق هناك ما يقال . قلت ما كنت سأقول . وهكذا انت دائما تحملين عني وعنك ..
فغام ما امامها وتراقص ...
بكاء في مطعم ؟ لم لا ؟! في ساعة كهذه لم لا ؟؟!!

فنزويلا — نورا نويهض حلواني

سيكلوجية المسرح

بقلم محمد فرحات عمر

ο

ο ο

المخرج

ان المؤلف يقدم (1) النص الروائي في نظم لغوي ليشيع المخرج فيه الحياة . انه يقرا النص الروائي لينفذ من خلاله الى اعماقه النابضة وليتلمس جميع الزوايا المسرحية ، فهو اذن يصب النص في قالب حي يراعى فيه التقليد المسرحي . ثم ياتي الممثل فيشارك بانفعالاته وتعبيراته ، ولكن دور الممثل جزئي خالص فهو محدود في اطار الشخصية التي يؤديها. وهنا تظهر مهمة المخرج في الربط بين جميع اجزاء الرواية ، وتنسيق العلاقات بين الممثلين جميعا مما يجعله احيانا يتدخل في اعمال الممثل الفنية . بل ان مهمة المخرج لا تنتهي الى هذا الحد ، فهو يربط الممثلين بالجمهور على شكل رائع ، يحقق التكامل الفني المنشود . وعلى المخرج ان يكون قارئا ممتازا وزعيما شعبيا عالما بسيكلوجية الجماهير ، واستاذا في علم النفس والميكانيكا والكيمياء وهندسة الاضواء ، ما دام ان عمله يدور حول الاضاءة والديكور والملابس والمكياج والاكسسوار . فسيكلوجية الالوان والاحجام والخطوط امر متفق عليه ومدى اثرها في التخيل والايحاء شيء لا سبيل الى انكاره ، فان اللون في الاخراج يتصل اتصالا وثيقا بحالة العقل والنفس ، انه ليس بريقا ثانويا من اجل لذة حسية عابرة ، ولكنه تعليق دقيق واستشارة نفسية . ثم الموسيقى وامكان استخدامها كاداة للتعبير في المسرح وما تمد به حياته من خصوبة وثراء، من شانها ان تحمل المخرج على ان ياخذ بنصيب وافر من الثقافة الموسيقية حتى يستطيع ان يواجه تجربة التعبير في توفيق واحكام . وفي هذا يقول لويس جوفيه Louis Jouvet في كتابه « مشاهدات على المسرح Témoignages sur le Théâtre» ان الاخراج في خدمة المؤلف ومعاونته باخلاص حاد ، اننا نجعل عمله محببا الى النفوس، وذلك بالسعي من اجل الحصول على النغمة والجو ، والحالات النفسية التي تعتبر ينابيع حارة يجب ان تصل الى المتفرج فتحرك مشاعره والتي ربما لم يفطن اليها المؤلف ولم يستشعرها . (والتي ربما لم ينتبه اليها الممثل نفسه اثناء الاستعداد والتدريب) انه نوع من السلوك حيال العمل الفني ، وحيال الممثلين الذين يؤدونه وحيال المؤلف الذي تصوره واخيرا حيال الجمهور الذي يوجه اليه هذا العمل . لان المخرج يجب عليه ان يسهر على العلاقة بين الصالة وخشبة المسرح ، بين النظارة والمنظر الذي يقدم اليهم ، انه هو الذي يربط الممثلين بالجمهور ، انه هو الذي يسمع وهو الذي يرى . »

ويرى بعضهم ان المؤلف الذي يتجه الى المسرح يستطيع ان يكتسب اهم عناصر مهنة الممثل ، كما يستطيع ان يعرف هذا القليل من قواعد الاخراج التي لا تتصل الا بالذوق السليم فيمكنه ان يختار بنفسه الملابس والديكور ويحدد الاضواء التي تستخدم في مجرى روايته وعلى ذلك نستطيع ان نقرر باطمئنان ان المؤلف يمتلك كل الصفات اللازمة الكافية للعمل الفني على المسرح لان المؤلف الذي لم يتصور كيفية تمثيل روايته عندما كان يكتبها والذي لم يدرك حق الادراك المواضعات الفنية للمسرح ولم يخضع تمام الخضوع لمتطلبات شخصياته ، لا يمكن اعتباره مؤلفا دراميا . واستخلصوا من هذا انه يمكن الاستغناء عن المخرج الذي لا يمكنه حتى ان يحترم النص الروائي او ان يراه ويفهمه كما اراد له المؤلف . ان الاخراج ـ في زعمهم ـ عمل ثانوي في المسرح ، واحسن انواع الاخراج عندهم هو ما لا يعلق منه شيء في ذاكرتنا . لا ديكور ولا ملابس ولا حتى حركات الممثلين . يجب الا يعلق باذهاننا شيء سوى المواقف والافكار والانفعالات والعواطف والصراع والسمات الاخلاقية للشخصيات التي يخلقها المؤلف . ان المخرج عندما يجتذب انتباه العين بمنظر حديقة مثلا على حساب التفكير عموما يخلق نوعا من التنويم المغناطيسي عند المتفرج ويبعده بذلك عن التفكير والتأمل والفهم ويمنعه عن الاتصال بالحقيقة .

والرد على ما تقدم يسير ، نوجزه فيما يلي :

ـ ان للمسرح جوانب متعددة لا يمكن الاحاطة بها الا بالدرس والتفرغ ، وبالتالي يخطيء المؤلف الذي يظن ان مجرد (صفة المؤلف) تمنحه الحق وتهبه القدرة على انتحال (صفة المخرج) .

ـ يخطيء من يدعي ان الديكور وغيره من عناصر المسرح يعوق الذاكرة عن احتجاز افكار المؤلف بل العكس هو الصحيح فالذاكرة لا تحتجز من الافكار المعنوية الا ما كان منها اشد صلة ولصوقا بماديات محسوسة .

ـ ان المخرج قلب الفن المسرحي ، لان العمل الدرامي ينطوي على فكرة (الفريق) منذ اللحظة الاولى لتصوره ان كل حركة من حركات الممثلين لا يمكنها ان تخرج عن النظام الذي يتصوره المخرج . ان المخرج يحقق التوافق

(1) راجع عدد مايو الماضي من الاديب صفحة ٣٠

المتبادل بين الجميع .

ــ ان المخرج خادم للنص الروائي . وقد تتباين التأويلات بتباين المذاهب الكبرى ولكنها مجهودات مشكورة لخدمة النص . مثال ذلك شخصية هملت : يرى الشيوعيون انه خبيث لئيم . ويرى انصار التحليل النفسي انه يكابد عقدة اوديب في صورة مرضية . ويذهب الوجوديون الى انه يعاني شذوذا جنسيا وان بينه وبين هوراشيو علاقة غير شريفة ، ويستدلون على ذلك بمعانقة هملت لهوراشيو بقدر ما تسنح الفرص وبتخليه عن وغوده نحو اوفيليا ، وبسلوكه المضطرب . اذن فلتختلف المذاهب ما تختلف ، ولتتباين ما تتباين ، ولكنها محاولات طيبة تهدف الى خدمة النص .

الجمهــور

يقول جون دولمان : « اذا سلمنا بان مهمة الممثل تهدف الى اثارة صور معينة في اذهان مستمعيه فقد اصبح واضحا ان نجاحه او رسوبه رهين بتقبل الجمهور له ... وان استجابة الجمهور لما يشاهده ويستمع اليه على المسرح تعتمد على تجربته الجماعية التي يمارسها كمجموع . » (٢)

ونحن نستخلص من هذا الكلام حقيقتين هامتين :

ــ ان دعوى الفن للفن ، ان كان لها ما يبررها في أي فن من الفنون ، فانها ليست بذات موضوع بالنسبة للفن المسرحي الذي يقوم اساسا على مواجهة النظارة ، والذي يقاس فيه النجاح والفشل بمبلغ رضى الجمهور ومدى تعاطفه مع الممثل ، والذي يلعب فيه الجمهور دورا من شأنه ان يحقق عملية التكامل الفني . انه من المحتمل ان يعمل وينتج أي فنان لنفسه حتى ولو علم ان انتاجه لن يقدر له ان يقع تحت اعين الناس ، لانه في الحقيقة يعمل بدافع الحاجة الغريزية الى التعبير عن نفسه والتنفيس عن عقله الباطن ، انه يعمل كمن يحلم في نومه او في يقظته على غير ارادة منه ، وما العمل الفني في الواقع الا ضرب من الاحلام ولكن الشأن في المسرح يختلف جد الاختلاف ، اذ لا يمكن ان يتحقق للمسرح وجود بغير جمهور . ان الممثل اذا لم يجد لنفسه صدى يتمثل عنده في تصفيق الجماهير واعجابها وفي مشاركتها له مشاركة تامة في كل ما يجد من عواطف وانفعالات ، اذن لعجز عن التعبير عن شخوصه الفنية تعبيرا مسرحيا صحيحا . ومن هنا نتبين أهمية الجمهور كعنصر من عناصر المسرح فمجرد وجوده يكمل الابداع الفني ويزود الممثل دائما بالحرارة والاخلاص والحماس ، والتطور والجدة . ثم ان الجمهور لا يكمل الممثل فحسب بل هو يكمل المؤلف ايضا ، فالمؤلف لا يضع روايته وحده ، ولكن يشاركه فيها الجمهور ، فهو الذي يفهمها ويفرض صياغتها حسب مزاجه وتبعا لقوة مخيلته ودرجة حساسيته .

ــ يخلق التمثيل في الصالة الروح الجماعية *L'âme collective* فيضطر كل فرد ان يتخلى عن فرديته لينذمج مع مجموعة النظارة في أحاسيس وعواطف يقتضيها الموقف المسرحي . فالدرامة كما تهب الممثل شخصية جديدة غير شخصيته التي يعيش بها مع الناس ، تهب الجمهور كذلك شخصية أخرى : فكل متفرج عندما يشاهد المسرحية الجديدة انما ينسلخ في الحقيقة من ذاته ليكون مع غيره من المتفرجين « ذاتية » واحدة . فما يكاد يرفع الستار حتى ينسى كل متفرج شواغله وهمومه الخاصة التي كانت تملأ نفسه منذ لحظة وجيزة ، ليعيش في حياة جديدة لشخصيات وهمية يشاركها شواغلها وهمومها . ان المسرح عندما ينسينا الواقع ينسينا انفسنا معه ، لانه يحطم الافكار الفردية ليحل محلها افكارا جماعية . فالانفعالات والمشاعر المختلفة من خوف وقلق والم وأمل واعجاب واشمئزاز تسري في جميع المتفرجين كما لو كانوا كلهم فردا واحدا ذا وجوه عديدة . اذن فكما يصل المسرح المتفرج بالشخصيات التي تتحرك على المسرح ، يصله ايضا بل يدمجه مع غيره من المتفرجين ويتوقف نجاحه على مدى قدرته على بث هذه الروح واحيائها ، وما دام الامر كذلك فلا بد من القول بان الممثل نفسه لا بد من ان يكون في خدمة هذه الغاية ، وانه لا يتحرك ولا يتكل ولا يعمل بلا هدف ، انه ليس وحده ، انه هو الاخر جزء من مجموعة ، وعليه ان يواجه هذا المجموع ويظل دائم الصلة به ، ولذلك تحكم الممثل مواضعات وتقاليد مسرحية يتحتم عليه مراعاتها ، كأن لا يعطي ظهره للجمهور البتة ، وهذا من ابسط قواعد الحركة المسرحية ، وكان ينحني لتحية الجمهور عند اسدال الستار الخ (ان المتفرج لا بد ان يصعد الى المسرح وان يهبط الممثل الى الصالة ويصير «الكل في واحد») (٣) .

(2) John Dolman : The art of acting, New-York 1949, P.22.

قارن للدكتور عبد العزيز عزت : الفن وعلم الاجتماع الجمالي ، القاهرة سنة ١٩٤٨ ، ص ٢٢ .

قارن ايضا للاستاذ حمدي غيث ــ التكامل المسرحي ــ مجلة علم النفس ، يونيو سنة ١٩٥٠ .

(٣) حمدي غيث ــ التكامل المسرحي ــ مجلة علم النفس يونيو سنة ١٩٥٠

هل الفن للفن ام الفن للحياة : — ذهب ارسطو الى ان الانسان مدني بالطبع ، واكد هذا من بعده المؤرخ العربي ابن خلدون . وفي ذلك يقول الفيلسوف الفرنسي تارد : « ان الانسان كائن حيوي بداخله كائن اجتماعي » ويتفق معه كل من اوجيست كونت واميل دور كايم على ان العقل الانساني في كل مكان وزمان واقع تحت مؤثرات ودوافع اجتماعية . ولقد ذهب كل من جوبلو وليفي بريل من اقطاب المدرسة الاجتماعية الفرنسية الى ان مبادىء المنطق التي كان يظنها الناس مبادىء مطلقة ، هي في الواقع ونفس الامر مبادىء نسبية وقوالب اجتماعية ، تختلف باختلاف المجتمعات وتتباين بتباين المكان والزمان .

ان الانسان لا يمكنه ان يعيش بمعزل عن الاخرين، والا فسيضطر الى ان يخلق لنفسه مجتمعا يتكيف معه ، وذلك اما بواسطة الحيوانات والاشياء التي تحيط به ، كما يفعل الاطفال والبدائيون ، واما بمجرد التخيل كما يفعل حالم اليقظة . فان لم يفعل فسيفقد مقوماته الانسانية ليصير الها او حيوانا كما يقول ارسطو . ان الانسان اجتماعي الى حد ان الوحدة تجعله عرضة لمخاطر اعدائه ومخاطر الطبيعة ومخاطر نفسه على وجه الخصوص .

وانه لمن المحقق ان تعبير الانسان عن نفسه ينطوي بالضرورة على الشعور بوجود الجماعة او على الاقل بوجود فرد آخر بينه وبين من يعبر عن نفسه صلات ومشابهات . وذلك لان كل تعبير انما يبحث عن اثارة رد فعل reaction عند الاخرين . فالجريح اذا كان وحده يئن من الالم الجسماني ، اما اذا كان محوطا بالناس او اذا كان يتصور امكان السعي اليه بالنجدة والعون من الاخرين فانه يصرخ . وقد يحدث احيانا ان تتبدى عواطفنا وانفعالاتنا بغض النظر عن وجود من يشاركنا اياها ، ولكن هذا لان خيالنا يعج بالنظارة الوهميين ، فضلا عن ان شعورنا يمكننا من ان نباشر ضربا من الثنائية الباطنية . ويقول برجسون : (٤) « اننا لا نستطيع ان نتذوق الضحك اذا كنا وحدنا ، ويخيل الي ان الضحك في حاجة الى صدى ، أنصت اليه جيدا ، انه ليس نغمة واضحة متميزة منفردة بل شيء يريد ان يمتد في انعكاسات متوالية ، شيء يبدأ بفرقعة ويستمر في تهزم كتهزم الرعد في رؤوس الجبال ، ان ضحكنا هو على الدوام ضحك جماعة ما . »

لماذا نذهب الى المسرح : — يرى هركنراث M. Herckenrath الالماني وفاجويت M. E. Faguet الفرنسي ان مصدر التأثير الدرامي ينحصر في قسوة الانسان نحو اخيه الانسان وربما كان ذلك اثرا قديما من الوحشية البدائية التي كانت تجد متعة في مصارعة الرجال ، والتي لا تزال حتى اليوم ايضا تجد لذة في مصارعة الثيران ، وفي معارك الديكة وفي صيد الحيوان . ومتعة الكوميديا كما يراها اميل فاجيه « قائمة تماما على الدهاء . والذي يلذ لنا فيها هو سخريتنا من بلاهة اناس هم امثالنا في الانسانية ، وتلك بطبيعة الحال لذة اساسها القسوة والاستيحاش . « واذن فالمسرح يستغل فينا ميلنا الى العثور على المتعة باي وسيلة كانت ، سواء أكانت عن طريق الضحك ام عن طريق الدموع ، وذلك في شقاء الاخرين دون ان يصيبنا نحن شيء من ألم »

وتوجد نظرية اخرى تقول بان موضوع المسرح بالضبط هو كسائر الفنون الاخرى ، عبارة عن استبدال غرائزنا الوضيعة المتوحشة باحساسات كريمة سامية ، وذلك بقتل الغريزة الحيوانية لحساب الغريزة الانسانية . وربما كان من اللازم ان نفهم ايضا بالنسبة للمسرح معنى التطهير كما اراد ذلك ارسطو حينما تحدث عن التراجيديا . فالمسرح يساعدنا على تفهم انفسنا فهما احسن ، انه معهد دراسة حياتنا الخلقية ، التي نبحث عنها في ذلك التحليل الحيوي العميق ، وفي ذلك تتجلى القيمة الرئيسية — والاثر الجميل — للفن المسرحي .

الضحك الساخر في الكوميديا : — الضحك في المسرح عبارة عن طريقة مخففة من طرق الاستنكار ، الذي يمكن ان يظهر في التراجيديا بصورة عنيفة من صور السخط والاحتقار . فهو اذن نوع من اللذة المعقولة الانسانية ، وهو ظاهرة اجتماعية تنهض بمهام وظيفية عميقة الدلالة : فمن اجله طرد شارلي شابلن من امريكا ، وحاربت الاقلام المأجورة فن الريحاني في مصر ، وشن المغرضون هجوما واسع النطاق على برنارد شو ، على الرغم من ان هؤلاء جميعا وطنيون انسانيون مخلصون للمرح والبهجة والسلام اما فيما يخص مادة التراجيديا فقد اظهر ارسطو انها تتضمن عنصرين متميزين : فهي قائمة على الاحساس بالشفقة والاحساس بالخوف . (٥)

الاحساس بالشفقة في التراجيديا : — اننا نذهب الى المسرح لنشفق ونبكي على آلام التعساء او بالاحرى لنشفق ونبكي على انفسنا ، اذ ان كل واحد منا يرى نفسه بين هؤلاء الذين يتألمون ويبكون . وفي الحق ان الشفقة اول درجات الاحسان ، وذلك هو التعبير المسيحي عن الحب (طوبى للحزانى فانهم يتعزون) فنحن في المسرح لا نجعل من شقاء الاخرين سببا للمتعة ، ولكن متعتنا نأخذها من مواساتهم لآلامهم ، لان الشفقة في الواقع صورة من صور المواساة ، هي مواساة خرساء ، وهي كل ما نستطيع ان نقدمه الى افراد الاسرة الانسانية الكبيرة الذين نراهم يتألمون في التراجيديا . ان المسرح يثير في الانسان عاطفة الحنان La tendresse انه من التناقض ان نحب انسانا ونحب ان نراه يتألم ، فنحن في المسرح لا نجد لذة في آلام الاخرين . بل انه في بعض الحالات حينما يشتد التأثير على العامة من النظارة فانهم يعلنون عن سخطهم ضد الخونة وغلاظ الاكباد . ويذكر بعضهم حادثة طريفة خلاصتها انه بينما كانت تمثل مسرحية عطيل على احد المسارح الفرنسية، ثار احد المتفرجين ، وكاد يهم باطلاق النار على ممثل شخصية ياجو Iago ولولا انه تذكر في اللحظة الاخيرة انه بصدد شخصية وهمية لارتكب حماقة دونها أي حماقة.

ويذكر لابيه فينس L'Abbé Vincent في كتابه نظرية الانواع الادبية هذه الحادثة : « فزع في مسرح بيلفيل — Belleville في باريس . في مساء الاحد اراد أحد النظارة في مدرج مسرح — بيلفيل — (أعلى مكان في المسرح وأقله ثمنا) ، حيث كانت تمثل مسرحية Fugitifs ان يعلن عن سخطه واحتقاره ضد « الخائن » ، فلم يجد

---

(٤) برجسون — الضحك — ترجمة الاستاذ سامي الدروبي . قارن ايضا للاستاذ احمد عطية الله : سيكلوجية الضحك .

(٥) انظر كتاب الشعر لارسطوطاليس — تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي . قارن ايضا : نظرية الانواع الادبية — ترجمة الدكتور حسن عون .

لديه احسن من ان يلقى بغطاء راسه فيً مواجهته وان يرفع عقيرته في نفس الوقت بالشتم . وعلق غطاء الراس بسلاسل الثريات واخذ الجالسون من النظارة في جوانب المسرح يلقون بمقاعدهم الصغيرة وبما تقع عليه أياديهم ، وقد تملكهم السرور بهذا الحادث ليخلصوا غطاء الرأس . اما الجالسون في المكان المعد للفرقة الموسيقية فقد تركوا أماكنهم مسرعين خوفا من وقوع الاشياء المقذوفة نحو الثريات على رؤوسهم ، وعلى حين غفلة اشتعلت النار في بعض هذه الاشياء الملقاة فأحدث هرجا في المسرح. وحينئذ استولى على الجالسين في الطوابق العليا فزع شديد ، فقطع التمثيل واسرع الناس مذعورين نحو أبواب الخروج . ومع ذلك فقد تمكن موظفو المسرح ورجال الادارة من العمل على استتباب النظام ، فتم خروج النظارة دون ان يحدث شيء. وقد القي القبض على مجموعة من الاشخاص ومنهم ذلك الذي القى بغطاء راسه ، ثم وضعوه تحت تصرف رئيس قلم البوليس » .

الاحساس بالخوف : ــ تثير التراجيديا في أنفسنا احساسا بالخوف . ولكن في وسع النظارة ان ينعكسوا على انفسهم ليلطفوا من حدة هذه الاحساسات الثائرة ، اذ يجدون فيها فرصة للافكار الجليلة والتأملات الرزينة. وثمة نظرية ثالثة تقول اننا لا نقبل على رؤية مسرحية حزينة لاننا نرغب في البكاء ، كما اننا لا نذهب لمشاهدة مسرحية هزلية لمجرد اننا نود ان نسخر من غيرنا بل في الواقع نحن نرتاد المسارح للاستمتاع بفن الممثل في تقليد غيره ، فكل الفنون بما في ذلك « التراجيديا » تثير المرح والضحك ، وقد يبدو هذا الراي غريبا في ظاهره ، فاذا رجعنا الى واقع الاشياء نرى ان المتفرج لمشهد تمثيلي تدوي يداه بالتصفيق ويرتفع صوته بالاستحسان اذا ما أجاد الممثل في تمثيله بغض النظر عن موضوع المشهد التمثيلي ذاته ، فقد تدمع عين السيدة لموت البطل على المسرح مثلا ، فاذا انتهى المشهد راحت تصفق وتضحك وعيناها ما زالتا مغمضتين بالدموع. فالمشاهد التمثيلية لها تاثير مزدوج على المتفرج ، فهو يتأثر بموضوع المسرحية وبما فيها من عبر مثلا ، كما انه يتاثر في الوقت نفسه بمبلغ اجادة الممثل لدوره ، فهذا الاستمتاع بالبراعة التمثيلية هو الدافع الاصيل لارتياد المسارح . اننا نذهب الى المسارح لننمي ملكاتنا الفنية ونفتق اذهاننا ونستمتع بالجمال .

المسرح

ان المسرح يتآزر مع بقية الادوات الاخرى لانجاز الغاية المسرحية المنشودة . وحسبنا ان نذكر انه يجب ان يتوخى في اعداده ان يكون صالحا لاجراء التمثيل فيداخله بمعنى ان يكون الممثل مسموعا لدى الناس فيراعى فيبنائه هندسة خاصة . ونحن في مصر قد بلغ الاهمال الى حد اننا لم نرع هذه النقطة البسيطة في بناء مسارحنا (القليلة). فأقيم مسرح الازبكية على اساس من التصميم الهندسي الخاطيء ، فأنشأوا في سقفه قبة عالية من شأنها ان تبتلع اصوات الممثلين ، وتفوت على الجمهور ما يقال على خشبة المسرح . وقد كنت اجهل هذه الحقيقة عند ظهوري لاول مرة على مسرح الازبكية ابان ايام التلمذة ، حتى بهني اليها جمهور الصالة ، فابتدات ارفع من عقيرتي . واني اذكر حادثة اليمة لكوكب السينما السيدة فاتن حمامة ، فقد لاقت نفس هذا المصير الا ان حنجرتها قد خانتها ، واحتبس صوتها في هذا الجو المسموم ، مما أثار جمهور الصالة عليها واسدل الستار واجهشت كوكب السينما بالبكاء في الكواليس .

كذلك يؤثر المكان في العمل الفني بحيث انه من المعروف لدى كل مخرج وممثل وراسم ديكور ان لكل مكان متطلباته الخاصة حسبما هو عليه من السعة او الضيق وغيرها من مواصفات هندسية كزوايا الرؤية ووضوح المناظر ودقة التلوين الخ ثم يجب ان تكون الراحة متوفرة فيه الى اكبر حد ممكن حتى تهيء للمتفرج فرصة الاسترخاء وتجنبه استفزاز الاعصاب لتتيسر له الاستجابة الى المثيرات المسرحية وخاصة الضحك ، كذلك يجب الا يكون المكان مثقلا بالنقوش مما يجذب اليها عيون الناس ويصرفهم بذلك عن متابعة ما يجري على المسرح . ومما يجدر بالمخرج أن يحاول ادماج الجمهور في جو روايته منذ ان يخطو الخطوة الاولى داخل المسرح باشاعة الانغام الموسيقية التي تتفق مع جو المسرحية وباختيار الوان معينة للستائر وللضوء الذي ينتشر في الابهاء . ثم يجب الا ترفع الستائر بعد اطفاء النور مباشرة بل علينا ان نطفيء الانوار قليلا قليلا حتى ينتشر الظلام رويدا في انحاء الصالة ، ثم بعد لحظة وجيزة نرفع الستار وبذلك نخلق فترة من الانتقال نتيح فيها للناس أن ينصرفوا عن شواغلهم وما كانوا يأخذون فيه من اسباب الحديث ليتهيأوا لاستقبال الرواية . كما لا ينبغي أن يطغى صوت الملقن على صوت الممثلين اثناء التمثيل . فهي عادة مرذولة ولو اننا نكابد منها الكثير في مسارحنا المصرية مما أثار نقد الخبراء الاجانب عند زيارتهم لمصر .

مما سبق تتضح لنا اهمية المكان الذي يجري عليه التمثيل والى أي حد يؤثر في نجاح واسقاط المسرحيات على الرغم من جهود المخرجين والممثلين ومثابرة المؤلفين .

القاهرة — **محمد فرحات عمر**

حكاية الحب



عيناك قد تخبىء أسرارها
ويخبىء القلبُ
جرح الهوى يقطر في غارها
ويهمس الهدبُ :
انا انا ! اما احتواني اللهيبُ
لا انطفي لا التوي لا اغيب
اما انا ان ضمني الجمرُ
من احتراقي يولد الفجرُ !
ربيت والحب فما عقه .
قلبي ، فهل ينكرني الحب
انا له كوخ وراد ضحى
وطفلة في مرجه تحبو !
شَرعت قيثاراته للرياحْ
مررت في دربه مرَّ الصباح
جريت في الطين غناء وكم
ابته ريشا وكم من جناح
ما همني والحب من خاطري
ومن فؤادي الطيب العاثر
تمتم موّالهُ شرع عزاله
ومدُّ من حسني ولون عينيهْ
دنى من الالحان خضرا فساح
يرف من جفني ... في كل امسية
حكاية حروفها شتى التلاوين
ترف اسراب حساسين
في كل حرف صوت اغنية
ونسمة نفح الرياحين
انا على العالم هلء الصبا
وفي عشاياه رفيف اشتعالْ
حكاية الحب انا ما خبا
في الحب وهج الطيب وهج الجمالْ

دمشق — نذير عظمة

رجعة

✳

ها انت تبدو الآن يا طيف الشباب الباكر
ها انت تملأ ناظري وتستبد بخاطري
ها انت تبعث نافضا اكفان ماض غابر
فاذا الذي قد مرَّ من عمري كوهم عابر
واذا الحقيقة انت يا طيف الشباب الباكر

فجر الهوى لم نغتنم انواره اذ اشرقا
وضحاه مُرّ وقد اعرنا النور جفنا مطبقا
ومساؤه هذا الكئيب يمدُّ ظلا مقلقا
مات الضياء سوى شعاع سنا يرفرف مرهقا
في وحشة خرساء يا طيف الشباب الباكر

ارايت ما ضيعتُ من عمري وما ضيعتَهُ
يكفي الذي فوت من حظي وما فوته
ران النعاس على هوانا آه لو ايقظته
ليذوق سؤرَ هناءة هي كل ما ابقيته
فسدى ارقنا الكاس يا طيف الشباب الباكر

وسدى كبحنا ما تملك مهجتينا من مرام
ايام كان القلب تعمره خيالات الهيام
وتضج في اعماقنا العطشى امانيُّ الغرام
ويزيد ما نلقي على الايام من ذاك الاوام
قد آن ان نروى أيا طيف الشباب الباكر

ان لم نبادر حبنا الذاوي يعاجله الفناءُ
وتغيب شمس حياته ما بين احزان المساء
وتضيع في اذنيه بعد اليوم اصداء الغناء
ويلفه صمت بعيد الغور ليس له انتهاء
فحذار منه حذار يا طيف الشباب الباكر

الاسكندرية — جمال مرسي بدر

لارتورو سوتو الابارس

ترجمة كاظم سعد الدين

الذئب ١٣

قصة مكسيكية

✳

انحدرت الشمس وراء الافق واضرمت نارا ارجوانية عند حافة الصحراء . وارتفعت دوامات من الغبار في القفر بفعل هبوب الرياح. وتالقت الزهرة في برجها الحالك من السماء . واخذ جوان الراعي يضرب على اوتار قيثاره المتوترة انغاما شجية وحصانه المضنى يكد في سيره . وتراه محني الجسم نحو الامام وقبعته على رقبته وعيناه مثبتتان في معارف حصانه القذرة ، يردد اغنية حزينة من اغاني البراري . وبين حين وآخر في فواصل من الترخيم كان الغناء ينقلب الى مناجاة لذاته . ثلاث عشرة ساعة على ظهر حصانه وراء طيف من الماشية . ثلاث عشرة ساعة ممتطيا البر لاحقا الشمس . ثلاث عشرة ساعة من الجلد والغبار والعرق . نسي وهو يجوب هذا القفر اللامتناهي – نسي صلته بالحياة . واخذت نفسه تجف كما تجف البندقة . وتصلد جلده وكذلك قلبه .

وحيثما مد بصره لم ير غير السماء والارض تلتقيان لدى الافق في خط كالدم في اللون عند الغروب . وطفقت صخور الصحراء في تلك الساعة تعيد الى الفضاء ما اكتسبته من حرارة اثناء النهار . وراحت ظلال الصبير الرمادي تمتد الى اللانهاية . وتعلق الراعي جوان باغنيته ، وحصانه يسير ببطء في هذه الارجاء المتالقة ، تعلق متيم بمحبوبته . وبدأت الريح تعزف لحن اليل والموت . واخذ الخوف والخرافات تدب في اوصاله . غير ان فكر الراعي كان مشغولا . فقد خرج متوجها على مهل يقصد بقعة معينة . ولما هداه النسيم استنشق الهواء تابعا رائحة اللحم الميت .

واظلمت السماء . وظهرت في البعيد الطريق البيضاء كانها طل في العراء . ورأى امامه بعد دقائق معدودات سياجا من الاسلاك يمتد الى ابعاد لا ترى . انه حدود في الصحراء من الفولاذ الاغبر . وسار الراعي جوان نحوه ووقف على مقربة منه . وقطع اغنيته وجلس ساكنا ينظر الى الاسلاك الشائكة . وبدأ الحصان وقد ارتخى لجامه يضرب الارض الصلبة بحافره . وتبسم الراكب وقد لفه جو خانق من العفن لما اخذ يعد الذئاب فهي اثنا عشر ذئبا. اثنا عشر ذئبا معلقة في السياج . وقد تقاطعت مخالبها وتصلبت اذنابها وغارت رؤوسها في صدورها وتعفنت في شمس الصحراء. وبدت صغيرة ضاربة سمرتها الى الحمرة وقد جف الدم على ابوازها وغطاها وظهرت في الريح كأنها الاعلام او فزاعة الطيور . وتلاعبت الريح ، لدى اجتياحها البر ، بشعرات الذئاب اليابسة فارتعشت وتحركت . ان علامات الحياة هذه في الاجسام الميتة لسخرية قاسية .

وكانت للراعي جوان يدان كبيرتان معجرتان قذرتا الاظافر قصيرتا الاصابع غليظتاهما . وتخترق يديه الياف من الحبال والجلد والقشرة . ويداه هاتان هما اللتان طبعتا الميسم المحرق على جلود العجول الحريرية التي تنبعث منها بعد ذلك رائحة اللحم المستشاط . وجلبت يداه الخشنتان المشققتان الالم سنة بعد اخرى على ما لا يحصى من الحيوانات . وكان هذا هو سبب حيازة الرجل على هذا العنف الاعمى والعناء الصامت والعزلة الحيوانية . وكان عالم جوان الراعي المتجول لوحده ، الضائع في خضم القفار، صغيرا تتسع له قبعته : تبغ ومشروب وافكار . وكل شيء غير ذلك من سماء وبر وعزلة لم يكن الا استفهاما مرعبا متوعدا .

وجاء في يومه ذاك من بعيد ليعد ذئابه. انها لحيوانات مفترسة تتربص للقطعان بعيون فسفورية صغيرة كأنها الاشباح في الليل الذي يرتعد بفعل عوائها لذلك فهي اعداؤه بطبيعتها . وقد صاد تلك الذئاب بالفخ والبندقية مضحيا أقسى تضحية بما مسك عبرة للباقيات ولذلك فقد علقها باشواك السلك اللامع . وكون دمها على السلك قطرات سوداء . والقت ظلالها التي ابرزها ضوء نجم المساء البنفسجي كانها ترسم الموت في الصحراء . ولكن الراعي جوان الذي يتكلم الى نفسه ويبتسم ويهدد ويلعن تمنى لو انه يرى ثلاثة عشر ذئبا على ذلك السلك القاسي . اما الذئب الكبير الثالث عشر العجوز الماكر الحذر المناوىء له فكان دائما يهرب منه . وتراه يعوي وقد اختبأ ليلة بعد اخرى في مجموعة من الادغال حيث جف مجرى ماء في ذلك القفر الصخري المنبسط . ويصغي اليه الراعي جوان وهو يرتجف متدثرا ببطانيته من البرد محدقا في النجوم . وخيل اليه انه رآه مقوس الظهر متصلب الذنب مدبب الفم . وحسب انه استطاع ان يرى الحيوان يعدو في القفر الاجدب بعينين فسفوريتين متوحشا . وكان عليه بعد عدة اشهر عندما يذهب ليقدم الحساب الى الرجل

---

١) ارتورو سوتو الابارس من كتاب المكسيك ولد عام ١٩٣٠ في مدريد وترك اسبانيا وهو في الثامنة نتيجة للحرب الاهلية وعاش في البلجيك وكوبا والولايات المتحدة وصار له عشر سنوات في المكسيك حيث نشر قصصا قصيرة في الصحف والمجلات . وسيظهر له قريبا مجلد في القصص القصيرة .

صاحب الزيت في سان انطونيو ان يخبره بان ذئبا عجوزا قد اختطف اكثر من عجل واحد .

وابتهل الراعي جوان الى الله ان يمكنه من الذئب ١٣ . ودس آخر اطلاقة في ماسورة بندقيته واستدار مبتعدا عن المنظر الذي يبعث الغثيان في النفس تاركا الذئاب وراءه تتأرجح في مهب الرياح وقد تمسكت فراؤها الضاربة الى الحمرة بأخريات اشعة الغسق . غير ان صورها انطبعت في مخيلة الراعي جوان بصورة ملحة لا تمحى كذكريات رجل منعزل . فيستطيع ان يرى الذئب ١٣ معلقا هناك وقد تقاطعت ارجله وارتخى راسه فهو مغلوب قد قضي عليه . ففرح لفكرته وملأت راسه مكتسحة اوجاعه وانهاكه وعزلته . وقد شيبته الشمس قبل اوانه وتغضن جلده غضونا متقاطعة لا تحصى ؟ وكان الراعي جوان بوجهه المربع وملامحه الحيوانية حلقة بين بهيمة من بهائم الحقل وبين ناسك . وطلعت لحيته الضاربة الى الحمرة وحاجبان اللذان قصرت الشمس لونهما ، من بين التجاعيد كانهما اندفاعات من الضوء . وكانت عيناه الصغيرتان وقد تقلص انساناهما بمرور السنين من جراء سطوع الشمس ، زرقاوين – رماديتين بريئتين ومع ذلك فهما قاسيتان جافتان لان الشيء الوحيد المنعكس فيهما هو الصحراء ، وجه العزلة الهندسي الاجرد .

واخيرا انحسر الضوء من البراري وخيم الليل الرائق على الارض . فترجل الراعي جوان واخفى نفسه وراء شجرة صبير لينتظر . وبما انه لم يرغب ان يشعل نارا فقد اخذ يمضغ شيئا من التبغ . ووضع اصبعه بلطف على نابض البندقية وراح ينتظر متذوقا طعم لذة مقبلة . وبعد فترة عندما يرتفع القمر في فلكه الثابت سيغني الذئب على مؤخرته ويشرئب بعنقه الملبد اثناء ترجيعه الليلي . وستقطع طلقة سريعة من الفولاذ عواءه في حنجرته او في راسه . فكر بذلك وابتسم في دثاره منتظرا صابرا . وتعالى القمر ولا اثر للذئب ١٣ قد لاح . وصار حديد البندقية باردا بين اصابع الراعي جوان . ان عدم خروجه حتى الان لامر يدل على العجب . وما اشد ما بدت الصحراء خالية ميتة مجدبة ! حجارة وانسان ! فضاء وانسان ! وراحت احدى رجليه في سبات وترك النمل في دمه الراكد يخدرها تماما .

وبدا يجتاح نفسه صمت هائل . ولم يكن هذا الصمت قشرة تتكون على القسم الخارج انما هو اشعاع ذاتي وانطلاق لكل شيء غير محسوس في داخل نفسه . وشعر الراعي جوان بان شيئا ما قد خرج منه ، شيئا مهما قد بارحه ، وان حذاءه الجلدي الخشن صار خاليا وكذلك سرواله الصوف الغليظ ، وان بطانيته اصبحت تجويفا يضم شكلا يابسا لكتلة جامدة ، بقايا كائن متحجر . وبقي الراعي جوان كالصخور التي احرقتها الشمس فراحت في الليل تعيد الى الفضاء اشعة الشمس . بقي خلوا من روحه . واجهد نفسه ليفكر ويتذكر . غير ان الذي استطاع استذكاره لم يكن الا ومضات فارغة لبعض الصور .

ومرت على شاشة مخيلته العديمة اللون ابراج آبار النفط المعدنية الغريبة ، ومذاق البيرة المر ، واجسام الحفارين المفتولة المكتنزة البيضاء . ومرقت مبتعدة قطعان غير واضحة تثير سحبا من الغبار ، وجمجمة عجل مات عطشا في الصحراء ، وابدان الفتيات الشبقات اللواتي تردد عليهن بين حين واخر في دور الدعارة على حدود السهل . غير ان تلك الصورة كانت فارغة مجردة فلم تجده شيئا . وساد السكون وعم كل شيء . ولم يكن الراعي جوان وهو يرتجف في الليل القارس ، مجردا من الروح ، الا نقطة ضائعة في تلك العزلة . ومضغ التبغ المر وانتظر وقد ضم بندقيته الى ركبته . وطفق ينتظر دون امل حتى سمع فجاة صوت عواء قصير . فجعله هذا الصوت الطفيف يقف على قدميه وراح يتلفت حوله وهو منتصب يرتجف والبندقية في يديه . لقد وصل الذئب ١٣ . فهو في مكان قريب وستلمع عيناه الصغيرتان الصفراوان . وتكرر العواء وتبعه اخر . واقترب بحذر من البقعة التي انبعث منها الصوت . وشعر بالحياة تعود الى جسمه وادرك وجود يديه وقدميه الكبيرتين في حذائه العتيق المألوف عنده . ولما تردد ، وقد عاد اليه صبره ، سمع عواء يرثى له دله على رقعة صفراء من الادغال المتباعدة حيث كان الذئب ١٣ كبيرا اغبر اللون ، ومن فم مكشر مزمجر بانت اسنانه البيضاء القوية . وكان الحيوان محدودبا يقطر الدم من مخالبه ويتدلى لسانه اسود منتفخا وقد حاول بجهد يائس ان يهرب . ولمعت عيناه بالكراهية والخوف وهو يرقب الرجل مقتربا ببطء . وانتفش شعر ظهره واخذ يعوي عواء قصيرا اجش . واخذ الرجل موضعه ورفع بندقيته واحكم تهديفه . وكان الحيوان يموت عطشا . وقد ضعف من الالم كثيرا فلم يستطع ان يتابع عواءه . وكانت تلك اخر لياليه . وابتسم الراعي جوان . وفكر بالذئاب المشنوقة جميعا حتى انه استطاع شم لحمها المنتن . وراح اصبعه يضغط شيئا فشيئا على النابض كانه كان يشد قوسا . وهكذا وقف الرجل والحيوان ينظر كل الى الاخر لثوان معدودات غير ان الطلقة لم تصب هدفها .

وغير الراعي جوان فكرته فجاة واطلق في الفضاء نحو السماء . ودوى الصوت في الفراغ الهائل . وبقي الذئب وهو يلهث ويرتفع جانباه وينخفضان كانهما المنفاخ ، على قيد الحياة في وسط الادغال . ونظر الرجل اليه وتفوه ببضع كلمات رقيقة يخاطبه بها ثم ابتعد يطلب ماء . ولما انحنى يسكب الماء في وعاء من الالمنيوم انسحب الذئب مذعورا واستطاع ان يشرب بسلام . ورجع جوان الراعي الى شجرة الصبير وتدثر ببطانيته وتساقط ضوء النجوم مدرارا على جبينه وفكر لو انه قتل الذئب لما بقي لديه شيء يقوم بعمله في عالمه هذا ولعاد ذلك الصمت الرهيب القاسي الذي عانى منه كثيرا في ليلته تلك . ونام مطمئنا سعيدا ، وقد رسخت قدمه في حذائه مرة اخرى ، يهدهده صوت لعق رقيق لذئب هده العطش .

ولهذا عاش الذئب ١٣ مدة طويلة قد تبلغ سنوات عديدة . وكان يعوي بلا انقطاع في ليالي قمرها بدر ثم يهاجم العجول . ويثور الراعي جوان غضبه فيتبع الذئب . غير ان الرجل لم يشعر ابدا بتلك الوحشة القاسية في البراري الفسيحة . وكان يعتبر الذئب ١٣ عدوا مقدسا لا ينتهك .

العراق – الخالص **كاظم سعد الدين**

الجموع

لشـارل بودلـير

٥

ليس في امكان احد ان يستحم في قلب الجماهير !.. ان امتلاك الجموع فن .. ومن هنا فحسب يستطيع المرء ان يصنع على حساب الجنس البشري ، سكره الحيوي الذي تنفحه اياه جنية وهو في مهده ! ..

ذلك الطعم المنكر المقنع .. كره الاقامة .. والتعلق بالترحال ! .. الجماهيرية والوحدة : تعبيران متساويان متبادلان بالنسبة للشاعر الملهم الخلاق ! .. : فالذي لا يعرف كيف يملأ فراغ وحدته لا يعرف ضمنا كيف يكون وحيدا في حشد مكتظ ! ..

فالشاعر يسعد بهذه الهبة التي لا تضاهى .. والتي يقدر بها ان يكون ــ بمحض ارادته ــ في آن واحد : « هو نفسه » ، و « هو الآخرون » ! ..

وكهذه الارواح الشاردة ، الباحثة عن جسد ، يتقمص كلما احب شخص كـل أحد !.. : كل شيء شاغر في انتظار مقدمة !.. واذا بدت بعض الامـكنة موصـدة امامه فلانها من وجهة نظره لا تستحق مؤونة الزيارة ! ..

ان المتجول المتوحد المتفكر ، ينهل النشوة المتفردة من هذا الانسجام الكوني .. ذلك الذي يتزاوج بسهولة مع المجموع ، هو الذي يتعارف مع المتع المحمومة ، حيث يتعرى الانسان الى الابد من انانيته السجينة في خزانة ، ويتحبس الخامل كالحلزون في قشرته ! ..

انه يتبنى كل المهن ، كل الافراح والاتراح التي تمنحها الفرصة ، وكانها ممتلكاته!..

اما ما يسميه الناس « حبا » فيظل صغيرا ، محدودا ، ضعيفا ، اذا قورن بهذا الاغداق الذي لا يعبر عنه .. هذا الامتهان المقدس ! .. للروح التي تهب نفسها كاملة : شعرا وايثارا ! ... لكل غير منتظر يظهر .. ولكل مجهول يمر !..

انه لمن الخير ، بين الحين والآخر ، ان نعلم سعداء هذا العالم ــ علنا نخفف ولـو لحين من كبريائهم الاحمق ــ ان هناك سعادات ارقى مما يتصورون .. اكثر رحابة ، واكثر شفافية ! ..

ان بناة المهاجر ، ورعاة الشعوب ، والقساوسة من المبشرين المنفيين في آخـر العالم ، يعرفون بلا شك ، شيئا من خفايا هـذا الانتشاء !.. وفي قلب المجتمـع ، تلك الاسرة الرحيبة حيث صنعت عبقريتهم ، يمكنهم ان يضحكوا في بعض الاحيان من هؤلاء الذين يشفقون عليهم من كسبهم المضطرب ، ومن شظف عيشهم ! ..

الطيـب الشريـف

القـيروان ــ تونـس



مـــن السمـــاء

ديوان شعر ـ للفقيد الدكتور احمد زكي ابو شـادي

لا اعتقد ان احدا من شعرائنا المعاصرين قد غذى المكتبة العربية من انتاجه الشعري بمقدار ما غذاها الشاعر المصري الدكتور احمد زكي ابو شادي .

ولا اعتقد ان احدا من اولئك الشعراء قد وقف حياته على الشعر والادب وعاش لفنه وبفنه كما فعل الشاعر ابو شادي .

لا ولا اعتقد ان شاعرا معاصرا غيره قد أثر في الشعر العربي الحديث تأثيره او نهض به نهضته او وجهه توجيهه او خدمه بقلمه ومجلته « ابو لو » خدمته .

والمطلع على شعر ابي شادي كله والمتتبع لنشاطه الادبي والفني يدرك انه بحق احد كبار رواد الشعر العربي المعاصر وزعيم مدرسة فيه لها خصائصها واتجاهاتها .

وليس يعنيني هنا الحديث عن مدرسة ابي شادي او نقد اعماله الفنية فلذلك موضع اخر في كتاب مستقل ارجو ان اتمه . انما يعنيني في هذا الحديث ان اعرف تعريفا خاطفا بديوانه « من السماء » اخر ما ظهر من انتاجه الشعري .

هذا الديوان يضم معظم شعره في فترة سبع سنوات من ١٩٤٢ الى ١٩٤٩ . وهذه المجموعة كما ذكر الشاعر في مقدمتها تكفي تمثيلا لشعوره ولخواطره في هذه السنين ، ولمبلغ تفاعله النفساني مع الاوساط التي عاش فيها .

وديوان « من السماء » ليس كبير الحجم . فيه ٦٩ قصيدة لا تزيد ابياتها عن ١٧٠٠ بيت . والاغراض التي قيلت فيها مرتبة على حسب الكم هي ـ الرثاء والحب والطبيعة والمدح والوطنيات والاخوانيات والتأملات ووحي الصور الفنية والامريكيات والشكوى .

وقد استخدم الشاعر في ديوانه « من السماء » عشرة اوزان شعرية أكثر من استعمال خمسة منها هي ـ البسيط والكامل والخفيف والمتقارب والطويل . والمطلع على الديوان يرى مهارة الشاعر وقدرته على اختيار الوزن الذي تتطلبه طبيعة الفكرة ونغمها وحظها من البطء والحركة .

وقبل التحدث عن أشيع أغراض شعره في هذا الديوان وعرض نماذج منها اود ان اقول ان شاعر مصر الكبير قد نفى نفسه الى امريكا ضمانا لحرية قلمه ويأسا من صلاح الاوضاع الفاسدة التي كانت تعيش في مصر قبل هجرته . فحرية رأيه ودفاعه عن هذه الحرية ومحاربته الاقطاع في عهود الظلم والطغيان بصراحة لا تعرف المواربة واضطهاده بسبب شجاعته الادبية كل ذلك اكرهه على هجرة وطنه على شدة حبه له وتعلقه به . وفي قصيدته « استقبال امريكا » يشير الى ذلك بقوله :

أقبل تربك المعبود برا   وألثم راية لك لا تبيد
ولو أنى المخلف في بلادي   معالم حبها باق أكيد
ولو ان الرجال بها استرقوا   وفيك تحرر السود العبيد
أردنا ان نقومها فآبت   وعوقبنا وصال المستفيد
وضحينا لعزتها فآذت
كرامتنا وبش لها الحسود
وعاث بها الدخيل فبجلته
وفداها ابنها وهو الطريد
وللتهريج سلطان يرجى
وللطاغوت يستبق السجود
اذا استشرى الفساد فكل خير
يذم وكل مذموم حميد

أعود بعد هذه الاشارة الخفيفة الى سبب نفي الشاعر لنفسه فأقول ان شعر الطبيعة مع انه يلي شعر الرثاء والحب من ناحية الموضوع الا انه اللون الغالب على شعر الديوان ولا تكاد تخلو قصيدة فيه من هيام بالطبيعة ووصف يطول او يقصر لمظهر من مظاهرها .

واندماج الشاعر في الطبيعة الى هذا الحد وعبادته لها وتصويره للجليل والصغير من مشاهدها يدل على مدى الفته للطبيعة وتجاوبه معها وتهيوء حواسه الدائم لاستقبال ايحاءاتها حتى جاز بحق ان نسميه شاعر الطبيعة في الشعر العربي المعاصر . وربما كان البحر وامواجه والماء بصفة عامة والنور والربيع اكثر مظاهر الطبيعة سلطانا على شاعريته واستهواء له . فاستمع الى بعض ما اوحى له شاطىء استانلي برمل الاسكندرية :

ما للصخور العاريات تدثرت   بالعشب حين الغانيات عواري ؟
« الصيف » أقبل فاخلعي لحنانه   ما البستك يد الشتاء الضاري
وتشربي الاضواء فهي ذخيرة   ومن الضياء ذخائر وعواري

او استمع الى قوله مخاطبا امواج البحر :

هدهدي بالهدير ايتها الامواج قلبا الى حماك اطمأنا
واسكبي الراحة الحبيبة فيه ، أنت برء لمثل قلبي المعنى
تغسلين الحصى ، وتلك قلوب بعثرت في الرمال حتى دفنا
مهرجان : الضوء نشوان فيه ، وتغنى الهوى به ما تغنى
ما له مبتدا وليس انتهاء لقلوب تراه حسا ومعنى

وقوله على شاطىء البحر في مدينة « اتلنتيك » بامريكا :

لمن يهدر البحر الحبيب وقد مضت   حياتي ولم استبق غير خيال
وقد كان أيام الشباب معللي   وكان نديمي لا نديم رمال
وأنفقت أيامي عليه فردها   من البشر اضعافا بغير سؤال
تسمعته نشوان ألمس غابري   كما لمس المخمور وهم ليال

وللشاعر في الديوان قصيدة ممتازة في وصف جدول اجتزيء منها بقوله :

متحجب خلف النبات وتحته   لكن تنم على سناه معالم
جالسته وكانما في صحبتي   بين الجنان مراشف ومباسم
ومن النبات ستائر سحرية   ومن الاشعة والظلال مجاثم

وابو شادي ـ كما هو شاعر بالقلم ـ مصور بالريشة والالوان . ولهذا فالصور الفنية عنده كالطبيعة احد مصادر وحيه والهامه . ومن يقرأ قصائده « رحلة الزمان » و « كابوس ناشم » و « خلائق اليوم » و « بماذا سيموت » يجد مصداق ذلك . ولم أجد بعد شاعرا وصف ريشة المصور بابدع مما وصفها به ابو شادي في قوله :

وما الريشة الزهراء الا عواطف   وابداع خلاق ومزمار شاعر
فيرفض منها النور والظل عالما   جديدا كاشعار الربيع الباكر

اما في شعر الحب فقد افتن الشاعر فيه وصور مواقفه المختلفة تصويرا يدل على صدق التجربة وعمقها . والحب عنده بمعناه الخاص

والعام هو سر الكون وروحه ، وهو مسير الافلاك ومبدع المعجزات . والسعيد عنده هو من يتخذ الحب عقيدة يدرأ بها عن نفسه نوب الزمان وصروفه .

ويبدو لي ان شغفه بالطبيعة عميق في مسارب نفسه واطواء روحه. فهذه الطبيعة تطل عليه من كل شيء وتغلب على وجدانه ومشاعره حتى في وصف هذه « الانثى » التي يريد ان يعليها فوق « الطبيعة » بقوله :

كأن الطبيعة منهـا استمـدت ... بهـاء الفصـول ونور البـصـر
فمنها نضـارة شدو الربيـع ... ومنهـا حـرارة صيف خطـر
ومنهـا شذوذ الخريف الشرود ... ينـوح ويضحك بين الشجـر
ومنهـا جواهر ثـلج الشتـاء ... ولهو الريـاح ولحـن المطـر

وشعر المدح عنده بعيد عن الزلفى والملق والرياء وانما هو تقدير لمن توسم الخير فيهم لمواطنيهم ، وتشجيع للممدوحين على مضاعفة جهودهم في خدمة بلادهم .

وللشاعر في الديوان سبع مراث تفيض كلها بالاسى والحرقـة . ومرثيته لزوجته التي أختارها الله لجواره قبيل رحيلهم لامريكا وكذلك مرثيته لاستاذه وصديقه الشاعر خليل مطران هما أقوى هذه المراثـي واشدها تعبيرا عن الحزن والوفاء العميقين . فمن مرثيته لزوجته قوله :

لهفي عليك زميلتي في رحلتـي ... وشريكتـي في الصفـو والضراء
ما كنت أحسب ان يومـك سابقي ... أو ان ايـام الحيـاة ورائـي
كنـا نهيء للرحيـل متاعنـا ... وننسـق الامـال غير بطـاء
ونهيب بالدنيـا لتشهد حظنـا ... ونهـش للايـام والانبـاء
فاذا رحيلك للنوى ووداعنـا ... للحظ والباقي الكليـم ذمائـي

وحنين الشاعر الى « مصر » وطنه قد عبر عنه أشجى تعبير فـي قصائد مستقلة وفي ثنايا قصائد اخرى . فمن ذلك قوله :

امتـي ما زلت فني وحيـاتي ... فاصفحي او فاغمري باللعنـات
كل حسن شاقنـي في غربتـي ... منك اذ الهمت منـك صلواتـي
كـل آياتـي التي أبدعتهـا ... هي بعض من سنا « مصر الفتاة »

ومن قوله في قصيدة « عيد النيروز » :

قبـل كانفاس الربيـع ابثهـا ... شوقي الى الوطن البعيـد مزارا
وأراه في حضن الخريف بنضرة ... لا تستحيل بشاشة ونضـارا
وكان منفـاي السحيـق مقربي ... أبـدا اليه وان نـأى وتـوارى

ومن قوله في قصيدة نظمها في عيد ميلاده :

يا مصر لولاك ما فارقت في حرقي ... أزكي الجنـان ولا عوقبت لـولاك
أهواك في غربتي أضعاف ما سمحت ... بـه المقاديـر في قربي لاهـواك
ابت علي كفاحي عندمـا أذنـت ... للغادرين فعاثوا في حنايـاك
مـا العيد عندي عيد في مباهجه ... أنا الغريب فعيـدي يوم القـاك
على سـلام وفي حرية شمـلت ... لا ان اعود لاغـلال واشـراك

وتتجلى انسانية ابي شادي وعروبته معا في قصيدته الشاجيـة التي يأسى فيها للاجئي فلسطين العربية ويثور فيها على غدر الامم بأبنائها وائتمارهم على الحق الذي تكونت هيئة الامم المختلفة ـ ولا اقـول المتحدة ـ لرعايته والدفاع عنه .

فاستمع الى ابي شادي يصرخ ثورة وانسانية في هذه القصيدة التي يقول فيها :

خرس فمن عن ويلهم يتكـلم ... ومعذبون لهـم تقام جهنـم
جنت السياسة مثلما جنت الوغى ... والظـالمـون الفاشمون عليهم
وتشردوا لا يملـكون وجـودهم ... لو كان يملتك الوجـود المبهـم
ليس المقـام مقام لـوم شامل ... ولعل اول من يـلام اللـوم
ان المصيبـة لا مثيـل لرزئهـا ... فيمـا روى التاريخ او ما يعلـم

والناس ؟ ما للناس لم يتاثـروا ... والاهل ؟ ما للاهل لم يتندمـوا
هذا اوان التضحيات فما لهـم ... ضنوا بأوهى الواجبـات واحجموا

ولشعر التأملات والخواطر الفلسفية نصيب في الديوان . ولعل خير ما نختم به هنا أبيات من قصيدة « من السماء » تلك التي تمثـل توزع الشاعر بين مطالب البدن ومطالب الروح ، بين نداء العيش ونداء الفن ، بين حلاوة التخيل والحلم ومرارة الواقع . استمع اليه يقول :

قالت الارض : أي عطر لديـك ... سكبته السماء في راحتيـك ؟
أي شعر لها فتنـت بـه الا ... ن ولـم أعطـه سخيـا اليـك ؟
هـل علمـت الارباب الا اسارى ... ما تغنوا الا بعطفي عليـك ؟
مـا جمـال السماء الا جمـالي ... أنا اودعتـه قديمـا لديـك
ما عشقت السماء الا هروبـا ... من حياة تعـج بالاثـام
أنت من أنت رحمـة بالبرايـا ... وهمو من همو بهـذا الخصام
الدمـاء التي أباحوا دمائـي ... والسـلام الذي أراقوا سلامـي

القاهرة

عبـد العزيز عتيـق

وكيل ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم

اغـاني كردستان

لمعروف خزنه دار ـ شعر مترجم من الادب الكردي ـ ٦٤ صفحة حجم كبير ـ مع لوحات فنية ـ مطبعة اسعد ببغداد

من الجبال الشم والسفوح الخضر ، ومن العيون الدافقة بسلسبيل الحياة ، ومن المنهل الصافي للحياة الفطرية والقمم البيض ، ومن بين النرجس والشقائق والاقحوان في الروابي والاودية ، من بلادنا الغنية بموارد الطبيعة ، من ارضنا الجميلة ، من ينابيع الربيع ، من موئل المطامح والمطامع فـي التاريخ ، من ارض المعارك الدامية ، ومنبت الاساطير والابطال ... من ارض كردستان يقدم الاستاذ معروف خزنه دار (باقة عطرة من ازاهير كردستان النضرة) الى ابناء الضاد الذين ربطتنا بهم علائق لا تنفصم ووشائج مـن الالفة والمحبة تزيدها الايام متانة ورصانة ، يقدم اغاني تنبثق من صميم الحياة الوادعة في بلادنا . فمن هزج الرعاة ، وتراتيل الزهاد ، وافئـدة العشاق المتيمين ، والاحباب المتوادعين ، ومن المولعين بجمال الطبيعة والمحبين المناجين للشمس والقمر والنجوم ، ومن افواه فتيتنا النشوى باعياد الطبيعة والبلاد ، من خضم (دبكات ـ رقص) فاتنات كردستان ينتزع خزنه دار انغاما شجية ، ونبرات موسيقية عذبة ، ليهديها كأغان متناسقة مع نسيم كردستان العليل ، وسيول الفرات ودجلة ، الى اشقائنا العرب لتصبح رباطا جميـلا يشد من ازر هذه الاخوة وهذا التجاوب الروحي السرمدي .

لقد كتب الدكتور عبد الحليم النجار استاذ اللغات السامية في كليـة الاداب والعلوم تصديرا قيما لتلميذه الاستاذ خزنه دار طالب الادب العربي في الكلية المذكورة ، ولم تكن فخامة الكتابة وروعة البيان تسحران المـرء فحسب ، بل ولقد اعجبت كما اعجب كل كردي بتلك الروح الطافحة بالود والاجلال التي يكنها الدكتور النجار لشعبنا الكردي ، ولا شك بأن هذا الشعور السامي تجاه شعبنا سيجعله موضع احترامنا واكبارنا فالى الدكتور المفضال اقدم جزيل شكري على هذا الاحساس النبيل كأحد ابناء هذا الشعب (المجيد) الذي اجله واعترف بخصاله وخصال بلاده المحمودة .

ثم كتب الاستاذ خزنه دار مقدمة موجزة عن كردستان واللغة الكردية والادب الكردي ولا شك بان هذه المقدمة رغم ايجازها قيمة وتعطى نبذة مفيدة لمن يجهل هذه الاشياء . ولكن لا أدري لماذا لم يذكر في انواع الادب الكردي بجانب ذكره للشعر العروض الشعر الحديث المتحرر من القافية والاوزان

الخليلية المرونة ؟ هذا الشعر السائد لدى الكثير من شعرائنا الان .

ثم يبدأ بسرد موجز لتراجم عشر من شعرائنا وشاعرة واحدة ، وبترجمة قطعة او اكثر لكل واحد منهم وهناك ترجمة لقصيدة رائعة لاحد شعرائنا المبدعين الذي (شاء ان لا يصرح باسمه في المرات العديدة التي نشر فيها هذه الانشودة المملوءة بالحياة في مختلف الصحف الكردية) . وكان من المستحسن ان ينشر اسم الشاعر باذن منه طبعا . وفي المجموعة (عروس النوروز) لشاعر مجهول ، وما هذا الشاعر الا الاستاذ خزنه دار نفسه الذي لم يذكر اسمه من باب التواضع على ما اظن ، وهناك جملة من الاغاني الشعبية المترجمة شعرا ، واما « مسك الختام » فقطعة نثرية من الرثاء . ولقد دفعني شعور غريب الى ان اطابق ترجمة الكثير من هذه القطع بالاصل الكردي فوجدت المترجم قد ابدع واجاد في الترجمة وذلل الصعاب التي تعتري سبيل كل من يحاول هذه المحاولة الصعبة ، وخاصة اذا كانت الترجمة الشعرية من لغة الى لغة اخرى تختلف عنها في المنشأ اللغوي مع وجود بون في طريقة وبيئة الشعبين الطبيعية في الحياة مما يجعل التعبير مختلفا والفكر متباينا الى حد بعيد .

لقد استهل المجموعة بقطعة شعرية من ملحمة (مم وزين) لاحمدي خاني فكان موفقا جدا في رسم صورة عربية لهذه المخاطبة البديعة التي صاغها خاني لـ (مم) مع شمعته في غرفة سجنه ، ومن ثم ذهب الى (بيرة ميرد) والتقط من صياغته الجديدة لملحمة خاني ، هذه القطعة ، من رثاء العاشقة (زين) لحبيبها بعد فقدها اياه ، ولقد كان ناجحا في هذه الترجمة ايضا .

ومن ثم ينقلنا بصحبة (بيرة ميرد) حيث نجده قد بلغ من الكبر عتيا وهو يرنو الى النجوم ويخاطبها بقصيدة (انا والنجوم) ، فيشكو اليها حاله ، ويعتبرها الانيس والرفيق من وحشة هذه الحياة ، وعندما تقرأ الترجمة ترى نفسك امام صورة عربية جميلة للقصيدة ، ولا ادري لماذا حذف المترجم البيت الثاني ، وهو :

انها سنون ، ونحن نسامر بعضنا في لياليها الساحرة ،..
فاني واياها كالسفهاء لا ننام ابدا ...

ويترك (بيره ميرد) في تأملاته هذه ليعود اليه وهو في يوم نوروز ، اليوم الاول للربيع ، يوم عيد الاكراد . وذا هو الشاعر ينظر الى المروج الخضر والعيون المنبعثة من المياه ، فيغني اغنية نوروز التي قدمها المترجم بعنوان (ازاهير النوروز) ، ولا حاجة بان اصف مرة اخرى بداعة الترجمة التي تكلمت عنها كثيرا ، ولي ان آخذ الاستاذ المترجم في حذفه للمقطع الثاني ، وهو :

ذا هو الورد يتبختر في المروج ،
والبلبل واقف يشدو امامه ،
والسحاب يذر علينا درره ،
والنسيم يحمل معه الحياة الجميلة ، ..
والنرجس ذو العيون المخمورة ثملث بالربيع ...

وبعد هذه الصورة يعرض المترجم شريطا من احاديث العشاق ، اوله قصيدة (الابتسامة الساحرة) من شعر (دلدار) ، وليته جعل عنوان القصيدة (بسمة مغرورة) اذ ان الشاعر الراحل نفسه يقول في شرح الابتسامة انها (ابتسامة مغرورة ساحرة الشكل) . ومن غمرة هذه الاغاني الجميلة التي كانت تبكي تارة بنبرات الرثاء والحزن والاسى ، وتفرح اخرى بكلمات الحب والامل والغرام وبين هذه الاصوات يرتفع صوت رخيم عذب ناعم من فتاة شاعرة هو صوت (مهربان خاتون) التي قدمها في قصيدة من العشق الصميمي لتحرك القلوب وتثير الشجون فيها ، من هذا الجو الاحساسي يأخذك مرة اخرى الى محافل نوروز فينشد لك قصيدة (عروس النوروز) وهي قصيدة بديعة كما يظهر من الترجمة اذ انه لم ينشر الاصل للان كما اتصور ، ولا اريد ان اخطو على هذه القصيدة دون ان اذكر الشبه بين هذه الابيات منها :

اني اعشق اللون الاحمر ،
لست ادري لماذا ؟
الان شقائق النوروز حمراء ؟ ام لحمرة خديك الاسيلين ،
وشفتيك الهادئتين الدافئتين ،
ام لان الحرية حمراء ؟

وبيت لشاعر لنا هو :

اني احب اللون الاحمر ،
لانه يبشرني بالحرية والانعتاق ...

ومن حفل نوروز هذا يشتاق المرء الى الرقص والفناء ، بل الحفل رقص وغناء ، فيأتي المترجم هنا بالاغاني الشعبية ، تلك الاغاني التي لا تعرف قائليها وهي في اكثر الاحوال بنت حفلها ينظمها مغنون محترفون يتجولون في البلدان ليغنوا للراقصين والراقصات في الاعراس والافراح . ولقد ترجم هذه الاغاني شعرا وليس لي الا اقول بانه كان موفقا جدا في اظهار معاني الاغاني ، اما من حيث التعابير والالفاظ التي حازت اعجابي فمن المستحسن ان اترك الحكم للقارىء العربي . وبعد ذلك يعرض قطعة غرامية لـ (ميرزا شفيع) بعنوان (زليخاي) ولا ادري لماذا ترجم هذه القطعة التي لا تحمل في ثنایاها امتيازا ولا لشاعر من المشهورين الذين يجب ان لا تخلو مثل هذه المجموعة من شعرهم ؟ ثم يقدم قطعة لشاعرنا الكلاسيكي (بيخود) وهي (كركوك مصيدة الغواني) ، بالرغم من انني لم اتمكن من الحصول على النص الاصلي للقصيدة الا انني صفقت من كل قلبي للمترجم اذ وجدت نفسي امام اسلوب (بيخود) الراحل وكأنه هو امامي يقرأ لي بلغة الضاد ، منها :

هي في رياض الدلال كشجرة (السرو) العطر ،
وهي في مروج المحاسن يا قلبي ، اينع زهرة ...

ومن هنا ينتقل الى حيث مؤسس الطريقة الصوفية النقشبندية في كردستان وباني التكايا ورائد اجيال من المتصوفة (مولانا خالد النقشبندي) ذلك الشاعر الذي ترك بلاده حتى وجد نفسه في ديار بعيدة فأخذ يخاطب نفسه :

ايا خالدا ان لم تكن صوفيا هائما ،
فأين انت من (كابل) و (قندين) وارض (قندهار) ! ! .

وفي مجمع الذكر ، وترديد اسماء الله الحسنى ، وفي صومعة الزهد والتقى يجمعك معروف خزنه دار مع (مولانا خالد) وهو يرتل قصيدة دعاء وتضرع) حيث ينقلك الى جو صوفي بحت تنسى فيه الدنيا وما حوله ثم يلقي عليك غزلا صوفيا رائعا ، وثم يخرج من تكية مولانا وخانقاه ليلتقي بالشاعر الذي لم يصرح باسمه في قصيدة تعتبر من عيون الشعر الكردي الحديث تلك هي (ذكرى وامل) ، ذكرى مؤلمة موجعة للماضي وامل باسم بالمستقبل المشرق ، حب وهيام وتعلق بجمال (شيرين) واحساس عميق بالوطنية وحب البلاد ومجده ، واسلوب شعري نفيس في جمع ابيات متفرقة من الفناء الشعبي لسكبها في وحدة متراصة مع ابياته الجميلة . ولقد ترجم خزنه دار هذه القصيدة ببراعة فائقة لم اكن اتصورها ، ولا ادري لماذا استعمل كلمة (ارض) بدلا من (الوطن) في مواضع عديدة ، ولا يفوتني ان اذكر بانه قد ترك مصرعا بعد قوله :

اقبل الربيع ، ليسعد به المحبون ، ومجالس اهل الخمر ،
لتسعد به البلابل ، ولتسعد به الاشواك ، ليسعد به العالم ، الا قلبي!..

والمصرع هو :

ولتتقطر الندى على الشوك والقتاد ، لا على وردي ...

وبعد ذلك يقدم قطعتين من الغزل للشاعر (نالي) ، ولم يرينا (بي كه س) الخالد في مناجاته المبدعة مع القمر ، ورغم كون هذه القصيدة من القطع الفنية الثمينة للشاعر الا انه كان على المترجم ان يقدم له قصيدة من وطنياته التي اشتهر بها الراحل . وثم يقدم لنا اول شاعر كردي سجل له الشعر وهو (بابا طاهر الهمذاني ٩٣٥ ـ ١٠١٠ م) في رباعياته التي هي اقدم من رباعيات الخيام باكثر من قرنين ، ثم يعرض الشاعر الامي العاشق (ولي ديوانه) الذي هجر الديار وسكن الكهوف والجبال في قصيدة (سهام شم)، وينهي المجموعة بقطعة رصينة من النثر الفني التي كتبها معالي العلامة توفيق وهبي الوزير العراقي في رثاء ابن كردستان العزيز ووزير العراق العظيم ، كاتب تاريخ الاكراد المرحوم (امين زكي) ، وفي نهاية الكتاب مفتاح للحواشي لشرح الاعلام .

هذا سرد عام للكاتب والشيء الذي يجب ان يذكر هنا هو هذا النجاح الكبير في الترجمة الذي اهنيء الاستاذ خزنه دار عليه ، وليس لي الا ان اقول انه ابدع واظهر مقدرة كبيرة في هذا المجال رغم بعض الهفوات التى لا يخلو منها عمل كهذا .

ولا يفوتني ان اذكر بان في الكتاب ثلاث لوحات فنية بارعة رسمها الفنان الكردي (بديع بابا جان) وهي صورة الغلاف ، والابتسامة الساخرة ، وذكرى وامل ، واللوحة المعبرة التي رسمها الاستاذ خالد الكرخي (اغاني الهمذاني) اقول ان هذه اللوحات تزيد الكتاب روعة فوق روعة . واختم كلمتي آملا من الاستاذ معروف خزنه دار ان يتحف اخواننا ابناء العروبة بمثل هذه التحفة ما استطاع الى ذلك سبيلا .

العراق ـ السليمانية **عز الدين مصطفى**

رحلة ابن جبير

تحقيق الدكتور حسين نصار ـ ٣٦٦ صفحة ـ دار مصر للطباعة

يقول الدكتور حسين نصار الاستاذ في كلية الاداب بجامعة القاهرة في المقدمة التي يعرف بها الكتاب :

هذا الكتاب رحلة قام بها اندلسي للحج ، استغرقت عامين وثلاثة اشهر ونصفا ، من اول ساعة من يوم الاثنين التاسع عشر لشهر شوال ٥٧٨ هـ ، الموافق الثالث لشهر فبراير ١١٨٢ م ، الى يوم الخميس الثاني والعشرين لمحرم ٥٨١ هـ ، الموافق الخامس والعشرين لابريل ١١٨٥ م . وزار فيها مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية .

ووصف هذه الرحالة المدن التي مر بها ، والمنازل التي حل فيها ، من هذه الاقطار جميعا ، وصفا يختلف اسهابا وايجازا وفقا لاهمية الموضع ، وتختلف المظاهر التي عني بوصفها في المدن المتنوعة حينا وتتفق حينا اخر . فقد عني في جميع المدن التي وصفها بالمساجد وقبور الصحابة والمشهورين والمستشفيات والاثار المعروفة . وعني في مصر خاصة ببعض النواحي الاجتماعية والاقتصادية ، وفي بلاد العرب بالناحية الدينية خاصة ، وفي العراق بالوعظ والوعاظ ، وفي الشام بالنواحي السياسية والاقتصادية والحروب بين المسلمين والصليبيين وفي صقلية بالمسلمين تحت حكم الملك غليوم . وطبيعي انه التفت في كل مدينة بالامر الذي اشتهرت به ، واهتم بوصفه ، كمنار الاسكندرية واهرام القاهرة وابي هولها ، ومقياس جزيرة الروضة ومعبد دندرة ، وآثار مكة الاسلامية ، والمسجد النبوي بالمدينة ومسجد الكوفة ، ونفط الموصل ، وقلعة حلب ، والمسجد الاموي بدمشق ، وما الى ذلك . والحق ان الكتاب يتضمن بعض المعلومات التي لا يستغني عنها مؤرخ او جغرافي او اديب يريد ان يدرس هذه الفترة الهامة في الشرق الاسلامي ، فهو يصور صلاح الدين الايوبي صورة غاية في الجمال تكشف عن المكانة التي احتلها هذا البطل في قلوب المسلمين في عصره ، وصور العلاقات بين المسلمين والصليبيين في حربهم وسلمهم تصويرا ربما لا نجده في اكثر كتب التاريخ ، وابرز حال المسلمين في المناطق التي احتلها الصليبيون من الشام ، وفي صقلية ، في صورة واضحة دقيقة . وفي الكتاب اشارات الى اشياء في حياة المشارقة وآدابهم ، غاية في اللطف والطرافة ، وكثير منها باق الى يومنا .

ويوضح الكتاب ان كاتبه رجل طيب القلب ، سليم الطوية ، ما اسرع ما يلجأ الى الله في حال الرضى والغضب ، والاعجاب ولاستنكار ، والاطمئنان والفزع . وقد يؤثر ذلك في احكامه ، فيفرط في شعوره ، فكل ما يعجب به غاية لا يستطيع وصفها الواصفون ، وعدد الحجاج ، وكل ما يتكلم عنه ، لا يحصيه الا الله ولم يوجد مثله في أي عام اخر ، فهو منساق مع عواطفه . ولكن هذا لا يفقده قدرته على التمييز ، وتصديق الشائعات ، ولو اتصلت بامر ديني ، بل يحاول التحقق ، كما فعل فيما شاع عن بئر زمزم . وان وقع في بعض اخطاء تاريخية ، كتصديقه ان الحسن والحسين ولدا بمكة ، وخالف المؤرخين في بعض اخبار اشرت اليها ، ولا ادري من الصادق ؟ وقادته غربته عن المشرق الى الوقوع في امور لها دلالتها ، اذ يكتب اسماء بعض الاشخاص والمدن كتابة تختلف عن اصطلاح المشارقة ، مثل الينبوع (ينبع) ونابلوس (نابلس) والدقيس (الدكز) ، حتى لقد قضيت وقتا طويلا كل الطول في سبيل الوصول الى كنه الاسم الاخير . وربما كان ذلك من الناسخ الاول ، لانه مغربي ايضا ، فيما يرجح .

وعني المؤلف في كل قطر نزل به بتقصي احوال المغاربة فيه ، وعلاقة اهله بهم ، ووصف ذلك في رحلته وصفا مطولا .

ويتضح منذ السطر الاول ان المؤلف كان يدون مشاهداته على صورة مذكرات لا كتاب متصل مطرد ، ثم نسق هذه المذكرات وفقا لمراحل الرحلة هو او بعض تلاميذه كما يقول ابن الخطيب عن ابي الحسن الشاري . فاثر ذلك في عبارة الكتاب واسلوبه تأثيرا كبيرا . فهي عبارة عامية ، تتضمن كثيرا من الالفاظ التي لا ترضى عنها اللغة الفصيحة . والضمائر مختلفة ، لا تسير وفقا للقواعد العربية الفصيحة ، وانما على القواعد العامية ، وخاصة في المثنى ، الذي يعامل كالمؤنث في اغلب المواضع . والعبارات منفصلة ، لا ترابط بينهافي كثير من الاحيان ، حتى اضطر المحقق الاول للكتاب، واضطررت بعده ، الى زيادة كثيرمن واوات العطف ، لترتبط الجمل ، وتتضح معانيها .

وينسى اشياء ، فيضطر الى الحاقها في غير موضعها ، كما فعل في وصفه للمدن المصرية ، وبرغم ذلك ، يفتتح الكلام عن المدن الهامة ، بفقرة مجودة مجملة ، تتزين بالسجع والجناس ، ويضمن كلامه كثيرا من الايات القرانية والاحاديث النبوية ، وينثر فيه بعض الشعر . وقد اعجب بعبارته المتأخرون ، فاكثر الشريشي تلميذ المؤلف من اقتباسها في شرح مقامات الحريري ، واستعار منها المقري والمقريزي وغيرهما .

واختلف في عنوان هذا الكتاب ، فجعله حاجي خليفة « رحلة الكناني » ويبتديء المخطوط بعبارة « تذكرة بالاخبار عن اتفاقات الاسفار » . التي قد تكون عنوانا للكتاب ، وقد لا تكون ، فلا تعني غير ما نعنيه اليوم بكلمة « مذكرات » . وينتهي بعبارة « كتاب اعتبار الناسك في ذكر الاثار الكريمة والمناسك « ، وشك « رايت » في كونها عنوان الكتاب . ولهذا الشك آثر ان يقدمها بالعنوان المشهور « رحلة ابن جبير » وتابعته في ذلك ، أخذا بالاسلم والاعرف . ولا شك ان الكتاب ذو اهمية كبيرة ، جعلت المستشرقين يعنون به ، ويطبعونه غير مرة .

ومؤلف الكتاب هو محمد بن احمد بن جبير الكناني الاندلسي ، البلنسي الاصل ، الغرناطي الاستيطان . ولد ببلنسية او بشاطبة ليلة السبت عاشر ربيع الاول سنة ٥٤٠ او سنة ٥٣٩ هـ ، وتوفي بالاسكندرية ليلة الاربعاء التاسع او السابع والعشرين لشعبان سنة ٦١٤ هـ ، وكان اديبا بارعا ، شاعرا مجيدا ، سري النفس ، كريم الاخلاق ، من علماء الاندلس بالفقه والحديث .

وتتألف مصنفاته من رحلته ، وشعره ، وكان له مجلد من الشعر على

قدر ديوان ابي تمام ، وجزء في رثاء زوجته ام المجد سماه « نتيجة وجد الجوانح ، في تباين القرين الصالح » وجزء اخر في شكوى الزمان والاصدقاء سماه : « نظم الجمان في التشكي من اخوان الزمان ». وقال ابو الحسن الشاري عن رحلته : « انها ليست من تصانيفه ، وانما قيد معاني مـــا تضمنته ، فتولى ترتيبها وتنضيد معانيها بعض الاخذين عنه على مـــــا تلقاه » . وكتب في سبتة لابي سعيد عثمان بن عبد المؤمن ، وبغرناطة لغيره من ذوي قرابته ، وله فيهم امداح كثيرة . وقيل عن شعره ونثره : « نظمه فائق ، ونثره بديع ، وكلامه المرسل سهل حسن واغراضه جليلة ، ومحاسنه ضخمة » . ولا زال بعض شعره ونثره باقيا في الكتب التي ترجمت له ، وهو شعر علماء وفقهاء ليس ذي قيمة كبيرة ، ونثره أجمل من شعـره .

ولم يقم ابن جبير برحلة واحدة ، بل بثلاث رحلات .

العرب ـ تاريخهم بين الوحدة والتفرقة

تأليف المحامي محمود كامل ـ ٤٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ المطبعة العالمية بالقاهرة

قال المؤلف الكريم في الكلمة التي قدم بهـا كتابه الجليـل الى القـراء :

العرب ـ بعد التطور التاريخي الطويل في الالاف السبعة الاخيرة من تاريخ العالم أي منذ العصر الحجري القديم ـ هم ذلـك الجنس « السامي » الذي يقطن شبه الجزيرة العربية وابناء عمومتهم الجنس « الحامي » الذي يسكن شمال افريقية والذي امتزج على مدى ذلك التطور التاريخي بالجنس السامي امتزاجا تاما فكونا من الجنسين جنسا واحدا يطلق عليه ابليوت سمث Elliot Smith اسم « الجنس الاسمر » كما يطلق عليه سيرجي Sergi اسم « الجنس الابيض المتوسط » . ويرى نفس الاستاذ ان هجرات من هذا الجنس قد عبرت الابيض المتوسط على البرازخ التي كانت تصل في العصرين الحجري القديم والحديث شمال افريقية بجنوب اوروبة من جبل طارق وجزيرة صقلية .

ولم ينته « ابليت سميث » و « سيرجي » الى هذه النتيجة الا بعد استبعاد تقسيم الجنس البشري الى الاقسام التقليدية القديمة ، أي الى آريين وساميين وحاميين . وكان هذا الاستبعاد على اساس ان هـذه التفرقة ـ من الوجهة العلمية ـ انما هي تفرقة بين اللغات لا بين الاجناس .

والعرب يشغلون حيزا من الكرة الارضية يقع بين المحيط الهندي وخط الاستواء جنوبا والخليج الفارسي وايران شرقا وجبال طوروس وساحل البحر الابيض المتوسط الجنوبي شمالا والمحيط الاطلسي غربا وهي مساحة شاسعة تقرب من مساحة الولايات المتحدة الامريكية ولكنهم موزعون فيها على دول ـ ممالك وجمهوريات وسلطنات واقطار محمية ومناطق تحت الادارة الدولية ومستعمرات ـ يبلغ عددها نحو الستين ومع ذلك فهي جميعا متجاورة متلاصقة لا تكاد تفصل بين الواحدة والاخرى حواجز جغرافية ، وتربط بين رعاياها منذ عصور ما قبل التاريخ وشائج من المصالح الاقتصادية ، والوحدة الثقافية . وتجمع بين حكوماتها منذ فجر التاريخ ، في فترات متلاحقة ، اشكال مختلفة من الوحدة السياسية بل انها في أكثر من عهد بدت جميعا دولة واحدة . وقد تكلم هـؤلاء العـرب ـ في شبه الجزيرة العربية ـ لغة سامية تنبع من اصل واحد وان اختلفت بعض لهجاتها . وهذا « الجنس الاسمر » او هذا « الجنس الابيض المتوسط » قد اتبع ابجدية تنبع من اصل واحد ، اذ ان مارتن سبرلنج Martin Sprengling يرى ـ ويجاريه في ذلك كثيرون ـ أن الابجدية السينائية ـ وهي ابجدية نقلت فكرة التدوين من الهيروغليفية ـ قــد انتقلت الى سورية وشبه جزيرة العرب ، ومنها نشأت الابجدية الفينيقية السامية ، التي هي اصل الابجديات السامية ومنها العربية ، وكان ذلـك منذ اوائل الالف الثانية قبل الميلاد اي منذ حوالي ١٨٥٠ قبل الميلاد .

واقدم ذكر للعرب ـ اكتشف حتى الان ـ ثابت في نقش يعود الى الملك الاشوري شلمنصر الثالث الذي اراد في عام ٨٥٤ ق.م. ان يضم منطقة دمشق الى دولته ، أي الى العراق ، اذ اشير في بيان تنصيل هذه الحملة الى الشيخ « العربي » الذي كان حليفا لملك « ارام » أي دمشق .

وهؤلاء العرب قد عرفوا بهذا الاسم ، على انهم اهل شبه جزيرة العرب والجزء الشرقي من وادي النيل في مصر في الادب الاغريقي ، اذ ذكرهم هيرودوتس (٤٨٤ ـ ٤٢٥) بهذا الاسم وبهذه الصفة أي منذ نحو ٢٥٠٠ عـام .

وهؤلاء العرب اتخذوا في الكتابة خطا واحدا ثبت علميا انه يعود ، على الاقل ، الى القرن الخامس قبل الميلاد ، الى نحـــو ٢٥٠٠ عام ، و « المسند » هو خط الحميريين في جنوب شبه الجزيرة العربية الذين نشأت دولتهم في عام ١١٥ قبل الميلاد قد استعمله من قبلهم السبأيون الذين نشأت دولتهم حوالي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد . وقد تجاوز هـــذا الخط شبه الجزيرة العربية الى مصر فعثر في قنا على كتابة بهذا القلم ، كما عثر في الجيزة على كتابة اخرى تعود الى عهد بطليموس بـن بطليموس أي الى القرن الثالث قبل الميلاد .

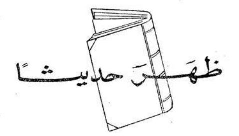
هؤلاء العرب ، الان ، هم الذين ينتمون الى :

المملكة المتوكلية اليمنية ، مستعمرة عدن « البريطانية » ، محميات عدن الغربية « البريطانية » ، محميات عدن الشرقية « البريطانية » ، حضرموت « حماية بريطانية » ، سلطنة عمان « حماية بريطانية » وتتبعها ثلاث امارات ، امارة قطر « حماية بريطانية » امارة البحرين « حماية بريطانية » ، امارة الكويت « حماية بريطانية » ، امارات ساحل الصلح البحري « حماية بريطانية » ، المناطق المحايدة على الخليج الفارسي . مملكة العراق ، المملكة العربية السعودية ، جمهورية سورية ، جمهورية لبنان ، المملكة الاردنية الهاشمية ، جمهورية مصر ، السودان ، المملكة الليبية المتحدة ، تونس ، الجزائر ، سلطنة مراكش ، مراكش الخليفية ، ممتلكات اسبانيا بشمال افريقية ، طنجة « تحت الادارة الدولية » .

أي ان مجموع عددهم ـ طبقا لاخر الاحصائيات ـ يبلغ نحو ٧٨ مليون عربي .

هؤلاء هم العرب . الذين وصفهم بعض المؤرخين الامريكيين المحدثين بانهم « سبق لهم ان قادوا العالم في مرحلتين طويلتين من مراحل التقـدم الانساني طوال الفي سنة على الاقل قبل ايام اليونان ثم في العصور الوسطى مدة اربعة قرون تقريبا وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من ان تقود العالم ثانية في المستقبل القريب او البعيد . »

وهؤلاء العرب هم الذين احاول في القسم الاول من هذا الكتاب ـ لكي يستوفي هذا البحث المتشعب كيانه العلمي بقدر الامكان ـ ان اتحدث عن تاريخهم وان اعنى في هذا القسم بابراز الفترات التي تحققت فيها وحدتهم ، على ان يكون القسم الثاني منه عن اسباب الفرقة بين العرب التي فتت في عضد تلك الوحدة ، وان اختم هذا الكتاب بتحليل وعي الوحدة العربية في القرن التاسع عشر ، كيف نشأ ، وكيف تطور ، وباستعراض المشاكل والصعاب التي تعترض هذه الوحدة في الوقت الحاضر وان التمس الوسائل لتحقيق هذه الوحدة ، وان استهدف التطور الطبيعي الذي يجب ان تمر فيه هذه الوحدة لكي تكتمل لها الاشكال العلمية المرجـوة .



● فن الادب ـ اضواء على الادب الغربي ـ ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة ـ ١٧٦ صفحة ـ منشورات دار الكاتب العربي بيروت ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● بواتق وانابيق ـ قصة الكيمياء ـ تاليف برنارد جافي ـ ترجمها وقدم لها ، وعلق عليها الدكتور احمد زكي مدير جامعة القاهرة سابقا عضو مجمع اللغة العربية ـ ٥٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات وطبع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة .

● احلام المهندسين ـ تأليف ويلي لي ـ نقله الى العربية وصدر له المهندس الدكتور محمد احمد سليم استاذ الري بكلية الهندسة بجامعة القاهرة والمهندس احمد علي فرج وكيل تفتيش الري بوزارة الاشغال العمومية ـ ٢٥٠ صفحة حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات وطبع دار المعارف بمصر .

● فلسفة لايبنتز ـ مع ترجمة المونادولوجيا ورسائل اخرى ـ تأليف الدكتور جورج طعمة ـ ١٧٤ صفحة ـ منشورات دار الثقافة بيروت ـ مطابع دار العلم للملايين بيروت .

● مباهج الفلسفة ـ الكتاب الثاني ـ تأليف ول ديورانت ـ ترجمة الدكتور احمد فؤاد الاهواني ـ ٣٢٥ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● القضية الفلسطينية ـ تأليف اكرم زعيتر ـ ٣١٩ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات وطبع دار المعارف بمصر .

● الطفل والوراثة ـ كتاب رقم ٧ من سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ تاليف برنيس ل. نيوجارتن ـ ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ مدرس علم النفس بمعهد التربية العالي للمعلمين بالاسكندرية ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي عميد معهد التربية العالي للمعلمين بجامعة عين شمس ـ ٩٤ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● معلم وبطحة ـ تأليف شفيق الفقيه ـ ١٦٠ صفحة ـ مطبعة الاتحاد بيروت .

● تعاون الاباء والمدرسين ـ الكتاب رقم ٨ من سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ تاليف ايفا جرانت ـ ترجمة الدكتور محمد نسيم رافت المدرس بمعهد التربية العالي للمعلمين بجامعة عين شمس ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ٩٢ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● اغاني الغابة ـ مجموعة شعرية ـ لموسى النقدي ـ مع مقدمة بقلم عبد الوهاب البياتي ـ ٦٧ صفحة ـ مطبعة دار المعرفة ببغداد .

● ثورة العبيد ـ قصيدة طويلة ـ لمصطفى الحبيب بحري ـ ١٦صفحة ـ مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم بتونس .

● نفوس وضيعة ـ مجموعة قصص ـ تأليف فرحان عبد الوهيب ـ ٥٦ صفحة ـ مطبعة النجاح ببغداد .

● التربية الاجتماعية للاطفال ـ الكتاب رقم ٩ من سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ تاليف اليس ويتزمان ـ ترجمة الدكتور فؤاد البهي السيد مدرس علم النفس بمعهد التربية العالي للمعلمين بمصر ـ تقديم واشراف الدكتور عبد العزيز القوصي أستشار الفني لوزارة التعليم بمصر ـ ١٠٢ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة مصر بالقاهرة.

● الخدمات الاجتماعية في العراق ـ تأليف محمد البريفكاني ـ ٨٠ صفحة ـ مطبعة شفيق ببغداد .

● الشكليات وروحها في الاديان ـ تأليف واصف البارودي ـ مع تصدير بقلم محمد عمر الداعوق رائد جماعة عباد الرحمن ـ ٤٠ صفحة ـ منشورات عماد الرحمن ـ مطبعة العباد بيروت .

● سقوط بغداد بيد « هولاكو » قصيدة طويلة ـ ٢٦ صفحة ـ و٧ صفحات تعقيب ـ لابراهيم عبد الرحمن الخال ـ مطبعة دار المعرفة بغداد .

● العمة لؤلؤة ـ مقالات ادبية ـ بقلم مهدي جاسم ـ ٦١ صفحة ـ مطبعة فارس بطهران .

● حق الناس في التربية والتعليم في العالم الحاضر ـ تأليف جان بياجيه ـ ٥٦ صفحة ـ من سلسلة « حقوق الانسان » الصادرة عن اليونسكو ـ منشورات اليونسكو ـ مطبعة الشركة الشرقية للاعلانات بالقاهرة .

● الناطقون بالضاد في امريكا الجنوبية ـ تأليف البدوي الملثم ـ الجزء الاول ـ ٥٣٣ صفحة ـ الجزء الثاني ـ ٢٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ مزين بالصور ـ مطابع دار ريحاني للطباعة والنشر بيروت .

● الديمقراطية ـ تأليف محمد مزالي صاحب مجلة الفكر التونسية ـ سلسلة كتاب البعث رقم ٦ ـ ١١٦ صفحة ـ مطبعة الترقي بتونس .

● منتخبات من قصائد فكتور هوغو ـ ترجمة محمد توفيق وردي عن الفارسية ـ ٤٦ صفحة ـ مطبعة دار المعرفة ببغداد .

● سبيلك الى الصحة ـ الكتاب رقم ١٠ من سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ تأليف ج. روزويل جالجر ـ ترجمة الدكتور سعيد عبده الاستاذ بكلية الطب بجامعة القاهرة ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ٩٢ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● ... ومن الضحايا ـ تاليف محمد العروسي المطوي عضو نادي القلم بتونس ـ الكتاب رقم ٧ من سلسلة كتاب البعث ـ ٩٦ صفحة ـ مطبعة الترقي بتونس .

● Sténogrammes — Le troisième Livre des Poèmes — par Jean Mariabère — 102 pages — Editions C.L.M. à Casablanca — Imprimeries Réunies à Casablanca — Maroc.

● Poèmes du Miracle d'Exister — par Georges Linze — 64 pages — Editions Anthologie, Liège Belgique — Imprimé par la S.I.R.E.C., Liège Belgique.

● Ballet — Poèmes — par Raymond Schaltin — Hors texte de Paul Raffy — 47 pages — Editions Subervie à Rodez.

في كلمات ...

● تبين للعلماء الاميركيين الذين يعملون في معهد الصحة الاميركي ان فيروس الرشح العادي يؤثر على خلايا السرطان اذا ما حقنت به . فقد عكف هؤلاء العلماء على معالجة ٣٢ امرأة مصابة بالسرطان ببعض انواع الفيروسات التي تسبب الرشح وغيره من الامراض التنفسية فاتضح ان هذا الفيروس يؤثر في خلايا السرطان تأثيره في غشاء الانف الداخلي عند حدوث الرشح .

وبعد ان ظهرت جدوى هذه الطريقة في مكافحة السرطان شرع اطباء المعهد الوطني للسرطان والمعهد الوطني للامراض المعدية في اجراء ابحاث خاصة تجعل من هذا الفيروس عنصرا هاما في المعالجة . ويقول التقرير الذي وضعوه بهذا الشأن بانه امكن تحديد المشكلة اكثر منه حلها وانه على العلماء المعنيين بهذا الحقل اليوم ان يجهدوا انفسهم في تحسين الوسائل الفنية التي يتمكنون معها من صنع مقادير كبيرة من هذه الفيروسات وتركيز فعاليتها في مكافحة السرطان قبل ان تتم له المناعة اللازمة ، كذلك على هؤلاء العلماء ان يمتنعوا عن تزويد جسم المصاب بالسرطان بالعقاقير المضادة للفيروس .

ومن بين النساء الاثنين والثلاثين المصابات بالسرطان اللواتي تمت معالجتهن بهذه الطريقة بفيروس الرشح ست بينهن اصيبت انسجة السرطان فيهن بضمور وفي ١٧ منهن ظهر بعض التأثير واضحا في الانسجة الموبوءة بالسرطان بالنسبة للانسجة السليمة الحية . وفي ست منهن ظهرت عليهن بوادر من التلف في الانسجة تثير الشك حولها وتحويل دون القطع في امرها .

● جاء في الجريدة الطبية البريطانية ان واحدا في كل احد عشر شخصا من مدمني التدخين يموت بسرطان الرئة .

وتستند الارقام التي اوردت الى اجوبة على اسئلة عرضتها الجريدة على اثنين من الاختصاصيين هما البروفسور برادفورد هل استاذ الاحصاءات الطبية في مدرسة العلوم الصحية في لندن والدكتور دل عضو وحدة التنقيب الاحصائي في المجلس الطبي البريطاني .

ويقول الاختصاصيان ان تقريرهما بني على السجل التدخيني لـ ١٣٥٧ مصابا بسرطان الرئة وعلى احصاء الوفيات لسنة ١٩٥٠ .

● اذاع راديو موسكو حديثا للبروفسور لاريونوف عضو مجمع العلوم الطبية ينصح فيه مستمعيه بالامتناع عن التدخين وعن تناول الحساء الساخن .

وقال البروفسور ان تناول الحساء الساخن جدا يعرض المعدة للاصابة بالسرطان كالتدخين

● اعلنت قيادة الجيش الاميركي عن تحسين اختراع لقاح جديد مؤهل لان يخفف عدد الاصابات بالحميات التنفسية الحادة مثل الوافدة والنزلة الصدرية واحتقان الحلق والاصابات بالبرد

● اعلن طبيبان اميركيان في بوسطن ان التدخين لا يضر اجهزة التنفس في الاشخاص الاصحاء ، بل انه قد يساعد هذه الاجهزة في اداء عملها ، ولكنه على العكس من ذلك يحدث اضرارا بالغة للاشخاص الذين يعانون بالفعل امراضا في الرئة او القلب .

● تبنت جامعة كيوشو نظرية لاستاذ ياباني مفادها ارتباط نمو الاسنان في الاطفال بنموهم العقلي .

ويقول البروفسور سابورو شوتشي من جامعة فاكيوكا انه درس خلال العام الماضي حالة اكثر من ١٦٣٠٠ طفل فتبين له ان الاطفال الذين لا يحظون باسنان جيدة النمو متاخرون عقليا بالاضافة الى اضطراب نموهم الجسماني .

● اعلن معهد الاحصاء الوطني في باريس ان الكحول بدأت تقتل عددا من الفرنسيين اكثر مما يقتله داء السل . وقال المعهد ان ١٧٤٠٠ فرنسي توفوا في العام الماضي ، من الادمان على الكحول وتحجر الكبد الذي ينتج عن ذلك بينما توفي حوالي ١٣٣٠٠ شخص بالسل .

وقبل خمس سنين ، كان السل يودي بحياة ٢٦ الف شخص سنويا بينما كان عدد ضحايا الكحول اقل من نصف هذا الرقم .

● أعلنت ادارة سجن ولاية اوهايو بامريكا ان ٩٦ سجينا لبوا نداء مؤسسة علمية لتجري فيهم بعض التجارب العلمية المتعلقة بداء السرطان وكانت هذه المؤسسة قد طلبت ٢٥ شخصا وقال رئيس السجن ان طبيب السجن سيختار حوالي اثني عشر شخصا لتلقيح كل منهم بخمس من خلايا السرطان . وتنطوي هذه العملية على مخاطرة كبيرة بالحياة .

● استطاع طلاب كلية الاسنان في طوكيو ان يصنعوا اسنانا من مادة النايلون ، تعتبر من افضل انواع الاسنان الصناعية التي تركب والتي صنعت حتى الان .

● توصل الدكتور فنسنت اوكونور استاذ المسالك البولية بجامعة نورث وسترن الى اشتقاق عقار من مادة الكلورين لمعالجة التهاب المرارة ويدعى العقار الجديد كلوروباكتين Chlorapactin وقد اعطى هذا العلاج نتيجة باهرة في حالات مزمنة .

● افتتح في واشنطن مؤتمر صحي حضره اكثر من ٥٠٠ عالم وطبيب من ٢٦ بلدا وفدوا الى الولايات المتحدة الاميركية لعقد ندوة دراسية حول الامراض الزهرية وغيرها من الامراض .

وفي الجلسة الافتتاحية القى الدكتور سميث رئيس دائرة الامراض الزهرية الاميركية كلمة قال فيها : انه على الرغم مما احرزه الطب من تقدم عظيم الا ان ما يقاسيه بنو البشر من الام صادرة عن الامراض الزهرية وما تسببه من خسائر اقتصادية ما تزال تؤلف عبئا ثقيلا على العالم .

● قضى ماكس بونتي اربع سنوات في الدروس والاستقصاء ليكتشف مصلا واقيا ضد لدغة الافعى .

وقد تم له اخيرا ما اراد ووفق الى اكتشاف المصل المنشود فلقح نفسه به وبعد خمسة عشر يوما أتى بثلاث حيات سامة فلدغته امام جمهور كبير من النظارة ، ولم يظهر على الرجل اي أثر للتسمم .

● اخترع اختصاصي الاذن الاميركي المشهور هوبراك طريقة لمعالجة بعض حالات الصمم بواسطة آلة توضع في داخل الاذن .

ويقوم الاختراع باستبدال طبلة الاذن بقطعة من المطاط واستبدال سلسلة الاذن العظمية بعصا صغيرة توضع في وسط الطبلة الاصطناعية

● نشرت المجلة البريطانية ــ العالم الطبي ــ القصة الكاملة التي حدثت لرجل توفي متأثرا باشعاعات القنبلة الهيدروجينية . وتصف القصة للاطباء موت ايكيشي كوبوياما ــ من اليابان ، بعد ان فجرت الولايات المتحدة قنبلة هيدروجينية على جزيرة بيكيني في اول مارس سنة ١٩٥٤ .

كان كوبوياما عاملا في اللاسلكي على متن الباخرة اليابانية ــ فوكورويو مارو ــ التي كانت بعيدة جدا عن منطقة الخطر كما حددتها السلطات الاميركية وبعد الانفجار ببضع ساعات اخذ الغبار الاشعاعي يتساقط على الباخرة اليابانية وكان كوبوياما من اكثر الذين تعرضوا له . وقد أصيب وجهه بجراح من جراء تعرضه للغبار وشفي منها في اثناء اقامته في المستشفى لكنها تركت اثارا بيضاء وسمراء .

وفي ابريل بعد مرور شهر على التفجير تبين ان كريات الدم البيضاء التي تحارب الالتهاب قد تدنت الى الثلث بينما توقف جهازه الجسدي عن صنع كريات الدم البيضاء والحمراء وقد جرى له عدد كبير من عمليات

نقل الدم . وكان يتلقى بصورة مستمرة تقريبا كميات البنسلين والستربتومايسين وغيرهما من المواد القاضية على الجراثيم وذلك لمساعدته في محاربة الالتهاب .

وفي اواخر شهر يونيو اصيب كوبوياما بمرض اليرقان واخذ لونه يزداد اصفرارابطء مما دل على ان الكبد قد تضرر من جراء الذرات الاشعاعية التي امتصها . وفي سبتمبر انتفخت مفاصله وبطنه ثم اخذت رئتاه تمتلئان بمواد سائلة . ونتج عن ذلك اصابته بالتهاب رئوي ادى الى وفاته في ٢٣ سبتمبر . وجدير بالذكر ان جسم كوبوياما كله اصبح مغطى بالذرات الاشعاعية المميته والمولدة للسرطان .

ولقد عاش اكثر من مئتي يوم خلافا لمصير ضحايا هيروشيما وناغازاكي الا ان ذلك يعود الى العناية الطبية الفائقة التي احيط بها .

● بينما كان العالم الفرنسي الكبير بروفسور جيللس اسكلانجون وهو من اكبر علماء فرنسا المتخصصين في الكهرباء يقوم بالقاء محاضرة عملية عن خصائص اشعة اكس امام ٣٠٠ طلبة من طلبة جامعة باريس ، لمست يده خطأ سلكا كهربائيا عاريا قوته ٤٠ الف فولت فسقط صريعا ومات لتوه قبل ان يحاول مساعده وقف التيار الكهربائي .

● توفي الاستاذ والتر كوسل في المانيا وقد رحلت بوفاته اكبر شخصيات عالم الطبيعيات .

● صرح الدكتور جورج شفيتزر استاذ الكيمياء الذرية في جامعة تنسي واحد اعضاء فريق العلماء الذين يقومون بالابحاث في مركز اوك ريدج الذري ان باستطاعة الانسان الان ان يدمر العالم باسره بعمل واحد هو تفجير قنابل من الكابالت موضوعة في نقاط استراتيجية مختلفة بان واحد واكد العالم ان سقوط الجزئيات الذرية الشعة الناتجة عن انفجار قنبلة بالكوبالت تجعل مساحة ٢٦٠٠٠ كلم مربع غير صالحة للسكن . ثم قال اعتقد ان هذه رسالة من الله واعتقد انه يبعث الينا بتحذير وانه على وشك اصدار حكم على بلدنا او على العالم .

● فجرت بريطانيا قنبلة ذرية في جزر مونتيبيلو باوستراليا في ١٦ مايو الماضي وكان المراسلون على متن كاسحة الالغام فريمانتل يشاهدون التجربة على بعد ١٢ ميلا من مكان الانفجار . وقد شعروا بهزة خفيفة احدثتها موجة كانت قد فقدت قوتها عندما وصلت الى الباخرة ، وذلك بعد ٦١ ثانية من الانفجار .

وقد تبخر البرج الفولاذي الذي كان هذا السلاح الذري قائما عليه . ويقول الخبراء الذين شاهدوا اول تجربة ذرية اقامتها بريطانيا سنة ١٩٥٢ في جزر مونتيبيلو ان هذا التفجير الاخير كان اصغر منه في التجربة الاولى .

وقد فجر السلاح قبل نصف الليل باربع ثوان . وشعر المراسلون بوميض كهربائي عنيف ، على الرغم من ان عيونهم كانت مغمضة وشعروا بحرارة على رقابهم ، تفوق حرارة ثماني شموس متاججة . وبعد ان عدوا الى الثمانية عقب الانفجار ، اداروا وجوههم وشاهدوا غيمة ذات لون رمادي ازرق بشكل طاسة مقلوبة بلمعان نحاسي مؤذ ، كأنها كومة من نار اخذت تخمد . وبعد انقضاء ٦١ ثانية سمع المراسلون ضجة هزت كاسحة الالغام

وبعد الانفجار بسبع دقائق شعرت مدينة اونسلو بصوت يشبه صوت الرعد وهزة خفيفة في رصيف الميناء . وكانت قاذفات القنابل النفاثة البريطانية تطير على علو شاهق لتأخذ عينات من الغيوم الذرية .

والمعروف ان الانفجار البريطاني الاول جرى سنة ١٩٥٢ على سفينة حربية قديمة ارسيت في الجزر ، فاستحالت السفينة الى غبار ودمرت منطقة حولها تبلغ مساحتها ١٤ ميلا مربعا .

● صرح البروفسور مارتن رئيس لجنة الوقاية من الخطر الذري بان الاسماك والفيران لا تزال حية في جزيرة تريمولا حيث فجرت بريطانيا القنبلة الذرية .

● يقول المراقبون الذين شاهدوا التجربة النووية في جزر مونتيبيلو ، ان بريطانيا قد تكون على وشك تحقيق جهاز للدفاع ضد القنبلة الذرية .

ويعتقد هؤلاء المراقبون ايضا بان التجربة كانت اختبارا لسلاح عسكري صغير الحجم يمكن استعماله كمستودع الانفجار في القذائف المسيرة الدفاعية ويرون ان الغاية من التجربة لم تكن اظهار ما يستطيع هذا السلاح عمله ، بل اظهار ما لا يستطيع ان يعمل .

وقد استند المراقبون في اعتقادهم هذا الى التناقضات التي لمسوها في اثناء التجربة .

فلم يعمد المسؤولون الى انشاء الابراج لاختبار قوة السلاح .

وقد اكتفى بتسجيل نتائجه على اجهزة علمية فقط .

وكان التفاعل الذري للسلاح صغيرا نسبيا كما انه تلاشى بسرعة . وهذه المزايا ضرورية للاسلحة الدفاعية التي سيجري تفجيرها عادة قرب اي مكان مأهول تدافع الجيوش عنه .

وقد فجر سلاح مونتيبيلو على بعد مئة ميل تقريبا من بلدة اونسلو الساحلية ، وعلى بعد ١٢ ميلا من البحارة الذين كانوا في عملية التفجير دون ان يتخذوا اية تدابير وقائية .

ومن المعتقد ايضا ان العلماء كانوا على مسافة اقرب من البحارة وكانوا في ملاجيء من الاسمنت في جزيرة هرمايت المجاورة .

● فجرت الولايات المتحدة الامريكية قنبلة هيدروجينية في ٢١ مايو الماضي من ارتفاع عشرة الاف قدم وتقدر قيمتها بما يزيد على عشرة ملايين طن من مادة (ت ن ت) المتفجرة .

● صرح متحدث بلسان مكتب الارصاد الجوية في طوكيو بانه وقعت هزات ارضية خفيفة وعلت امواج البحر في اليابان على

ثر انفجار القنبلة الهيدروجينية الامريكية وهذه هي المرة الاولى التي تحدث فيها هزات رضية على اثر انفجار ذري .

● يبدو ان تجربة ذرية جديدة قد جرت في الاتحاد السوفياتي فقد سجل علماء الاحوال الجوية اليابانية تغيرا في الضغط الجوي في الطبقات العليا دام اكثر من ٣٠ دقيقة ، وقد شعرت بذلك جميع مراكز رصد الاحوال الجوية في هيديكو وكيوشيو ، وهيروشيما . فهم ان الانفجار كان عنيفا جدا ولكن نتائجه لم تعرف بعد .

● اعلن الكسندر زنشوك السكرتير الاول للسفارة الروسية بواشنطن امام فريق من رجال الاعمال الاميركيين ان الاتحاد السوفياتي يصنع بالوقت الحاضر قاطرة تسير بالطاقة الذرية . واكد زنشوك ان السفينة كاسرة الجليد هي قيد الدرس .

● صرح مصدر يمني رسمي في القاهرة ان اعمال التنقيب التي تجريها احدى البعثات الاميركية في بلدة صوفان شرقي مأرب، كشفت عن وجود كميات من الاورانيوم . وصوفان قريبة من صنعاء .

وقد دعت الحكومة اليمنية بعض علماء الجيولوجيا لاجراء دراسات في المنطقة ولكن لم تعقد اي اتفاق بشأن التنقيب عن هذه المادة الثمينة . وهناك من يعتقد بان الاورانيوم موجود في عدة انحاء اخرى من اليمن ، خصوصا في منطقة مأرب .

● اختتم في موسكو، مؤتمر فيزياء الجزيئات العالية الطاقات الذي عقدته شعبة العلوم الفيزيائية والرياضية التابعة لاكاديمية العلوم السوفياتية في الشهر الماضي وقد القي في المؤتمر اكثر من ١٢٠ تقريرا واشترك فيه اكثر من الف عالم سوفياتي و٨٠ عالما اجنبيا . وساعد المؤتمر على توضيح عدة من قضايا الساعة في الفيزياء النووية المعاصرة .

● يجري الاستعداد في بيكين لافتتاح معرض علمي وتكنيكي سوفياتي لاستخدام الطاقة الذرية في الاغراض السلمية . ويعطي المعرض فكرة عن استخدام المواد الاشعاعية في الصناعة والطب والكيمياء والزراعة وغيرها من فروع الاقتصاد الوطني ، والعلم والتكنيك .

● تقول صحيفة بافالو ايفننغ نيوز انشركة بيل للطيران قد اجرت تجربة على طائرة صاروخية تسير بسرعة الفي ميل بالساعة . وقالت ان التجربة قد سجلت نجاحا كبيرا وضربت جميع الارقام السابقة في السرعة .

● يؤكد الدكتور ويلارد لبي اعتماد الصناعة والزراعة المتزايد في اميركا على النظائر الذرية بالنظر للفوائد المحسوسة التي تؤمنها لها . ومن المحتمل في نظر الدكتور لبي عضو اللجنة الاميركية الذرية ان تنافس هذه النظائر مع الوقت ، الطاقة الذرية نفسها في توليد الكهرباء فتهبط على الانسان بركة جديدة . وتستعمل هذه النظائر اليوم بكميات عظيمة وبكلفة بسيطة ويدرس العلماء وجوه جديدة للانتفاع بها الى ابعد حد .

ويرى لبي ان استعمال هذه النظائر يعود على الصناعة اليوم بوفر لا يقل عن مائة مليون

دولار في السنة وذلك بفضل ما ادخلته من التحسين والتطوير على التطبيقات الصناعية . ومن المتوقع ان تتضاعف في القريب العاجل المبالغ التي امكن توفيرها في الماضي . وهو يعتقد ان ما تحققه هذه النظائر من التوفيرات في حقول الزراعة والمواد الغذائية لا يقل في السنة عن ٢١٠ ملايين دولار . والابحاث العلمية التي اجريت على النظائر الذرية قد وسعت كثيرا مدى استعمال المخصبات والاسمدة الزراعية كما انها مكنت المزارعين من الحصول على مواد غذائية اقوى على مقاومة الامراض والاوبئة التي كانت من قبل عرضة لها . وستلعب هذه النظائر دورا حاسما في صيانة المواد الغذائية في المستقبل القريب فتوفر على من يعنون بهذه الصناعة مبالغ طائلة من هذا القبيل .

● اجاب دماغ الكتروني اسمه « ديوس » وبلغت تكاليفه ٤٢،٠٠٠ جنيه استرليني بقوله — كلام فارغ — على سؤال حول أي يوم من ايام الاسبوع كان تاريخ التاسع والعشرين من شهر فبراير من السنة الماضية . وهذا هو الجواب الوحيد الذي يقدمه الدماغ على كل سؤال سخيف . وقد امتحن بعض الصناعيين والعلماء عمل هذا الدماغ فيمختبر الفيزياء الوطني في تادنغتون القريبة من لندن . وتمكن الدماغ من حساب العدد الاصغر المشترك لعددين في جزء من خمسمئة من الثانية كما ادلى باسماء الايام التي تقع فيها تواريخ معينة . وقال الدماغ مثلا : ان اليوم الاول من شهر يناير سنة ١ بعد الميلاد كان يوم السبت . ولما كان احد من الموجودين لا يعلم ما اذا كان هذا صحيحا ام لا فقداضطر الجميع الى تصديقه .

● تم اخيرا في ايطاليا صنع قطار يعد من اسرع القطر واحدثها ، فطوله ١٦٥ مترا ويحمل ١٧٠ راكبا ويسير بسرعة ١٧٥ كيلو مترا في الساعة وقد جهزت كل مركبة في القطار بحمام ، وبار وغرفة مطالعة وصالون

● انجزت شركة هوفمان مكنسة هي اكبر ما عرف من نوعها للان تستعمل في تنظيف مهابط الطائرات الصاروخية وقد جرى عرض الكانسة الجديدة في مطار فرند شب الدولي بالقرب من بلتيمور بولاية ماريلاند وترجح الشركة ان يؤدي هذا الاختراع الى توفير ملايين الدولارات في السنة كانت تصرفها صناعة الطائرات على صيانة المحركات. وتركب الكانسةفوق سيارة وتسيرعلى مهابط الطائرات تكنس ما عليها من المسامير الفالتة والحصى وغير ذلك من الاجرام الضارة بالمحركات الطوربينية في الطائرات الصاروخية . ولهذه المكنسة من القوة ما لـ ١٢٠٠ مكنسة كهربائية مما يجري استعمالها في المنازل .

● أتم مصنع بريطاني صنع كوخ يعبأ بالهواء المضغوط يمكن ان يقوم بحمله رجلان ويساعد على نصبه رجل واحد وهذا الكوخ تبلغ مساحة ارضه ٣٠ قدما طولا و١٩ قدما عرضا واقصى ارتفاعه ٩ اقدام وبتمكن من ايواء ٣٠ رجلا وهو يصلح ايضا لاغراض اخرى . ومن الجدير بالذكر انه ثابت تماما ضد الرياح الشديدة ولا تخترقه الامطار .

● انتهت شركة جنرال الكتريك من صنع مختبر لاختبار محركات الطائرات الصاروخية التي تفوق سرعتها سرعة الصوت وهو اتقن واحدث مختبر من نوعه في العالم اليوم .

وهذا المختبر من شانه ان يساعد الشركة على حل المشاكل والعقبات الميكانيكية والمعدنية الناجمة عن الحرارة العالية ، والسرعة الفائقة فيالطبقات الجوية فيما وراء الصوت . وباستطاعة المختبر ان يهيء ذات الحالات التي تصادفها طائرة نفاثة تسير بسرعة ٢٣٠٠ ميل في الساعة وهي سرعة تفوق سرعة الصوت بثلاثة اضعاف على علو ٦٠ الف قدم ١٨٠٠٠ متر .

● تقول شركة هيلر لصناعة طائراتالهليكوبتر انها قد صممت لسلاح الطيران الاميركي مروحة هليكوبتر يمكن تركيبها في الطائرات العادية فتمكنها من الارتفاع والهبوط عموديا . وتتحرك شفرات المروحة الدوارة بقوة الات مكبسية موضوعة في اطرافها . وهذا الجهاز كله ينكمش في الاجنحة عندما تصل الطائرة الى الارتفاع المطلوب .

ويقول المسؤولون في الشركة ان التصميم الجديد سوف يجمع بين الطيران العمودي للهليكوبتر وسرعتها المنخفضة ، وبين السرعة العالية والطيران البعيد المدى اللذين تمتاز بهما الطائرة ذات الجناح الثابت .

● يوجد لدى المؤسسة السمشسونية الاناول عقد من الماس الصناعي الذي انتجته شركة جنرال الكتريك في معاملها . وتقول الشركة ان احد مصانعها ينتج الان الماس الصناعي على نطاق تجريبي ضيق ، وقد تبدأ الشركة في الانتاج على نطاق تجاري في مستقبل قريب وتتنبأ الشركة بان يتفوق الماس الصناعي على الماس الطبيعي في الاستعمالات الصناعية .

● اتخذت الجمعية العمومية للهيئةالصحية العالمية في دورتها التاسعة برئاسة السيد باريزو ، قرارا بالاجماع بالغاء اللوائح الخاصة بالمراقبة الصحية على الحج الى مكة ابتداء من اول يناير ١٩٥٧ . ويرجع السبب في اتخاذ هذا القرار الى ان مركز الحجر الصحي الجديد في جدة اصبح الان مهيأ للاضطلاع بالاجراءات اللازمة لحركة نقل الحجاج على صورة مرضية .

● تلقت وزارة الاقتصاد السورية تقريرا مفصلا من الامانة العامة لجامعة الدول العربية ضمنتها تفاصيل وافية عن الثروة المعدنية في المملكة العربية السعودية ، وامكانيات استثمارها وافادة الوطن العربي الكبير منها .

● كان لاكتشاف — الزيت الحلو — فيحقل السفانية في العربية السعودية أثر كبير في تغيير مجرى عمليات — الزيت العادي — حيث ان الاول لا يحتوي على مادة — سلفايد الهايدروجين — وهي المادة السامة التي يجب عزلها من الزيت الخام قبل تصديره الى الخارج ، لذلك تقوم شركة الزيت العربية الامريكية الان ببناء خزان وتحويل خزانين خصيصا للزيت المستخرج من حقل السفانية وتبلغ سعة كل من هذه الخزانات ١٨٠،٠٠٠ برميل — هذا ويقدر المهندسون بان في استطاعة الخزانات المذكورة استيعاب أيزيادة قد تطرأ على الانتاج في المستقبل ، وسيبدأ قريبا مد شبكة الانابيب لايصال حقل السفانية بالخزانات ، ومن المقرر ان تنتهي عمليات مد الانابيب في اوائل ١٩٥٧ .

● وجهت مجلة سوفياتية كبرى انتقادات مرة الى البروفسور ترفيم ليسكنو العالم البوليجي السوفياتيوغيره منالعلماء لتسخيرهم الحقائق كي تنسجم مع نظرياتهم بتأثير عبادة ستالين . وقالت هذه المجلة وهي الحياة الحزبية ان القضايا العلمية في ظل حكم ستالين لم تكن تعالج بالوسائل والابحاث العلمية بل بالوسائل الادارية .

وضربت مثلا على ذلك التوصيات التي قدمها البروفسور ليسكنو بناء على تجارب جرت في احوال شتاء معتدل بان في الامكان زرع القمح في سيبريا . وقالت انه على الرغم من ان تنفيذ هذه التوصيات قد أتى بنتائج غير نافعة فان موظفي معهد الابحاث الزراعية في اومسك أيدوا الرفيق ليسكنو وتجاهلوا الحقائق الواضحة لكل ذي عينين واقاموا البرهان على ما يستحيل اقامة البرهان عليه .

وقالت : وكان من نتيجة ذلك ان الوف الهيكتارات من الاراضي التي زرعت قمحا في منطقة اومسك لم تنتج شيئا سنة بعد سنة . والمعروف ان البروفسور ليسكنو قد اقيل من رئاسة معهد العلوم الزراعية وبقي عضوا في اكاديمية العلوم .

● اختار علماء النبات بجامعة كاليفورنيا من بين اصناف الشعير المعالجة بالاشعة السينية، صنفا عيدانه قوية ، وذلك بغية تأصيله بشعير « هانشن » على امل انتاج نوع من الشعير

يستطيع مقاومة اضرار الرياح السامة ، ويصلح استنبات هذا النوع في منطقة ساحل الباسيفيكي في الولايات المتحدة او في غيرها من المناطق ذات المناخ والتربة المتشابهة .

● جاء في تقرير لعلماء الحشرات بكلية تكساس الزراعية والميكانيكية ان معالجة بذرة القطن بمبيد الحشرات الجديد المعروف باسم (مركب ٣٩١١) قد وقى نباتات هذه البذور من الاصابة بحشرات القطن ، كحشرة الـ « تريبس » والـ « آفيدس » ، وغيرهما ودام مفعول هذه الوقاية مدة ستة اسابيع من تاريخ طرح البذور ، حتى اشتد ساق هذه النباتات وتمكنت جذورها من الارض . بينما كثيرا ما كانت هذه الافات تقضي على النباتات او تضعفها في ظروف مماثلة .

● توصل علماء جامعة وايومنغ في جبال روكي الشمالية الى استيلاد سلالات جديدة من الدجاج لتربيتها في المناطق العالية .ويمتاز النوع الجديد - الذي اطلق عليه اسم « سكايلان وايت » - ببياض ريشه وسرعة نموه . ومع ان طيوره ليست كبيرة الحجم ، الا ان لحمها لذيذ الطعم جدا مما يجعلها قابلة للبيع باثمان مرتفعة . ومن اهم مميزات هذا النوع ايضا انه يبدأ في وضع البيض مبكرا كما انه يبيض بكثرة وخاصة في فصلي الخريف والشتاء .

● ذكرت الجمعية الجغرافية الوطنية في وشنطن ان الاسكيمو مع كونهم يولدون وينشأون على مقربة من الماء ، فانهم في الغالب لا يعرفون السباحة ، ولعل السبب في ذلك برودة المياه الشديدة .

● يعتقد رجال الفلك في وشنطن ان سور الصين الكبير هو البناء الوحيد الذي تستطيع عين الانسان رؤيته من القمر . ويبلغ طول السور ٢٠٠٠ ميل .

● يقول خبراء علم الحفريات النباتية والحيوانية ان نوعا من انسان ما قبل التاريخ عاش في سهول ايطاليا الوسطى قبل عشرة ملايين سنة . وقد ادلى الخبراء بهذا بعد ان فحصوا عظاما متحجرة اكتشفت اخيرا خلال عمليات التنقيب عن المعادن . ويأمل الخبراء في اكمال الهيكل العظمي لانسان ما قبل التاريخ لدى عثورهم على المزيد من هذه العظام.

● يعد متحف هارفارد للدراسات الحيوانية، عرض هيكل متحجر لوحش بحري ضخم هو الكرونوسورس وعمر عظامه نحو ١١٠ ملايين سنة . ويدرك المرء ضخامة هذا الوحش اذا عرف ان امتداد هيكله (بعد تركيب عظامه) يبلغ نحو ٥٠ قدما على اقل تقدير ، ابتداء من جمجمته ، وهي تسعة اقدام وذات ٨٠ زائدة شوكية الى طرف ذيله . ولعل هذا الوحش هو اضخم الزواحف البحرية التي سبق ان عاشت قديما . ويقال ان هذا هو الهيكل الوحيد الكامل للكرونوسورس الذي عثر عليه

● بينما كان عامل زراعي يقوم بحفر بعض الحقول قرب حيفا اذا به يعثر على قبور تعود الى عهد الهكسوس - الملوك الرعاة - الذين يعود تاريخهم الى خمسة الاف سنة كما عثر على بعض الاسلحة التي كانوا يستخدمونها . وقد اتخذت دوائر الاثار تدابير لاجراء عمليات ابحاث في المنطقة التي عثر فيها على هذه القبور .

● توصل مختبر وزارة الزراعة الاميركية لمنتجات الاحراج في ماديسون الى صنع نوع جديد من الخشب القوى بالورق له كثير من صفات انواع الخشب الممتازة . ومن مميزات النوع الجديد ايضا انه يقاوم الانتفاخ بسبب الرطوبة او الماء بنسبة تتراوح بين ٢٥ و٤٠ بالمئة .

● قال الدكتور هانس فريز ، عالم الاثار الهولندي ، انه وجد آثار مدينة مجهولة ، لها من العمر حوالي الفي سنة ، وذلك غرب بناما قرب حدود كوستاريكا . وكان الدكتور فريز قد عاد اخيرا من بناما حيث قضى اربعة اشهر. وقال الدكتور ان الاثار التي عثر عليها تدل على ان مدينة مستقلة تمام الاستقلال نشأت منذ عدة قرون في منطقة بناما وبلغت مرحلة عالية في التطور . وقال ان ادوات الزينة التي اكتشفها تشبه الى حد كبير الادوات الخزفية الصينية القديمة .

● اعلن متحف بروكلن انه حصل على رأس منحوت للملكة احد الفراعنة المصريين يعتقد بانه صنع قبل حوالي ٤٠٠٠ سنة .

وقد ابتاع السيد جوني خبير المتحف بالفن المصري الرأس في لندن وقال ان الملكة منحوتة بشكل أبي الهول .

● ذكر طياران من البحرية الامريكية انهما شاهدا على بعد ٤٠ ميلا غربي اواهو حين كانا محلقين فوق المحيط عمودا من الدخان يرتفع فوق المحيط بينما كانت صفحة الماء تأور بالرمال والكبريت .

والمعتقد ان هذه الظاهرة ثورة بركان تحت سطح البحر ، وقد شوهدت مثلها منذ تسعة اشهر على بعد ١٠٠ كلم شمالي شرقي النقطة

● اعلن الدكتور جيرار كويبر من مرصد يركز ان الدراسات الاخيرة اظهرت ان«اليوم» الواحد من ايام السيار «بلوتو» يعادل ستة ونصف من ايام الارض وذلك ابطأ مما ينبغي بالنسبة الى كوكب سيار حقيقي شديد البعد عن الشمس (يبلغ بعد بلوتو عن الشمس نحوا من ٣٦٨٠ مليون ميل) وهذا ما يؤيد شكوك العلماء التي اثارها من قبل ذلك الانحراف الغريب في مدار بلوتو . وينزع الدكتور كويبر الى اسقاط بلوتو الى مرتبة قمر من الاقمار - قمر كان في الاصل تابعا لنبتون ، الكوكب السيار المجاور ثم خرج على سلطانه .

● يكون المريخ في هذا العام الكوكب الساطع في الفضاء .. لانه سيقترب من الارض مسافة تبلغ ٣٥،١٢،٠٠٠ ميل في السابع من سبتمبر وهذه المسافة تعد اقرب مسافة وصل اليها المريخ منذ عام ١٩٢٤ وسيزداد الكوكب تألقا تدريجيا حتى شهر سبتمبر وسيكون تألقه انذاك ٥٠ مرة مضاعفا عن اشراقه منذ يناير الماضي .

وبعد سبتمبر تزول الاشراقة سريعا .

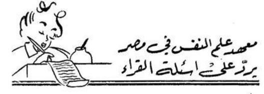
● سيحدث في هذا العام تباعا لدورة الفلك كسوفان للشمس وخسوفان للقمر وسيكون بعضها كليا والبعض الاخر جزئيا وستشاهد اميركا الشمالية خسوفا واحدا للقمر منهما في ليلة ١٧ - ١٨ نوفمبر .

فبعد منتصف الليل بدقائق يدخل القمر في ظل الارض المظلم وسيظلله خسوف شامل مدة تزيد قليلا عن الساعة ابتداء من الساعة الواحدة والدقيقة الثامنة حتى الثانية والدقيقة الخامسة والعشرين صباحا .

اما الخسوف الثاني للقمر فكان جزئيا وقد حدث في ٢٤ مايو الماضي .

والكسوف الجزئي للشمس ، يحدث في ديسمبر ويناير .

اما الكسوف الكلي للشمس فموعده الثامن من يونيو أي قبل صدور هذا العدد الى القراء ولن يشاهد تقريبا اذ تكون الشمس آنذاك فوق المحيط الهادي الجنوبي .



على كل من يريد ان يتوجه الينا بسؤال ان يتكرم بارساله الى : مصر – القاهرة – المنيرة – ٢٣ شارع امين باشا سامي الدكتور ابو مدين الشافعي مدير معهد علم النفس

*

نرجو من القراء الا يطيلوا في اسئلتهم بدون داع حتى لا يضيع الوقت في التفاصيل التي لا تفيد وان يشرحوا حالاتهم وغرضهم باختصار حتى لا نضطر الى اهمال اسئلتهم

* * *

● احمد ع. – غزة

انا موظف في الخامسة والعشرين اعاني ضعفا نفسيا اصاب بمرض يحرمني النوم والاكل وتهيج اعصابي واتوهم اوهاما مخيفة ويكون مرضي بعد الزعل وقد مضى عليه خمس سنوات . وصف لي الطبيب حقن Fosforis B. وشراب Virdivition Elexir وحبوب Oblivon فازدادت حالتي سوءا .

قلت بان مرضك يظهر بعد الزعل وتذهب الى الادوية لتزيد حالتك تعقيدا . فاعلم ان الادوية تساعد ولكنها ليست كل شيء كما شاع بين الاكثرية . فابحث عن السبب الاصلي للزعل وحاول حل المشكلة، وان كانت غير قابلة للحل فاخضع للامر الواقع حتى لا تتعرض للهموم والالام النفسية . انصحك باتباع هذا الطريق واكون سعيدا لو اكتشفت طريقا اخر يعول على الادوية . لست معارضا للعلاج الكيمائي ولكني لا اوافق على الاسراف فيه والتفريط في تقوية الدفاع الطبيعي في الجسم وفي النفس . قوِّ نفسك وحارب العادات السيئة واعتد عادات حسنة لتطهر جسمك ونفسك وستشعر بعد ذلك بقوة عجيبة وستخلق نفسك خلقا جديدا .

● ل. و. ش. – ؟ ؟

ان عمري ١٤ عاما لم ارسب في المدرسة وانا الان في صف الكفاءة . اشكو مرضا نفسيا وهو ان طولي ١٤٠ سم ووزني ٤١ كيلو واشكو القافاة القليلة ولهذا تراني منزويا عن رفقائي واستشرت عدة اطباء فلم افز بطائل .

اقبل بالامر الواقع ولا تستعجل تغيير الحالة النفسية . وحاول الاسترخاء مع التنفس العميق اي ان تريح جسمك وترخي عضلات الوجه والاطراف خصوصا قبل النوم فانك لا محالة واصل الى راحة نفسية تبعث الهدوء في النفس . وبذلك يمكنك الاقبال على الدراسة التي ستعوض بها النقص الجسمي .

● ت. ن. – اربد ، الاردن

انا شاب عمري ١٨ سنة من عائلة فقيرة اشتغل معلما ، وقد احببت فتاة من عائلة غنية وبلغ حبي لها درجة حاولت فيها مرارا ان انتحر مع ان الفتاة تحب غيري وشعورها نحوي شعور اخوي فقط ، فماذا افعل لاتخلص من هذا الداء .

اخشى ان يكون حرصك على نشر الرد على صفحات الاديب لتؤثر به على المحبوبة . وسواء كان هذا او ذاك فانك متعلق بها لضعفك النفسي وانت بحاجة الى اعجابها لتشعر بالقدر والقيمة . فانصحك بالرجوع الى العلم في اي ميدان لتقوي نفسك على اساس سليم مضمون ، ثم تفرض نفسك على فتاة تعجبك فترى ان تعلقها بك يكون اكثر سهولة واشد ضمانا . اما بغير الجد والاجتهاد لتقوية شخصيتك فان احلامك لن تتحقق الا في القصص والروايات التي تغرقنا في الخيال الواسع .

● بائس معذب من العراق

انني بائس جدا بسبب كثرة الاضطراب والقلق التي تستولي علي طوال اليوم عند قيامي بكثير من الاعمال منها : عند فتح حنفية ماء مهما احكمت سدها ابقى قلقا ان لا اكون احكمت قفلها فيتسبب عن ذلك تدفق المياه واغراق البيت . وهذا ما يحدث عندما اطفىء النور الكهربائي وقد كررت عملية الاطفاء والاشعال ١٢ مرة في احدى الليالي. وهذا ما يتكرر اذا اردت سد قنينة او قفل الباب او حين اضع شيئا اشك بانه في غير مكانه واكثر هذه الحالات تحدث خاصة في الليل . ويستبد بي سوء الظن بالناس حتى بطلابي الصغار .

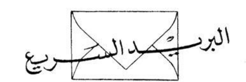
كل ما ذكرته يرجع الى حالة واحدة هي عدم الثقة بالنفس وهي تعود الى ضعف نفسي اصابك في مرحلة ما من مراحل حياتك . فما عليك الا ان تقوي صحتك الجسدية وتتخلص من جميع المشكلات الاجتماعية التي تقلق راحة بالك لترى قوتك النفسية ترجع الى حالتها الطبيعية . ولا انصحك بتناول اي دواء غير المقويات وما يساعد الجسم على التخلص من السموم ولهذا يحرم عليك كل ما يؤذي الجسم مثل القهوة والشاي والخمور وغيرها من المنبهات والمكيفات .

● فاروق د. – حلب ، سورية

طفلة في الثانية عشرة من عمرها ، صحيحة الجسم حدث في سنها الثامنة ان اخبرتها رفيقاتها بالمدرسة ان البيت الذي انتقلت اليه مسكون بالعفاريت فاثر فيها الخبر واصبحت تتجسد في احلامها اشكال العفاريت وغيرها تلاحقها او تحاول خنقها وكثيرا ما تستيقظ من احلامها بصراخ وعويل . وادخلت الى المستشفى قبل شهرين لاجراء عملية جراحية . وقد حدثتني ان الخيالات اخذت تتزايد خلال فترة مرضها فكانت تستيقظ بعد نومها بدقيقة او دقيقتين على اثر احلام مزعجة تتمثل لها بشكل دوائر سوداء متحدة المركز تتسع وتتسع حتى تكاد تلتهمها ، كما انه يتراءى لها بعض صديقات والدتها او اختها يحاولن قتلها . وهذه الاحلام توقظها فجأة وتثير في نفسها اضطرابا يدوم فترة قصيرة ثم يزول .

قد تكون هذه الحالة نفسية ، ولكني لا اعتقد بان ما سمعته عن رفيقاتها في المدرسة اثر فيها تأثيرا كليا ظهر عندها في احلام مزعجة واضطراب في النوم . واكاد اجزم ان هذه الحالة راجعة الى اضطراب في الامعاء . فما عليكم الا ان تهتموا بهذه الناحية ، وتمنعوا عن المريضة العشاء وتراقبوا الامساك . واحرموها من حلويات حلب الدسمة – عفى الله عن شرقنا الذي باع الراحة والعلم بالاكل والاكل ...

القاهرة — ابو مدين الشافعي



● من السيد محمود المصطفى ـ القدس

قد نشرتم كثيرا من الاعلانات والاخبار عن « المعجم » للعلامة اللغوي عبد الله العلايلي لكن منذ اشهر عديدة لم يصدر منه القسم الخامس المنتظر . فماذا حدث وما سبب توقفه عن الصدور . الرجاء اعلان ذلك في مجلتكم تطمينا لخاطر محبذيه ومناصريه .

ـ تلقت الاديب اسئلة عديدة بمعنى هذا السؤال لذلك نفضل ان نحيل السؤال الى الصديق العلامة الشيخ عبد الله العلايلي فحبذا لو تكرم بكلمة يطمئن فيها القراء .

● الى السيد محمد محمود ـ ؟ ؟

نحن نجهل عنوان المؤسسة اليابانية التي اعلنت عن اكتشافها لدواء يمنع سقوط الشعر ويعيد نموه والتي نشرنا خبر اكتشافها في باب « في كلمات ... » على كل ثق بان دواء هذا النوع اذا تأكد مفعوله بعد اجراء التجارب عليه فانه سينتشر في العالم بسرعة كبيرة وسيتوفر وجوده في كل صيدلية والا فان النتائج لم تكن مرضية .

● الى الاستاذ حسن البياتي ـ بغداد

هذه بعض العناوين المطلوبة : الاستاذ عيسى الناعوري : الاردن ـ عمان ـ ص.ب ٣٥٢ والاستاذ رضوان ابراهيم : مصر ـ القاهرة ـ العباسية ـ ٤٢ شارع السماع ـ والاستاذ حسين مروة : لبنان ـ بيروت ـ بواسطة مجلة الثقافة الوطنية ـ والانسة سميرة عزام : لبنان ـ بيروت ـ مكاتب محطة الشرق الادنى للاذاعة العربية .

● الى ح. ح. ـ بغداد

ان المجموعة الكاملة لمجلة الاديب مفقودة . اما مجموعة العام الماضي فموجودة وثمنها ديناران ونصف ترسل الينا محولة بواسطة مصرف الرافدين ببيروت فترسل المجموعة اليكم بالبريد المؤمن عليه . ويمكن تحقيق ذلك بواسطة متعهد التوزيع في بغداد اما المجموعات المتوفرة حاليا ويمكن الحصول عليها فسوف نعلن عنها في « البريد السريع » في عدد قادم .

● الى السيد فايز نجيب الزين ـ البرامية ، صيدا

ان الاشتراك يبدأ في اول السنة والمشترك الجديد ترسل اليه الاعداد التي صدرت منذ اول العام . اما القصائد فترسل الينا فاذا كانت تصلح للنشر نشرناها والا اهملناها .

● الى السيد حسن يزبك ـ اللوجا ، السنجال

لا يكفي يا سيد حسن قولك انك قرأت قصة تشابه تلك القصة في احدى المجلات الفرنسية الادبية . فنحن نستبعد ان يكون مؤلف القصة المنشورة في الاديب وهو كاتب معروف ظهرت له عدة مؤلفات واقوى من هذا هو انه يحترم نفسه ويحترم غيره . لذلك لن نشير الى ما ذكرته في رسالتك ما لم ترسل الينا نسخة من المجلة الفرنسية المذكورة او على الاقل ان تذكر لنا اسم المجلة ورقم العدد وتاريخه واسم القصة واسم مؤلفها وموجزا عن موضوع القصة حتى نقابل بين الموضوعين .

● الى السيد يوسف حداد ـ بيروت

هذا هو العنوان الجديد للاستاذ وديع فلسطين : مصر ـ القاهرة ـ جاردن سيتي ـ شارع الوالدة ـ عمارة اوزيريس شقة رقم ٧

● الى الاستاذ س. ع. ج. ـ البصرة ، العراق

هذا عنوان الاستاذ ايليا ابو ماضي صاحب جريدة السمير التي تصدر في بروكلن بنيويورك : As - Sameer — 144, Livingston Street Brooklyn 2, N. y. — U.S.A.

● الى الاستاذ ي. ج. ـ بغداد

لم ننشر القصيدة المذكورة لانها ضعيفة فلا تيأس . ويصعب علينا ان نبدي ملاحظات خاصة عن القصائد التي لا ننشرها .

● الى اصحاب التعليقات في باب « بريد الاديب »

كثيرا ما تردنا تعليقات او ردود على بعض ما ينشر في « بريد الاديب » يستعمل فيها كتابها بعض العبارات النابية في الرد او الاستخفاف الذي يوحي بالتحقير . ونحن نهمل جميع ما يردنا برسم « بريد الاديب » وفيه امثال هذه الالفاظ المستهجنة او العبارات المحقرة او السخرية الجارحة ونعتبر ان كاتب الرد او التعليق قد اعوزته الحجة ولذلك لجأ الى ما لجأ اليه . فنرجو من الادباء الكتاب ان يفتنموا وجود باب « بريد الاديب » مفتوحا ليكتبوا تعليقات رصينة بعد دراسة مخلصة للمسألة التي يعالجونها وبذلك يثيرون مناظرة ومناقشة ادبية ترتفع بمستوى النقد فيستفيد منه القراء . كما نرجو من الكتاب والشعراء الذين يتناولهم النقاد ان يفتحوا صدورهم برحابة وان يملكوا اعصابهم في الرد فليس ما يجمل الاديب ان يخسر الموقعة مثل العصبية التي تجعله لا يسيطر على اعصابه فيفقد بالتالي سيطرته على الموضوع الذي يدافع عنه .

● السيد ف. م. ـ دمشق

نعيد نشر ما سبق ان نشرناه في الرد على مثل سؤالك وهو : شروط النشر في الاديب ان يتساءل الكاتب قبل ان يسرع بارسال موضوعه الينا هل فيه شيء من الابتكار ام انه موضوع كتب فيه مرارا فلم يأت بالجديد ؟

ثم رجاء الى هؤلاء الذين يعتقدون بان الواجب يقضي عليهم كلما خطر لهم خاطر ودارت برأسهم فكرة ان يخرجوها قصة ، او موضوعا ، او قصيدة ويسرعوا بارسالها الى الاديب دون سواها ... الى هؤلاء نقول رفقا بالاديب ، فليس كل ما يكتب يصلح للنشر في مجلة شهرية حتى الذي يصلح للنشر في المجلات الدورية او الصحف اليومية او الكتب او الذي يلقى كمحاضرة او حديث في الاذاعة ...

يجب ان يتساءل الكاتب او الشاعر ما فائدة القراء مما سانشره عليهم في الاديب ؟ هل من متعة روحية او فنية ، او فائدة علمية او اجتماعية او ادبية او توجيهية او غيرها ... يستفيدون منها ؟

ثم يرسل الينا الكثيرون موضوعاتهم ويلحون علينا بنشرها في العدد القادم ويكون العدد القادم قد اوشك على الانتهاء ثم يكتبون الينا مستفسرين عن سبب التأخير مع العلم بان الاديب يردها شهريا اكثر من ثلاثين قصة وسبعين قصيدة وعشرين موضوعا وبحثا ، نصفها على الاقل ليصلح للنشر ولا بد من تفضيل الموضوعات التي وردت قبل غيرها في النشر كما نتوخى في النشر ايضا قضية تنويع الموضوعات ، لذلك نرجو المعذرة اذا تأخرنا في النشر احيانا .



عيد الكتاب في برشلونة

مهداة « لدار بيروت » للطباعة والنشر

●

الثقافة الاسبانية عميقة الجذور ، تمتد الى العصور الوسطى ، يوم ان كان لاخواننا العرب ، في هذه البلاد ، المجالات الواسعة . في حقول العلم والادب والفنون والثقافة العامة . عندما كانت مدارس الاندلس العزيزة ، تزخر بالعلماء العظام ، ومجالسها تضم المفكرين من النوابغ الاعلام واسواقها تعج بدور المعارف والنشر .

والمنافسة بين المدن الاندلسية الاسبانية العربية قائمة داوية . بما لدى كل واحدة منها من مظاهر الحياة الاجتماعية والعلمية . تشير الى ذلك المناظرة التي جرت بين العالمين المعروفين الفقيه الفيلسوف ابي الوليد بن رشد ، والرئيس ابي بكر بن زهر ، في مجلس الامير المنصور بن عبد المؤمن ، عن منزلتي قرطبة واشبيلية .

وكان للكتب والمؤلفات سوق رائجة واسعة في قرطبة ، وما جاورها من المدن والكور ، وهذه اخبار التاريخ الاندلسي ، تخبر عن اهتمام الخلفاء وقوادهم ووزرائهم بالكتاب وعن اثره في نفوسهم . منهم الخليفة عبد الرحمن الثالث ، والحكم بن هشام ... وكفى برهانا على ذلك ما خلفه الحكم نفسه من مكتبته التي ضمت الوف المجلدات والكراريس ، وكانت غنية بالمؤلفات المتنوعة ، جلبت لها من المشارق

هذا ولم يقتصر الامر على الخلفاء وحدهم ، وما يتبعهم من حاشية ، بل كان النساء يساهمن بالجانب الاوفر من ذلك النشاط العلمي الثقافي . يبعن الاسفار ، ويتاجرن بنسخها ، وتصحيفها ، بايديهن الناعمة الجميلة مما شجع على ظهور طبقة ممتازة من الشاعرات الاديبات ، والكاتبات المثقفات الصريحات .

ولعل أطرف ما يثبت ولع القوم الاندلسيين بالذخائر العلمية واقتنائها ، والحصول عليها ، ماحكاه المؤرخ (الحضرمي) عن أهل قرطبة قال :

« اقمت مرة بقرطبة ولازمت سوق كتبها مرة أترقب فيه وقوع كتاب لي بطلبه اعتناء ، الى ان وقع وهو بخط فصيح ، وتفسير مليح ، ففرحت به اشد الفرح . فجعلت ازيد في ثمنه فيرجع الي المنادي بالزيادة علي ، الى ان بلغ فوق حده . فقلت له : يا هذا ارني من يزيد في هذا الكتاب حتى بلغه الى ما لا يساوي . فاراني شخصا عليه لباس رياسة فدنوت منه ، وقلت : اعز الله سيدنا الفقيه ، ان كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك ، فقد بلغت به الزيادة بيننا فوق حده . فقال لي : لست بفقيه ، ولا ادري ما فيه ولكني اقمت خزانة كتب ، واحتفلت فيها لاتجمل بها بين اعيان البلد ، وبقي فيها موضع يسع هذا الكتاب ، فلما رأيته حسن الخط ، جيد التجليد ، استحسنته ، ولم ابال بما ازيده فيه . والحمد لله على ما انعم به من الرزق فهو كثير » .

قال الحضرمي : وحملني على ان قلت له : « نعم لا يكون الرزق كثيرا الا عند مثلك . يعطى الجوز لمن لا له اسنان . وانا الذي اعلم ما في هذا الكتاب ، واطلب الانتفاع به ، يكون الرزق عندي قليلا ، وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه » .

والكتاب ، هذا الزاد الذي لا يفسد طعمه ، والشراب الذي لا يأسن لونه ، والزهر الذي لا يذهب رونقه ، ولا يتبدد عطره . له في الادب العربي قديمه وحديثه ، حقول خاصة ، تنطق بقيمته ، وتتحدث عن اهميته فلا عجب اذا رأينا الشعب الاسباني ، كبقية الشعوب المتحضرة ، اهتم بهذه الظاهرة الاجتماعية الثقافية ، منذ ان تفتحت العبقريات الاندلسية في ربوعه ، الى ان بدأت النهضة الاوروبية ابان اكتشاف اميركا بمغامرة خريستوف كولومبوس .

واسبانيا في عصورها الذهبية ، وتاريخها الثقافي ، اهتمت بتمجيد الكتاب ، وجعلت له عيدا خاصا به ، ويوما مكرسا لاجله ، تجمع فيه نوادر المخطوطات ، وتعرض فيه اجمل واروع المطبوعات الحديثة ، في اهم شوارع المدن واسواقها العامة .

وفكرة عيد الكتاب في هذه البلاد الكريمة ، لها تاريخ يمتد الى ذكرى وفاة الكاتب العبقري سارفنتس سنة ١٥٤٧ الى سنة ١٦١٦ صاحب مؤلف « دون كيشوت » الذائع الصيت ففي الثالث والعشرين من شهر نيسان — وهو يوم وفاته ، تستعد اسبانيا كلها ، ودور النشر والطباعة فيها لعيد الكتاب ، حيث تنشر الاعلانات وتوزع النشرات وتتحدث الاذاعات ، عن قيمة هذا اليوم ، والمبادرة لاقتناء ما يعرض فيه ، وعدم ضياع فرصته . وترى الناس فيه متلهفين لهذه المناسبة ، جادين للحصول على ما يحتاجونه من المؤلفات باسعار مخفضة . عن بقية ايام السنة .

ففي برشلونة عروس الساحل الاسباني . وفي شارعها البديع الزاهر المعروف « بالرملة » Al Romble تشاهد الاعلانات الملونة المصورة منتشرة هنا وهناك . وقد صفت الطاولات الكبار . ولكل دار للنشر جناح خاص بها . ولكل مكتبة زاوية ترجع اليها . قسمت عليها الكتب ، وعرضت للبيع ، حسب المواضيع كتب الاطفال — الشؤون المنزلية والتسوية — الصحية — الفلسفة — الاداب — العلوم — الاجتماعيات — الروايات — المجلات . باللغات المختلفة ، والمصادر المتنوعة ، يقوم بمهمة بيعها بهذا اليوم غالبا فتيات من زهرات المجتمع الاسباني ، ومن حسانه النضرات ممن يضطر الانسان ان يشتري منهن كتابا حتى ولو كان لا يحتاجه .

فالواحدة منهن تتحدث اليك عن مزايا كل كتاب ترغب في شرائه ، بلهجة طلقة ، وبحديث ناعم ، دون ان تجرح اذنك نبرة حادة وذلك ببصر مدهش ، وبلطف مخجل .

والغريب في هذا العيد انه يمر كل سنة بيوم ماطر من نيسان — والطف ما قرأته من اعلاناته الاعلانات الاتية :

— تمطر او لا تمطر ، اشتر كتابا

— اهد الكتاب الى حبيبك او صديقك .

— اذا كنت تحب طفلك فاشتر له كتابا يسليه

والناس مزدحمون متسابقون لشراء ما يقدم لهم من زاد المعارف وغذاء العقول ، لنفوسهم ، وقلوبهم — وارواحهم .

كما خصص في برشلونة ، يوم الاحد من كل اسبوع لبيع وشراء الكتب القديمة المستعملة في شارع « الباريليلو » معروضة حسب الاذواق ، وحسب الاعمار واللغات ، باثمان زهيدة بحيث لو فتشت عنها في المكتبات العامة قد لا تستطيع شراءها ، او قد لا تعثر عليها .

ان الفرق بيننا وبين هؤلاء الاخوان ، انهم يدخرون الدراهم كي يشتروا بها اشياء نافعة . فالطفل عندهم ، يجمع ما يعطى له من قروش معدودة ، خلال اسبوعه ، يدخرها ليشتري بها كتابا ملونا ، او صورة رائعة جميلة ، تطبع في ذاكرته اللدنة خيالاتها ، فيتولد في نفسه منذ نعومته ، حب الجمال ، وتقديس الفنون وتنغرس في عقله ، رغبة المطالعة والدراسة ، وروح الاستطلاع واليقظة .

ولقد جعل هذا العيد رسميا في اسبانيا واحتفل فيه لاول مرة عام ١٩٢٦ . اعاد الله تلك الايام الخوالي في شرقنا العربي ، حتى نرى اسواقا للكتب تعرض وتقام . كاسواق بغداد والنجف وبيروت والقاهرة ودمشق . في

عصورها الزاهية الغابرة وحبذا لو تهتم الاوساط الرسمية والشعبية بهذا العيد . وخاصة الشباب المتحمسين من اصحاب دور النشر والطباعة ، والمؤلفين المنتجين . كي يتاح لنا فيه ان نطلع على المحصول الثقافي السنوي في بلادنا ، ونقارن بينه وبين بقية الاعوام ، ونتعرف الى المطبوعات المنشورة ، واقبال القراء عليها . ونجاح الدور التي ساهمت في اخراجها بدقة وابتكار .

وهذه الفكرة اعرضها على اخواني راجيا ان يسعوا الى تحقيقها في القريب فيبادروا الى تاليف لجنة تتولى اعداد ذلك المهرجان اسوة بالمهرجانات العديدة التي تقام في بعض الاقطار العربية ومنها عيد الزهور فهي انفع لنا من مباريات ملكات الجمال التي تقام بكثرة بينما يهمل الكتاب وهو اولى واجدر بالتكريم والترويج.

جامعة برشلونة **محسن جمال الدين**

ادباء مصر يعرفون ..

الى محرر جريدة « الجريدة »

●

نقلت صحيفة « الجريدة » اللبنانية القراء عن بعض الصحف المصرية فقرة كتبها الدكتور محمد مندور تحية للشاعر المهجري الاستاذ جورج صيدح ، وتأكيد الجميل رأيه في الادب المهجري الذي كتب عنه من قبل كتابة ارضت نزعته للانصاف والتشجيع ، دون ان يدخل في حسابه رضى الراضين او سخط الساخطين .

وقد انتهز محرر « الجريدة » هذه الفرصة فقدم الفقرة المذكورة لقرائه بالمقدمة التالية انقل نصها الى القراء الكرام :

« كتب الدكتور محمد مندور الاديب المصري هذه الكلمة في محاسن الشعر المهجري عقب اجتماع له بالشاعر الكبير الاستاذ جورج صيدح ، وقد جاءت مغايرة لبعض ما يقع فيه المصريون من اخطاء اذا اضطرتهم ضرورة ما الى الخروج بالنقد والتعليق عن نطاق وادي النيل . معظم ادباء مصر يجهلون - او يكادون ان يجهلوا - ما يظهر في البلدان العربية الاخرى وفي المهاجر الامريكية من أدب خليق بالحياة » .

وهي - كما ترى - اتهام ظالم ، وتجريح للادباء والدراسين في مصر من اخ كنا نرجو له ان يتروى قبل ان يصدر حكمه الجائر في قضية يظهر من احكامه المطلقة المتجنية انه بعيد عن مجالها كل البعد .

ولو تريث لوضح له ان ادباء مصر اكثر تعاونا ، واشد تطلعا الى افسح آفاق العروبة ، واوسع دراية بالتيارات الادبية المعاصرة في العالم العربي والمهاجر ودوائر الاستشراق اكثر مما يزعم ، وانهم أكثر حفاوة بكل نبتة تترعرع في حقول الادب والفكر ، وان مصر تعد في مقدمة مهامها في الاونة الراهنة احتضان الراية العربية التي تخفق بالسلام والمحبة والوحدة والامل . ولا اشهد على ذلك سوى التفاعل البادي في صحفها واذاعاتها ومطبوعاتها ودراساتها الجامعية وانديتها الادبية . وقد تكون صحف لبنان وفي مقدمتها مجلة الاديب شاهدا على هذا التعاون المثمر لخير العروبة والادب .. الامر الذي يدل على ان الادب المصري يستقبل الحياة المعاصرة مفتوح الاعين على التفاعلات العربية الجديدة بكل ما فيها من مقومات .

وكنا نود ان نشهد الصديق الكريم الاستاذ جورج صيدح على هذه النهضة المتضحة في دور العلم والمؤسسات الثقافية والادبية والندوات النقدية التي تجعل في مقدمة برامجها دراسة الادب العربي في شتى حقوله - لولا انه تعجل السفر . اجل .. لولا ذلك لرأى صبيتنا في المدارس يلقنون الكثير ، ويقرأون الاكثر من ادب المهجر والاقطار العربية . وقد يكون من المجدي ان اطمئن الاخ العربي محرر « الجريدة » اذا اقتطفت له قطفة عابرة من الدراسات المصرية عن الادب خارج مصر ، عساه يستكمل معلوماته عن الواقع الادبي المتفاعل في ديار العروبة ، فلا يكتب عنه من مختزنات الذاكرة او من شطحات الخيال .

ويحضرني الان ما كتبه الشاعر المصري حسن كامل الصيرفي من دراسات متتابعة مركزة للتعريف بادباء المهجر خاصة وغيرهم بوجه عام في مجلتي المقتطف وابولو منذ حوالي ربع القرن : واخصها ما كتبه عن فرحات والياس قنصل وشكر الله الجر والياس ابو شبكة وجورج صوايا وغيرهم ..

وما كتبه محي الدين رضا في اكثر من كتاب .

والسحرتي تناول في كتابه « الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث » اكثر من ستين شاعرا واديبا من غير المصريين بالدراسة او النقد او الاختيار او التعريف ، وفيهم براعم في طريقها الى التفتح ، وقد تناول شخصياته وموضوعاته تناول الدارس الواعي البعيد عن الجهل والخطل .

فضلا عن كتابات عبد الغني حسن عن الشعر العربي في المهجر ، وكتاب السيدة نعمات فؤاد عن الاخطل الصغير ، ورسالة كمال نشأت عن التجديد في شعر المهجر .

وفضلا عما كتبه المرحوم ابو شادي من دراسات عن الادب في المهجر والاقطار العربية في سوريا ولبنان والعراق وجنوب الجزيرة وشمال افريقيا ، مما شهد له المهاجرون والمتوطنون بالدقة والاستيعاب والانصاف ، وتكفيه شهادة الاساتذة الاجلاء عبد المسيح حداد وسليمان داود وتوفيق ضعون وديب نموم ليون وتقدير الكثيرين من فضلاء المهجريين- دليلا على تعاونه وبذله وتشجيعه للادباء .

وما قدم للجامعات والمعاهد من رسائل ودراسات يشهد بعناية المصريين بالادب المغترب والادب المقيم على السواء ، وينفي عنهم الجهل ، وقد ينفي عنهم الخطأ الذي عابه عليهم السيد المحرر .

وفي وقت مبكر عرف طه حسين وهيكل والعقاد والمازني بالادب المهجري وادب الاقطار العربية عامة . وفيما يكتبه ادباؤنا اليوم عن هذه النزعات الادبية في البيئات العربية المختلفة دليل الوعي والاهتمام سواء منهم من حبذ ومن هجن ، ابتداء من مندور والعقاد الى عزيز اباظة وثروت اباظة .

فاذا ابى السيد الكريم الا ان يحسب الاختلاف في الرأي ذميما وخطلا وضلالا ، ويرمي من ورائه ادباء مصر - على التعميم والاطلاق - بالجهل الفاضح ، ويخصهم بهذا الهجوم ، فان هذا ما يؤسف له اعمق الاسف . وكان عليه - هو الاخر - ان يقرأ ويستوعب قبل ان يكتب . وللاخ تحياتي ومودتي .

القاهرة **رضوان ابراهيم**

اخي رفائيل بطي

القيت في حفلة التأبين الكبرى التي اقيمت للفقيد في بغداد

●

رفائيل اخي رفائيل ! .. منذ وصلني النبأ الفاجع وانا بين الشك واليقين ، او حق ما يقولون من انك رحلت عنا على عجل .. وبدون زاد ؟ يا الله ! ماذا أقول ؟ أمن كان كأبي بديع يعد خاليا من الزاد ؟ او ليس زاده الادب ومتاعه البحث والتأليف ؟ لقد ترك وراءه تراثا لا يبلى ومجدا لن يخفت له بريق !

كان دؤوبا باحثا ، كان يشجع الادب والادباء .. واذكر انني نشرت اول مقال لي في حياتي في صحيفة يشرف على تحريرها اديبنا الفقيد ، كان ذلك في صحيفة « الاخاء الوطني » التي كانت لسان حال حزب المرحوم ياسين الهاشمي .

أجل ! لقد كان اول مقال لي في صحيفة يحررها رفائيل ، وكانت بعنوان « انجيل الاحرار » تعليقا على كتاب « في بلاد الاحرار » للكاتب التركي اغا اوغلو احمد وترجمة الاستاذ

السيد احمد مصطفى وقد نشر تباعا في الصحيفة المذكورة ثم جمع بشكل كتاب .

منذ ذلك الحين بدأت بيني وبين الاستاذ رفائيل صداقة ادبية من وراء السطور وذلك دون ان اقابل الرجل فقد اردفت مقال « في بلاد الاحرار » بمقالات اخرى كان ينشر اغلبها في الصفحة الاولى .

لقد اوردت كل هذا برهانا على ان الرجل كان كثير التشجيع للادب وانه كان لا ينظر الى الاسم قدر ما ينظر الى نوعية ما يرسل اليه .

وهكذا صرنا صديقين حميمين ، ثم رحلت الى لندن فلم انس رفائيل ولم انس صحيفة رفائيل .. وكان اذ ذاك قد اخذ بتحرير « البلاد » التي اصبحت مقترنة باسمه ، وستبقى كذلك في تاريخ الصحافة والادب . اقول لم انس رفائيل وانا وسط هذا العالم الجديد الذي قذفت فيه لاول مرة ، بل بقيت اوافي صحيفته البلاد بالبحوث والمقالات العديدة .

لقد التقيت برفائيل مرة ثانية بعد عودتي من انكلترا وعودته هو من مصر ، فكنا نلتقي في ديوان وزارة الخارجية نتناول طرفا من الاحاديث الادبية ، ثم استقال رفائيل من الخارجية بعد ان اصبح نائبا في المجلس النيابي ، ورحلت أنا الى امريكا فعلمت فيما بعد ان رفائيل اصبح وزيرا للدولة وكنت يومها في زيارة للدكتور مجيد خدوري في واشنطن فقلت له : « لقد كوفىء الصحفي الاديب بلقب جديد ! » فقال الدكتور خدوري : « لقد كان من الواجب ان يحصل عليه قبل هذا بسنوات، ايام المرحوم ياسين الهاشمي او على الاقل في عهد مزاحم الباجهجي ! »

وعدت الى بغداد لاجد الوزارة التي ازدانت بالاديب اللامع قد استقالت واذا برفائيل قد عاد ثانية الى تحرير جريدة البلاد . فتجددت عندي ذكريات وذكريات واليت الا ان اسهم في الصحيفة التي فتحت صدرها لي في ايام الشباب .. اجل ان اسهم فيها ثانية . وانا على عتبة الكهولة !

ولكن كان الان دور جديد في حياتي ، فقد انتهى دور الكتابة الصاخبة وجاء دور الكتابة الصامتة ، فكتبت له اشياء كثيرة ... وانا اليوم اعتز بها لانها في مضامن صحف شيخ الصحافة العراقية ورافع لوائها !

واخر عهدي برفائيل الليلة التي سبقت وفاته فقد اجتمعنا سوية وانا لا ادري بانني اقابله واتحدث اليه للمرة الاخيرة في هذه الدنيا الفانية . كان ذلك في نادي المنصور . واخر ما سمعته منه اقتراحه الذي وجهه الى رئيس نادي القلم وهو ان يكلف الاستاذ حسن الامين باعداد موضوع ادبي يلقى في الاجتماع القادم ان كانت اقامته ستطول فان اعتذر فتكلف الست امت سعيد بالتحدث عن المرأة العراقية . وعندما اجتمعنا لتناول طعام العشاء التفت فلم اجد لرفائيل اثرا ، فسألت عنه فقيل لي : لقد ذهب على عجلة لمقابلة بعض اعضاء الوفد البرلماني السوري ـ لقد ذهب .. فكان اخر ما عمله هذا الانسان الفذ المجاهد عملا قوميا . لقد عاش رفائيل بطي من اجل فكرة ومات وهو مؤمن بها . غاب عن ابصارنا في ليلته الاخيرة ليقضيها مع الوفد السوري ولعل رفائيل الذي حلم طويلا بالوحدة ستطمئن روحه الى تحقيقها في هذه الارض التي غاب عنها الى الابد .

ما اعجب المصادفات ! وما اغرب صروف القدر ! فكأن اجتماع نادي القلم في تلك الليلة كان بمثابة حفلة ادبية وداعية لرفائيل بطي دون ان ندري . لقد ابت الاقدار الا ان تقيم له حفلة تكريمية قبل ان يبارحنا الى العالم الاخر ، ابت الا ان تضم رفائيل قبل موته بساعات ، باخوانه من حملة الاقلام والسائرين في موكب الادب في هذا البلد .

ان روحه سعيدة الان في عليائها لانها قامت بواجبها تجاه هذا الوطن فقد رفع رفائيل شأن الصحافة العراقية شكلا وموضوعا وخدم الادب الصحفي خدمات ستذكر مقرونة بالثناء والشكر دوما .

وليس اسم رفائيل معروفا في الشرق العربي فحسب ، بل في الغرب ايضا ولا سيما عند المستشرقين فرفائيل مصدر من مصادر بحوثهم اعتمد عليه شيخ المستشرقين الالمان بروكلمان في كتابه الضخم « تاريخ الادب العربي » واعتمد عليه سانتيلانا في بعض ما كتب .

ان رابطة الادب يا رفائيل اقوى من اية رابطة اخرى فكاني يوم نزل بك الحمام قد جزء من روحي ليدفن معك .

سيتنازعك تاريخ الصحافة وتاريخ الادب وكل قد اعد لك مكان الصدارة في صفحاته . ان موتك يؤلف نهاية فصل في تاريخ الصحافة . وسيتحدث المؤرخون عن عصر رفائيل وتاريخ الصحافة قبل عصر رفائيل وبعده فموتك ـ كما قلت ـ نهاية فصل وبداية فصل .

يا لله ! يموت وهو يفكر في الادب ويفكر في حقوق المرأة ، وبالرسل البرلمانية للوحدة ، املاوا قبره نورا فقد انار طريقنا مدة ربع قرن او يزيد . املاوا ضريحه بالق المجد فقد كان نجما ساطعا في عالمنا السياسي والاجتماعي ولتذرف عيون الادب دموعها فلن تستبقي شيئا منها لاحد !

بغداد [البلاد]

مهرجان وزارة التربية الاردنية

●

اقامت وزارة التربية والتعليم في الاردن مهرجانها الادبي السنوي الاول ، وقد اشترك فيه طلاب وطالبات يمثلون جميع الوية المملكة ، وكانت مواضيعه تتألف من : نشيدين : نشيد الحسين ، ونشيد العلم ـ و٥ تمثيليات ، و٦ قصائد و٣ خطب مرتجلة القاها ثلاثة طلاب من المعاهد العليا ، و٥ مواضيع انشائية ، و٤ قطع نثرية مختارة . واشترك في تقديم هذه المواضيع طلاب وطالبات من المدارس الابتدائية والثانوية والعليا . واستغرق المهرجان نحو اربع ساعات، وكان في يومه الاول ـ السبت ٢ حزيران ـ للرجال برعاية جلالة الملك حسين وفي يومه الثاني للسيدات برعاية جلالة الملكة دينا.

لقد كان مهرجانا ادبيا بالغ الروعة ، وكان مهرجانا لفلسطين ، وادب فلسطين ، وامل فلسطين بحيث يقيم الدليل على ان المأساة الفلسطينية كانت عاملا ملهما في الانتاج الادبي ، بعكس ما يخيل للكثيرين ممن ينكرون اثر فلسطين ومأساتها في الادب العربي الحديث

وكان الحسين معقد الرجاء ، ومدار الامل ، في كل ما القي في هذا المهرجان . ولعل اروع ما جاء به المهرجان ، انه قد ابدى للحسين وللحكومة النقاط الحساسة التي تعتلج في نفوس الشعب الاردني ، واعرب عن العقيدة المكينة الراسخة التي لا يحيد عنها ولا يتزحزح، فما يمكن ان يرضى شعب الاردن عن اية حكومة لا تسير على هدى هذه الرغبة الشعبية العميقة الصادقة القوية ، ولن تهدأ للشعب ثائرة قبل ان تعود الارض المغتصبة الى ابنائها الذين شردتهم عنها قوى الغدر والطغيان .

وعند انتهاء المهرجان تفضل جلالة الملك بتوزيع الكؤوس على الفائزين وكانت دار الاذاعة الاردنية الهاشمية تنقل تفاصيل المهرجان الى الخارج

ومن بين الطلبة الذين اشتركوا في المهرجان طفل اسمه (رفعت محمد الجرف) من طلاب مدرسة الزرقاء في الصف الثالث الابتدائي، فاز بالاعجاب التام من جلالة الملك ومن الجمهور كله ، بروعة القائه الشعري ، فقد القى قصيدة من نظم استاذه الشاعر مصباح العابودي مطلعها

بايمانه ، لا بالقنا والقواضب
واقدامه ، لا في حديد الكتائب
رمى ابن طلال عصبة الشر رمية
أطاحت بهاتيك النواحي الكواذب

فلما انتهى منها نزل عن المسرح فصافحه جلالة الملك بحرارة واعجاب ، وامر بان تكون دراسته حتى نهاية المرحلة الثانوية على نفقة جلالته الخاصة . وقد فاز هذا الطفل بجائزة الشعر الاولى للمدارس الابتدائية ، وهي تتألف



١٨ مايو ١٩٥٦ ــ وصل الى مدريد ملك العراق فيصل الثاني في زيارة رسمية لاسبانيا

١٩ ــ صدر بلاغ مشترك عن المحادثات التي جرت في موسكو بين رجال الحكومة الفرنسية والاتحاد السوفياتي جاء فيه : ان الجانبين سجلا برضاء تام ما حققه الموقف الدولي اخيرا من تحسن . وبما انهما يعتبران انه في الوقت الحاضر لا توجد الثقة اللازمة بين الدول ، فانهما يؤكدان عزمهما الثابت على اتخاذ التدابير التي تساعد على تقوية الثقة المتبادلة بينهما . وجاء في البلاغ ان الاتحاد السوفياتي يعرب عن امله بان تتمكن فرنسا من حل مشكلة الجزائر حلا سلميا حسب روح هذا العصر ومصلحة الشعوب .

٢١ ــ قدم السيد سمير الرفاعي رئيس الوزارة الاردنية استقالة حكومته

ــ جرت محاولة في تونس لاغتيال رئيس الوزراء السيد الحبيب بو رقيبة وقد قتل المهاجمون وبينهم السيد مكي بن عزوز رئيس الحزب الوطني التونسي المعارض .

٢٢ ــ صدر في بيروت وعمان بيان مشترك جاء فيه انه انتهت سلسلة الاجتماعات بين الوفد العسكري الاردني برئاسة اللواء راضي عناب الذي زار لبنان ، وبين قائد الجيش اللبناني واركانه لبحث كيفية التعاون واتفق الطرفان على الاسس وذلك لمجابهة الخطر الاسرائيلي المشترك

ــ الف السيد سعيد المفتي الوزارة الاردنية

٢٣ ــ قدم المسيو منديس فرانس نائب رئيس الوزراء ووزير الدولة في الحكومة الفرنسية استقالته . وقد صرح بقوله لقد استقلت لان قوة الاسلحة وحدها لن تستطيع ان تسيطر على الثوار في الجزائر .

٢٤ ــ استقال رئيس اركان الجيش الاردني اللواء راضي عناب ورقي القائد علي ابو نوار الى رتبة لواء وعين رئيسا لاركان حرب الجيش.

٢٥ ــ وصل الى الرباط الملك فيصل الثاني عاهل العراق يرافقه الامير عبدالاله ولي العهد تلبية لدعوة سلطان مراكش .

٢٦ ــ اكتشفت دوائر بوليس المانيا الغربية مؤامرة لاغتيال المستشار ادناور رئيس الحكومة

٢٧ ــ وصل الى عمان السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية يرافقه رئيس الوزراء ووزير الدفاع ووزير المعارف ورئيس الاركان العامة للجيش السوري في زيارة رسمية للاردن .

٢٨ ــ وقع في باريس الاتفاق الدبلوماسي بين فرنسا ومراكش وهو يقضي بتدعيم التعاون بين البلدين في السياسة الخارجية وبعدم الانضمام الى اية سياسة تكون في غير مصلحة احد الفريقين . وتعهدت مراكش باحترام التزاماتها الناشئة عن المعاهدات الدولية التي عقدتها باسمها فرنسا ولكن الحكومة المراكشية ابدت تحفظاتها بشأن الاتفاق الامريكي الخاص بانشاء القواعد الجوية في مراكش .

٢٩ ــ اجتمع مجلس الامن الدولي لمناقشة مشروع القرار البريطاني الذي يهدف لزيادة اقرار السلم في الشرق الاوسط

٣١ ــ اعلنت قيادة الامم المتحدة في كوريا انها ستوقف اعمال لجنة الهدنة المحايدة مؤقتا لان الاعضاء التشيكيين والبولونيين منعوا الاعضاء السويسريين والسويديين من التفتيش في كوريا الشمالية التي تتهمها قيادة الامم المتحدة بانها عززت قواتها وتجهيزاتها العسكرية .

اول يونيو ١٩٥٦ ــ استقال الرفيق فياتشسلاف مولوتوف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي من منصبه وعين مكانه ديمتري شيبيلوف رئيس تحرير البرافدا .

٢ ــ وصل الى موسكو الماريشال تيتو رئيس الدولة اليوغسلافية ترافقه قرينته ونائب رئيس المجلس التنفيذي ووزير الخارجية في زيارة رسمية للاتحاد السوفياتي

٣ ــ قدم السيد سعيد الغزي رئيس الوزارة السورية استقالة حكومته

٤ ــ اقر مجلس الامن الدولي المشروع البريطاني بصدد مهمة الامين العام للامم المتحدة في الشرق الاوسط وذلك بعد تعديل المشروع بما يكفل ارضاء الاعتراضات العربية .

٥ ــ قدم الدكتور عبدالله اليافي رئيس الوزارة اللبنانية استقالة حكومته

٦ ــ صرح الرئيس ايزنهاور ان من الواجب اعادة النظر في المساعدة الامريكية ليوغوسلافيا وقال ان على الولايات المتحدة ان تلقي نظرة على موقفها من الماريشال تيتو .

٧ ــ قدم رئيس وزراء سنغافورة ديفد مارشال استقالته الى الحاكم البريطاني بعد فشل المفاوضات بين مارشال والحكومة البريطانية لمنح سنغافورة الاستقلال الذاتي .

ــ اعلن ان الماريشال بولغانين رئيس الحكومة السوفيتية بعث برسالة جديدة الى الرئيس ايزنهاور بصدد المشاكل الرئيسية بين الشرق والغرب .

ــ صرح الماريشال تيتو بان وفاقه مع الكرملين من جديد لن يكون له اي تأثير على علاقات بلاده الودية مع امريكا . وقال ان قطع المساعدة الامريكية عن بلاده لا اهمية له .

٨ ــ صدق مجلس النواب الامريكي على مشروع برنامج المساعدة الامريكية الى الخارج فقرر تخفيض المساعدة باكثر من خمس المبلغ. وقد ايد المجلس تمديد المساعدة ليوغوسلافيا.

ــ ارسل الماريشال بولغانين رسائل شخصية الى رؤساء حكومات بريطانيا والمانيا الغربية وفرنسا وايطاليا تتناول نزع التسلح وتحث الدول الغربية على تخفيض قواتها على غرار ما فعل الاتحاد السوفياتي .

ــ الف الدكتور عبدالله اليافي الوزارة اللبنانية .

ــ اعلن البيت الابيض ان الرئيس ايزنهاور قد دخل المستشفى لاجراء عملية جراحية خطيرة في الامعاء .

٩ ــ وصل الى نيويورك الدكتور كونراد اديناور مستشار الجمهورية الاتحادية الالمانية.

١٠ ــ قمعت حكومة الارجنتين ثورة مسلحة قام بها اعوان الجنرال بيرون واستسلمت قوات الثوار دون قيد او شرط بعد ان قذفت طائرات الحكومة المدن الثائرة بالقنابل واعدم ٣٣ شخصا من زعماء الثورة .

١١ ــ وصل الامير سيف الاسلام البدر ولي عهد اليمن الى موسكو في زيارة رسمية .

١٢ ــ وصلت الى بغداد بعثة عسكرية اردنية برئاسة اللواء علي ابو نوار رئيس اركان الجيش .

١٣ ــ تم جلاء اخر جندي بريطاني عن ارض مصر بموجب اتفاق الجلاء ١٩٥٤ بين مصر وبريطانيا والذي بدأ قبل ٢٠ شهرا .

١٤ ــ تقدمت اليونان بطلب الى الامانة العامة للامم المتحدة لادراج مشكلة قبرص في جدول اعمال الدورة القادمة للجمعية العامة .

ــ الف السيد صبري العسلي الوزارة السورية الجديدة وهي ائتلافية .

١٥ ــ قدم السيد حسين علاء الدين رئيس الوزارة الايرانية استقالة حكومته وقد كلف بتاليف الحكومة الجديدة .

١٦ ــ وصل وزير خارجية الاتحاد السوفييتي الرفيق ديمتري شبيلوف الى القاهرة في زيارة رسمية .

مطبعة الشراع
بيروت ــ الحازمية